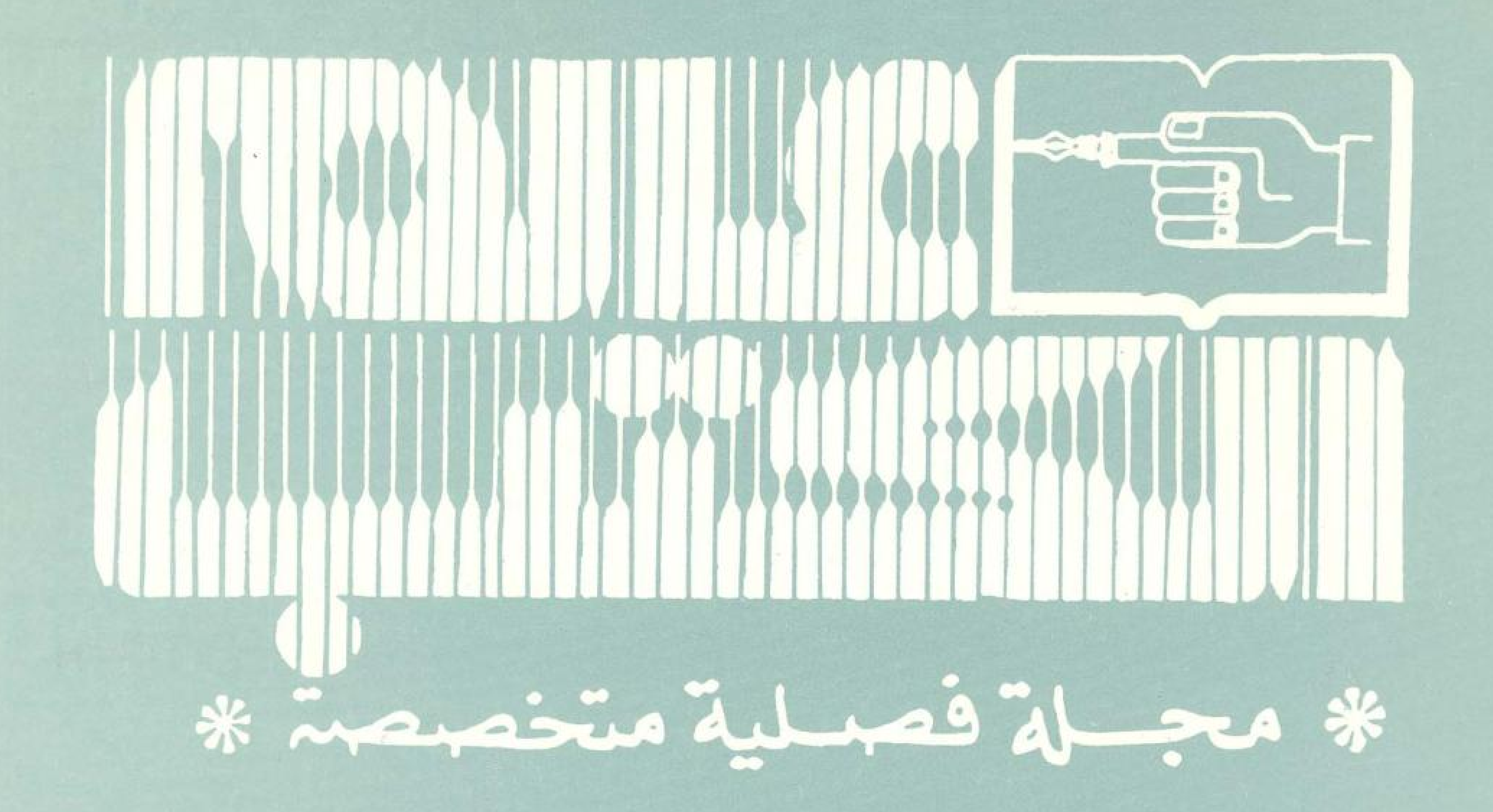


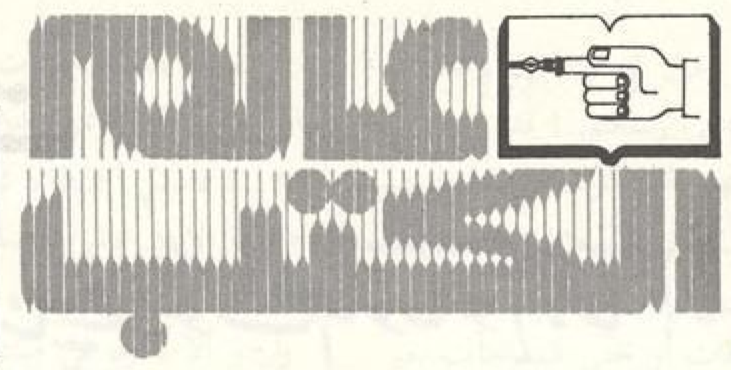
* مجلة فصلية متخصصة *

المجلد الثامن | العدد الأول | رجب ١٤٠٧هـ — مارس ١٩٨٧م

من موضوعات هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم





رئيس التحرير

يحيى محمود ساعاتي

مجلة فصلية متخصصة تهتم بالكتاب وقضاياه

الناشر: دار ثقيف للنشر والتأليف - الرياض - المملكة العربية السعودية

المجلد الثامن | العدد الأول | رجب ١٤٠٧هـ ــ مارس ١٩٨٧م

○ منهاج النشر

ــ يشترط في المواد المراد نشرها:
١ــ أن تكون في إطار تخصص المجلة.
٢ــ مكتوبة بالآلة الكاتبة أو بخط واضح.
٣ــ لم تنشر من قبل.
٤ــ معتمدة على المنهجية والموضوعية في المعالجة.
ــ تخضع الدراسات والبحوث للتحكيم قبل نشرها.
ــ ترتب المواد وفقاً لأمور فنية بحتة.
ــ لايجوز إعادة نشر أية مادة من مواد المجلة كاملة إلا بإذن مسبق. وفي حالة الاقتباس يرجى الإشارة إلى المصدر.
ــ ما ينشر يعبر عن رأي كاتبه فقط ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

○ بيانات إدارية

ــ المراسلات الخاصة بالتحرير توجه باسم رئيس التحرير (٤٧٧٧٢٦٩).
ــ المراسلات الخاصة بالاشتراكات والإعلانات توجه باسم مدير الإدارة (٤٧٦٥٤٢٢).
ــ عنوان المجلة :
ــ عالم الكتب
ص.ب: (١٥٩٠) الرياض : (١١٤٤١)
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٧٦٥٤٢٢
ــ الاشتراك السنوي في الداخل والخارج ١٠٠ ريال سعودي أو ما يقابلها بالدولار الأمريكي.
ــ الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة.

المحتويــــــات

الدراسات

جديدان في بنوك المعلومات والمعجمات اللغوية

سعد محمد الهجرسي

أستاذ المكتبات والمعلومات في جامعة الملك سعود
ورئيس تحرير مجلة عالم الكتاب

تمهيد وخلفيـة :

لعلها دراسة تفاجىء القارىء منذ اللحظة الأولى بهذا العنوان، الذي تختلط فيه رنة الندرة بطرائف متعددة من المفارقات..! فإذا كانت اللغة الإنجليزية وكثير من اللغات الحديثة، تعترف بصيغة المفرد وصيغة الجمع فقط، ولا توجد فيها صيغة للمثنى، وإذا كانت اللغة العربية نفسها، مع إفساحها المكان لصيغة ثالثة هي المثنى، تستخدم هذه الصيغة الفريدة أقل كثيراً من صيغتي المفرد والجمع، بل إنها تكاد تختفي في العربية الحديثة ـــ إذا كان ذلك كله حقائق ووقائع، فلماذا تأتي هذه الدراسة بأول كلمة في العنوان، مؤثرة الصيغة النادرة وهي المثنى؟ ولماذا تختار الدراسة أو صاحب الدراسة، فئتين فقط ليعرض الجديد فيهما؟

كان يمكن أن يختار إحدى الفئتين، وذلك بالمقياس الكمي أسهل، ليتحدث عنها في دراسة مستقلة، وإذا كان في الفئة الأخرى جديد له أهميته، فليكن الحديث عنه في دراسة أخرى مستقلة، دون أن تكون هناك حاجة أو ضرورة نحوية، لمفاجأة القراء بهذه الصيغة التثنوية، التي اختفت فعلاً في أكثر العربيات المحلية أو تكاد تختفي، للصعوبات التي تعانيها الأجيال الجديدة عند استخدامها..!

بل كانت هناك طريقة أخرى لتفادي صيغة التثنية، وذلك بإضافة فئة ثالثة أو أكثر، يكون فيها جديد له قيمة دراسية، ويستحق أن تنفق فيه أوقات القراء، التي تتزاحم عليها متطلبات العيش والحياة، وهي صاحبة الامتياز والأولوية، قبل البحث والقراءة والمتعة الذهنية..!

وما لنا نذهب هكذا بعيداً في محاربة التثنية، فنفرض على صاحب الدراسة تناول فئة واحدة أو ثلاث فئات..؟! لقد كان من الممكن الإبقاء على هاتين الفئتين، رغم المفارقات الكبيرة بينهما التي تفاجىء القراء أيضاً، والتخلي عن صيغة المثنى في أول كلمات العنوان، واستخدام صيغة المفرد التي تعني الجنس، بصرف النظر عن العدد، واحداً أو اثنين أو أكثر. إن العنوان بصيغته الحالية يعني الإصرار على مهاجمة القراء، بمفاجئتين في وقت واحد: الصيغة التثنوية في صدر العنوان، والمفارقات الصارخة بين وسطه وخلفيته..!

لم يعد في المفاجأة الأولى مزيد لمستزيد. أما المفارقات في المفاجأة الثانية فهي كثيرة: بنوك المعلومات كلها جديد في جديد، والمعجمات اللغوية كلها قديم في قديم في قديم..! إن أقدم «بنك للمعلومات» لم ير الحرب العالمية الثانية، التي لما يمض على بدايتها خمسون عاماً. بل إن هذا التسمية نفسها كتعبيرة في اللغة العربية، لم تعرف قبل السبعينيات، كما أنها في اللغة الإنجليزية وهي صاحبة الحق فيها قبل أية لغة أخرى، لم تعرفها قبل الستينيات..!

أما المعجمات اللغوية، ولنأخذها في اللغة العربية مثلاً، وقد ظهرت معاجمها في مرحلة زمنية وسط: بين تلك التي عرفتها لغات مثل اليونانية القديمة واللاتينية، قبل العربية ببضعة قرون رغم أنها كانت بدائية، وبين تلك التي عرفتها بعض اللغات الأوربية الحديثة، بعد العربية ببضعة قرون ـــ معجمات اللغة العربية هذه، مضى على أقدمها الباقي لنا اثنا عشر قرناً على الأقل، فقد كانت وفاة الخليل بن أحمد صاحب «العين» عام (٧٨٦م) والعدد الأكبر من القواميس العربية، أخذ مكانه في الألف سنة الأولى، أما القرنان التاسع عشر والعشرون ففيهما أقل القليل..!

إنها مفارقة وأي مفارقة، أن يجمع في دراسة واحدة بين أمرين أحدهما «جديد» كل الجدة، ظهرت بوادره منذ عقدين أو ثلاثة على أكثر تقدير، وبين «عتيق» كل العتاقة، ترجع نماذجه الوسطى بله القديمة والأقدم، إلى عشرة قرون في المتوسط..!

وليس يخفف من حدة تلك المفارقة الصارخة، أن لكل جديد قديمه ولكل قديم جديده... فنحن قد نقبل هذه القاعدة التي لاتخلو من مفاجأة، بتأثير ذلك التلاعب اللفظي، أو حتى لمصداقيتها في الحقيقة والواقع، ولكن هذه النسبية في الجدة والقدم، لاتكفي وحدها للجمع بين أمرين لايكاد يوجد بينهما رابط، كبنوك المعلومات في جانب والقواميس اللغوية في الجانب الآخر..!

وأقول لقارئي أو لقرائي، الذين قد تجول في أذهانهم واحدة أو أكثر من الخواطر السابقة: مهلاً..! وعلى رسلكم..! قد يكون في عنوان الدراسة كل المفارقات التي أوردتها، وقد تكون بالنسبة لبعضهم نوعاً من المفاجأة، ولكنني لم أتعمد ذلك ولم أقصد إليه عند صياغة العنوان، رغم أنني بعد أن أدركت ذلك وتنبهت إليه، لم أتنكر له ولم أغيره وأبقيته كما هو. في هذه المفارقات أو حتى المفاجآت خير كثير، أحرص عليه كما يحرص عليه أي كاتب، يحب أن يكسب قراءه منذ البداية..! إنها تثير الاهتمام وتشد الانتباه منذ اللحظة الأولى، وهي أغلى شيء وأندره في قراءات هذه الأيام..!

ولكنني أعود لأناقش في فقرات عابرة من هذا التمهيد، تلك الخواطر من المفارقات أو المفاجآت، التي قد يسببها عنوان الدراسة لقرائي الأعزاء. أسلم معكم أولاً بأن صيغة المثنى، شيء تمتاز أو تتميز به اللغة العربية من كثير من اللغات الأخرى في العالم، ولكنني لا أسلم بأن نتنكر لها، لافتقادها في أكثر اللغات الجارية، أو لاختفائها من لغتنا أو لغاتنا العامية، في هذا القطر أو ذاك من الأقطار العربية.

إن للندرة ولرنتها في هذه الصيغة، قيمة فريدة وكبيرة لابد من استثمارها والاستفادة بها، عند الكتابة والتأليف والحديث. إنها تصك سمع القارىء وذهنه، فلا يكاد ينسى كتاباً أو مقالاً تجري في عنوانه أو محتوياته صيغة المثنى مرة أو عدة مرات..! ولنتذكر معاً سورة الرحمن، التي تمثل القمة في استخدام صيغة المثنى فلايكاد ينساها أحد قرأها أو سمعها، حتى لو كان أمياً لايقرأ ولا يكتب، بل حتى لو كان لايعرف اللغة العربية، ويسمعها أو يقرؤها لأول مرة في حياته.

بل إن صيغة المثنى هذه، تتيح للإنسان الربط الزوجي في: ظواهر الطبيعة، ووقائع التاريخ، وأمور الحياة، الخ، ثم التعبير بسهولة عن هذا الربط، بطريقة تعجز عنها اللغات الأخرى. لقد تصدى لهذه الظاهرة علماء اللغة العرب، فجمعوها في كتب مرجعية أشبه بالقواميس، يسجل الواحد منها مئات ومئات، مثل: الأسمران، الملوان، الجديدان، المشرقان، المغربان، الأبوان، العمران، القريتان، الثقلان، الزوجان، الأحمران، الأبيضان، الكنزان، المعوذتان، الخ.

ثم لماذا أتخلى عن صيغة المثنى وهي درة ثمينة في تشكيلة الصيغ التي تعتز بها اللغة العربية..؟..! ولماذا ألجأ إلى صيغة المفرد الجنس، فأضع دراستي في مآزق الإبهام والتعمية، وهي في الحقيقة تتناول جديدين فقط، لا أكثر ولا أقل..!..؟

وأنتهز فرصة هذه الفقرات العابرة من التمهيد، فأصرح لقرائي بما أقصده من «جديدان»، تعويضاً عن المفارقات الظاهرية في عنوان الدراسة:

١ ــ مراصد المعلومات المقروءة بالحاسب الألكتروني، لمارتا وليامز الأمريكية، الذي صدرت طبعته لأول مرة عام ١٩٧٦م.

٢ ــ قاموس أكسفورد للإنجليزية، الذي استغرق العمل والتجهيز لمجلداته الاثني عشر الأصلية حوالي سبعين عاماً، كان آخرها عام ١٩٢٨م.

وأرجو ألا يكون في مبادرتي هنا، بتحديد العملين موضوع هذه الدراسة، مفاجأة أو مفاجآت أخرى، فوق كل ما سبق من المفارقات والمفاجآت...! فأي جدة في عمل مضت عليه عشر سنوات أو أكثر..؟..! ثم ماهو الجديد في قاموس أكسفورد للإنجليزية. وقد عرفه خلال تجهيزه وبعد إصداره، وهي فترة تبلغ مائة وثلاثين عاماً، ملايين الباحثين والطلاب في كل أنحاء العالم..؟..!

وأبادر مرة ثانية فأدفع هذه المفاجأة غير المتوقعة، بأن في العمل الأول جديداً، هو طبعته الحديثة التي صدرت عام ١٩٨٥، ويتم حالياً اختزانها بالحاسب الألكتروني، بالاتفاق بين صاحبة الدليل والجمعية الأمريكية للمكتبات، التي نشرت هذه الطبعة الأخيرة، وتبلغ عشرة أضعاف الطبعة الأولى، التي اشتملت على ٣٠٠ بنك فقط. كما أن في العمل الثاني جديداً، هو ملحقه الذي يبلغ ثلث الأصل حجماً، ويقع في أربع مجلدات كبار صدر آخرها، ليس في إنجلترا وإنما بالولايات المتحدة الأمريكية، في صيف سنة ١٩٨٦م أيضاً. وسوف يصدران معاً ممتزجين بعد عشرة أعوام تقريباً، بعنوان يضمهما معاً ترجمته هي: قاموس أكسفورد الجديد للغة الإنجليزية، ويصدر في شكلين أحدهما تقليدي مطبوع والثاني ألكتروني محسب.

وأنا أرجو أن يكون هذا الدفع للمفاجأة غير المتوقعة، هو الذي يوقع القراء فعلاً في تلك المفاجآت المنهجية المرغوبة، التي يتوقعها الكاتب لقرائه، بل إنه يحرص على إيقاعهم فيها، رغبة خالصة في إثارة اهتمامهم وجذب انتباههم، دون أن يكون في ذلك ــ معاذ الله ــ إثارة لمشاعرهم أو مضيعة لوقتهم الثمين..!

ونعود لمراجعة المفارقات الظاهرية الأولى، التي شغلتنا عنها الفقرات الأربع الأخيرة. قد يبدو ظاهرياً، ذلك البعد الشاسع بين بنوك المعلومات وهي الثمرات التي يخرجها لنا الحاسب الألكتروني، وتستخدم في المجالات العسكرية والإدارية والعلوم البحت والتطبيقية، وبين القواميس اللغوية وهي أعرق الأعمال في قطاع الإنسانيات..!

وأواجه القراء بأن هذه الدراسة التي أكتبها الآن، قد تكون هي السابعة أو الثامنة خلال ثماني سنوات مضت، كنت في كل منها أحرص على إزالة ذلك الغموض والإبهام، الذي يحيط بمفهوم «بنك المعلومات»، وعلى تحديد الماهية العلمية له، التي تربطه ربطاً عضوياً

ليس بالقواميس وحدها، وإنما بكل الأعمال المرجعية: من الأدلة، وتراجم الأشخاص، وتقاويم البلدان، ودوائر المعارف، والببليوجرافيات، الخ.

بل إنني حرصت في إحدى هذه الدراسات، أن أضع لها عنواناً يؤكد هذا الهدف من جانبي، هو (المراجع المطبوعة والمحسبة)، مشيراً بهذه المقارنة في العنوان بين المرجع المطبوع والمرجع المحسب، إلى أن الشكل الأول لأي مرجع تنتجه آلة هي المطبعة، وأن الشكل الثاني للمرجع نفسه تنتجه آلة هي الحاسب الألكتروني، رغم اشتهاره بتسمية جذابة، هي «بنك معلومات»..!

بين بنوك المعلومات والمراجع :

في تلك الدراسة، وقد تعمدت أن أضعها مقدمة لكتاب كان في الأصل ملحقاً لرسالة الدكتوراه، التي أعدها تحت إشرافي الدكتور سيد حسب الله، وقدمت إلى جامعة القاهرة عام ١٩٧٩ فنالت مرتبة الشرف الأولى، ونشر الكتاب نفسه بعنوان (بنوك المعلومات، أو، المصادر والمراجع الببليوجرافية المحسبة) — في تلك الدراسة كان الهدف الأساسي هو الحدّ من الذهول، الذي أصاب كثيرين من المنتمين إلى تخصص المكتبات والمعلومات خلال السبعينيات، بدخول تكنولوجية الحاسب الألكتروني إلى صميم تخصصهم في أعمال الفهارس والببليوجرافيات، وماصاحب هذا الدخول من تعبيرات وتسميات رغم جدتها وجاذبيتها، إلا أنها صرفتهم عن تدبر الطبيعة المرجعية للمسمى الذي تقع عليه هذه التسميات، مثل: بنك المعلومات، قاعدة البيانات، مرصد المعلومات، قاعدة المعلومات، الملفات المقروءة آلياً، الأوعية المحسبة، المحسبات، الخ.

ومع أن ذلك الكتاب، كان يتناول شريحة محدودة من أوعية المراجع وهي الببليوجرافيات فقط في نطاق موضوع واحد، لأن الأصل فيه وهو الرسالة وملحقها كانا مرتبطين بالاستخدامات الببليوجرافية للحسابات الألكترونية في الدراسات البترولية، إلا أنني بدافع ذلك الهدف الذي كان ومازال يشغلني، بصدد إقناع زملائي وإخواني وأبنائي في هذا التخصص، بضرورة الربط العلمي بين الوعاء المرجعي المطبوع والوعاء المرجعي الألكتروني، جعلت «المقدمة» التي صدرت بها هذا الكتاب، نافذة علمية تطل منها وجهات نظري نحو هذه القضية الحيوية، وخبرتي الطويلة في جانبيها المرجعي والألكتروني، فبلغت اثنتين وثلاثين صفحة كاملة، دون الاكتفاء بصفحة أو صفحتين تقدمان الشريحة المحدودة التي يتضمنها الكتاب.

ويهمني الآن للمرة السابعة أو الثامنة، أن يقتنع القارىء بتلك العلاقة العضوية، بين الوعاء المرجعي المطبوع بمعناه الوظيفي في تخصص المكتبات والمعلومات، والوعاء المرجعي المحسب الذي يؤدي الوظيفة نفسها تماماً. تعود أصحاب التخصص منذ بدايات القرن العشرين، أن يصفوا «المرجع» بأنه الكتاب الذي بطبيعة تنظيمه وبطبيعة المعلومات الموجودة فيه، لم يوضع لكي يقرأ من أوله إلى آخره قراءة متتابعة مستمرة، ولكنه وضع لكي يؤخذ منه معلومة أو معلومات معينة، استجابة لمشكلة بذاتها أو موقف يتطلب تلك المعلومات.

والحقيقة أن جوهر هذا التعريف، ينطبق تماماً على المختزنات الاسترجاعية من المعلومات بواسطة الحاسب الألكتروني، سواء أكانت معلومات عن الكتب، أو الأشخاص، أو الهيئات، أو المفردات اللغوية، الخ، حيث إن هذا النمط من الاختزان الألكتروني للمعلومات، وما يرتبط به من وجود نظام للاسترجاع، يؤدي بالضرورة إلى تحقيق الوظيفة الموجودة في المراجع التقليدية المطبوعة، وهي قدرتها على إمداد الباحث والمستفيد بما يتطلع إليه من المعلومات في أقل وقت ممكن.

ومن هنا لم أكتف في تلك الدراسة عام ١٩٧٩م، بمعالجة الأوعية الببليوجرافية وحدها بما يتبعها وتحتاج إليه من الملفات الاستنادية للأسماء ولرءوس الموضوعات، وأنا أقدم لكتاب يتناول هذه الشرائح فقط، ولكني تعمدت استعراض بضع فئات أخرى من الأوعية المرجعية تم تحسيبها فعلاً، في الميادين الإدارية والدليلية والفنية والإحصائية، أو حتى التي يجري العمل فيها على مستوى دولي تعاوني، كمشروع (الأسماء العربية: Onomasticon Arabicam) الذي يتولاه القسم العربي في «معهد بحوث وتاريخ النصوص .:I.R.H.T» الفرنسي، بإشراف «جورج فاجدا: Georges Vagda:» مع «جاكلين سوبليه: Jacqueline SubLet». ويتطلع هذا المشروع إلى الاختزان الألكتروني للمعلومات الأساسية، عن حوالي ٢٥٠ر٠٠٠ من رجال التراث الإسلامي، الذين ورد ذكرهم في كتب التراجم والطبقات على اختلاف أنواعها وأنماطها.

بل إنني إمعاناً في تحقيق هدفي السابق، تخيلت نموذجاً لمشروع يتم به تحسيب (معجم اكسفورد الوسيط : Shorter Oxford Dictionary)، فيتحقق له بذلك شكلان: تقليدي مطبوع وألكتروني محسب..! وكأني بذلك التخيل منذ ثماني سنوات، كنت أتوقع مايتطلع إليه الآن أصحاب هذا القاموس والقائمون بأمره، لينجزوا بعد عشر، سنوات أخرى، ليس تحسيب «الوسيط» وحده وإنما «الأصل» بمجلداته الاثني عشر، وكذلك «الملحق» بمجلداته الأربعة، ومزجهما معاً ليصدرا في شكلين مطبوع ومحسب، ومن هذا الشكل الثاني يمكن استخراج قواميس نوعية مختلفة، أحدها «الوسيط» الجديد..!

لقد سمعت بمشروع التحسيب والليزرة لقاموس أكسفورد أول مرة في يناير سنة ١٩٨٦م، في جلسة خاصة على لسان مسئول كبير في «المجلس البريطاني»، كان يزور القاهرة بمناسبة المعرض الدولي للكتاب آنذاك. ولم يظهر عنه حتى الآن فيما أعلم أية دراسة في مجلة علمية، وإنما هي تقارير داخلية محدودة التوزيع، وقعت لي من خلال «مكتبة الكونجرس» في أثناء الصيف الماضي. أما النموذج الذي تخيلته لذلك القاموس، فقد كنت أتحدث به إلى طلابي بعد ديسمبر سنة ١٩٧٥م، وكتبته ضمن الدراسة السابقة في ديسمبر سنة ١٩٧٩. فالمسافة الزمنية بين الحديث والفعل قد تبلغ عشر سنوات، وليس في البحث الأكاديمي تنبؤ بالغيب، ولكنه المنطق العلمي الذي يستطيع أن يستشرف المستقبل، إذا تهيأ لصاحبه هضم الظواهر الماضية وتحليل الوقائع السالفة، ومن ثم يمكن له تركيبها في أوضاع وأنماط مستقبلية جديدة...

تضمن ذلك الهدف الأساسي لدراسة سنة ١٩٧٩، ويتضمن الهدف الأساسي لهذه الدراسة عام ١٩٨٧ أيضاً، ألا يكون الإعجاب عند زملائي وأبنائي من طلاب التخصص، ببنوك المعلومات والإمكانات التكنولوجية القائمة عليها، بحيث ينسون أو يتناسون الأصول العلمية الدقيقة لتخصصهم، وأن يحتكموا إلى هذه الأصول المنهجية، في مواجهة كل جديد من ثمرات هذه التكنولوجيات الحديثة. فلكل جديد قديمه الذي ينجح قليلون في كشفه وربطهما معاً، ذلك الربط الذي يمنح الجديد فهماً أعمق، ويجعله في مستوى الرؤية الصحيحة. وبغير هذا الربط المنهجي، تختلط المدركات في ذهن صاحبها، وتضطرب عنده العلاقات بين حقائق هذه المدركات، ويضيع التوازن العلمي والشخصية الأكاديمية للتخصص.

وهناك بضعة أمور لتحقيق هذه الغاية المنهجية في أبناء التخصص، حرصت على بيانها في دراسة سنة ١٩٧٩م وأحرص عليها في هذه الدراسة، بمناسبة الربط بين المراجع المطبوعة والمراجع المحسبة بخاصة، وعند بحث العلاقة بين التكنولوجيات الحديثة وبين تخصص المكتبات والمعلومات بعامة.

١ — أولها : أن لكل تخصص مرتكزه الموضوعي الذي يتميز به، من التخصصات الأخرى المرتبطة به أو المجاورة له، رغم أن موضوعاتها في واقع الحياة قد تكون شيئاً واحداً. فإذا كانت الأوعية التقليدية للمعلومات من المخطوطات والمطبوعات، وغير التقليدية من المسموعات والمرئيات والمصغرات والمحسبات والمليزرات، هي الموضوع الذي تتشارك فيه علوم ومهن تستغرق مناشط الإنسان جميعاً، فإن المحتوى في هذه الأوعية هو عطاء كل التخصصات الأكاديمية وهو مرتكزها، كما أن تجسيدها في وسائطها المادية الورقية وغيرها، هو عطاء كثير من المهن والتكنولوجيات القديمة والحديثة، وتشمل الخطاطة والنسخ والطباعة والنشر والتوزيع بأنماطها التقليدية وغير التقليدية، وبوسائلها الآلية والكهربائية والمغناطيسية والألكترونية والليزرية.

أما المرتكز لتخصص المكتبات والمعلومات في تلك الأوعية، فيمكن تلخيصه في كلمتين اثنتين هي: الضبط والاستخدام، ويدخل فيهما الضبط الببليوجرافي لتلك الأوعية ولمحتوياتها واستخراج المعلومات منها، وكذلك تكوين المؤسسات التي تختزن تلك الأوعية لاستخدامها، أياً كانت التسمية التي تحملها تلك المؤسسات: مكتبة، أو مركزاً، أو خزانة، أو داراً، مصحوبة أياً منها بكلمة «توثيق» أو «معلومات» أو «كتب» أو غيرها من الكلمات التي تدل على قطاع معين من أوعية المعلومات. فليس هناك فرق في هذا المرتكز، بين الأوعية التقليدية التي تستخدم مباشرة دون أية آلة، وبين الأوعية غير التقليدية التي تتطلب عند الاستخدام الآلة الملائمة للوسيط، كمستعيد الصوت، أو الصورة، أو المقراء، أو الكمبيوتر، الخ.

ومن هنا يأتي اهتمام التخصص بدراسة الأوعية المرجعية، الصادرة في شكل تقليدي ورقي، أو في شكل غير تقليدي على شريط أو شريحة أو قرص أو أسطوانة، باعتبار أن المعلومات بداخلها قد ضبطت ونظمت بشكل خاص، يتيح المحتويات الجزئية الدقيقة في أي منها، للباحث والمستفيد في أقل وقت ممكن. فإعداد هذا النوع من الأوعية من ناحية الضبط والتنظيم، ومن ناحية المهارة في استخراج المعلومات من داخلها عند البحث والاستخدام، يدخلان في النطاق المباشر لتخصص المكتبات والمعلومات. والناحية الأولى تسمى «الدراسة الإنشائية» أما الناحية الثانية فتسمى «الدراسة الاستخدامية».

٢ — ثانيها : أن «الدراسة الإنشائية» بما تتطلبه من الضبط والتنظيم للمحتويات في الأوعية المرجعية، تتكفل بها مقررات ذات تسميات مختلفة باختلاف الأقسام والمعاهد المسئولة عن التخصص. ففي جامعة القاهرة مثلاً، حسب اللائحة الحديثة التي بدأت عام (١٩٨٤/١٩٨٥م)، يوجد مقرر باسم (نظم المعلومات الببليوجرافية)، يتم في النصف الأول منه دراسة الجوانب الفنية البنائية للمشروع الببليوجرافي، وهي: الهدف، والتغطية، والمصادر، والوصف، والتنظيم. وفي النصف الثاني من المقرر، تتم دراسة الجوانب التنفيذية للمشروع في النمط التقليدي بمتطلباته المعروفة، وفي النمط الألكتروني بمتطلباته التي تشمل: الآلة أو الآلات المستخدمة (Hardware)، والنظام أو النظم التي تعمل بمقتضاها تلك الآلات (Software)، والنظام أو النظم التي يتم بها تجهيز تلك

المعلومات وترتيبها حتى يتم اختزانها على الوسائط بتلك الآلات، والملف الأساسي والملفات الإضافية التي تتمثل فيها تلك المعلومات.

كما يوجد مقرر آخر مقارن لذلك المقرر الأول، باسم (علم المعلومات وتطبيقاته النوعية) يتكفل بالإعداد والضبط والتنظيم للمحتويات، في الأوعية المرجعية غير الببليوجرافية، كالإداريات، والفنيات، والدليليات، وجميع أنواع الكشافات غير الببليوجرافية. ويجري التدريس في هذا المقرر، بنفس المنهج المتبع في المقرر المقارن أعلاه: الوحدات الأولى مخصصة لدراسة الجوانب الفنية البنائية للمشروع، ثم تأتي الوحدات المخصصة لدراسة الجوانب التنفيذية للمشروع بنمطيه التقليدي الورقي والألكتروني المحسب.

وأما «الدراسات الاستخدامية» للأوعية المرجعية، فإن لها في القسم منذ إنشائه، مقررات تغيرت أسماؤها ومحتوياتها عبر تاريخه الطويل. وقد استقرت منذ عقدين على الأقل في مقررين أو ثلاثة، واحد أو اثنان للأوعية المرجعية المتخصصة، وقد توليتهما في الستينيات مرتين أو ثلاثاً. والمقرر الآخر للأوعية المرجعية العامة، وقد توليته لخمسة وعشرين عاماً متوالية (١٩٦٢ /١٩٨٦م)، وقد جعلت محتوياته منذ العام الجامعي (١٩٧٦ /١٩٧٧م) تتناول في الوحدات الأولى، الأوعية المرجعية التقليدية من الببليوجرافيات، والقواميس، ودوائر المعارف، والأدلة، الخ. كما تتناول الوحدات التالية مايسمى بنوك المعلومات، الببليوجرافية منها وغير الببليوجرافية كذلك، مثل: بنك «نيورك تايمز» للمعلومات، والفهرس الموحد ودائرة المعارف الأمريكية الأكاديمية في «مركز التحسيب المباشر للمكتبات: OCLC» بولاية أوهايو الأمريكية، الخ.

في هذه «الدراسات الاستخدامية» يتحتم قياس الدارس بالتعرف على الوعاء المرجعي، من خلال بضعة عناصر عرفها رجال التخصص وحددوها منذ أوائل القرن العشرين، وطبقوها على الأوعية المرجعية التقليدية. ويتفاوت هذا التطبيق فيبلغ في صورته الدنيا عشرة سطور أو أقل، وقد يصل في صورته العليا إلى بضع صفحات أو أكثر. وقد رأيت في دراستي عام١٩٧٩م، إمعاناً في الربط بين المراجع المطبوعة والمراجع المحسبة، أن أقارن بين العناصر التقليدية المتبعة في التعرف على الفئة الأولى، بتلك العناصر التي ينبغي أن تراعى في التعرف على الفئة الثانية.

وكانت النتيجة مستجيبة بدرجة عالية جداً لهدفي من الدراسة، حيث تبين أن العناصر الثلاثة الأساسية في التعرف الوظيفي واحدة في كل من الفئتين، وهي: مدى السعة في المراجع التقليدية ويقابلها «التعريف العام» في المراجع الألكترونية، والمادة المرجعية في الفئة الأولى ويقابلها «محتوى التسجيلة» في الفئة الثانية، وطريقة التنظيم في التقليدية ويقابلها «مداخل الاسترجاع» في الألكترونية.

٣ ـ **ثالث** تلك الأمور التي أحرص على إبرازها في هذه الدراسة، أن المراجع التقليدية كانت موضع الاهتمام البالغ منذ البدايات الأولى للقرن العشرين، من جانب المؤسسات المهنية والأكاديمية للتخصص، فنشرت الجمعية الأمريكية للمكتبات، دليلها الببليوجرافي المشهور لهذه الفئة من الأوعية للمرة الأولى عام ١٩٠٣ بعنوان (الدليل لدراسة الكتب المرجعية واستخدامها Guide to the Study and Use of Reference Books) من إعداد «أليس كروجر: Alice Kroger». ثم توالت الطبعات والقائمون بإعدادها حتى عام ١٩٥١م، حينما صدرت الطبعة السابعة له بعنوان (دليل الكتب المرجعية: Guide to Reference Books) من إعداد «كونستانس وينشل: Constance Winchell». وتتابعت الملاحق من قبل ومن بعد، وكانت الطبعة الأخيرة بملاحقها التي ظهرت منذ سنوات قليلة، مشتملة على حوالي عشرة آلاف مرجع.

وقد قامت بمثل ذلك «جمعية المكتبات» في وقت متأخر نسبياً عن «الجمعية الأمريكية للمكتبات»، فظهرت في لندن الطبعة الأولى من (دليل المواد المرجعية: Guide to Reference Material) عام ١٩٥٩م، وظهرت الطبعة الثانية في ثلاث مجلدات خلال الفترة (١٩٦٦ ـ ١٩٧٠م) وكلاهما من إعداد «ولفورد: Welford»، وتشتمل الثانية على حوالي عشرة آلاف مرجع أيضاً. وتأخرنا نحن في إعداد هذه الأدلة حتى عام ١٩٦٥م، فظهرت في البلاد العربية منذ ذلك التاريخ بضعة أدلة عربية، ليست في درجة واحدة من حيث محتواها والمنهج المتبع في إعدادها. وقد ساهمت أنا بدليلين أولهما عام ١٩٦٥م الذي نشرته في القاهرة الشعبة القومية لليونسكو بالتعاون مع اليونسكو في باريس، بثلاث لغات (العربية، والانجليزية، والفرنسية)، وثانيهما عام ١٩٧٥م، الذي نشرته في القاهرة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وتبلغ محتوياته عشرة أضعاف الدليل الأول.

أما بالنسبة لأدلة الأوعية المرجعية الألكترونية، فقد بدأ ظهورها منذ السبعينيات في كل من إنجلترا وأمريكا، على أيدي الأفراد والمكاتب الخاصة والمؤسسات التجارية وشبه التجارية. وتتناول هذه الأدلة بصفة عامة مجموعة واحدة من العناصر، عند التعريف بأي من البنوك الداخلة في الدليل، وتتوافق العناصر الثلاثة الهامة في هذه المجموعة، مع ما يقابلها من العناصر في التعرف على الأوعية المرجعية المطبوعة. وهو الأمر الذي يؤكد نظريتي بالنسبة للترابط العضوي بين الفئتين. بل إننا سنجد أن «أول الجديدين» في هذه الدراسة، وهو

دليل المراجع الألكترونية الذي أعدته «مارتا وليامز: Martha Williams»، يدخل بعد عشر سنوات من بداية ظهوره، إلى الحرم المهني للجمعية الأمريكية للمكتبات، فتنشر طبعته الحديثة وكأنما يعيد التاريخ نفسه، فتصبح «مارتا وليامز» في أواخر القرن العشرين خليفة «أليس كروجر» في أوائله.

وبالنسبة لنا في البلاد العربية، لم ندخل بعد مجال هذه الأدلة للأوعية المرجعية الألكترونية..! ذلك أن الذي قام به الدكتور سيد حسب الله، في ملحق رسالته للدكتوراه عام ١٩٧٩م، ونشره بعد ذلك في كتاب بعنوان (بنوك المعلومات)، لايتناول أكثر من بضع عشرات قليلة من بنوك المعلومات الببليوجرافية وحدها، دون الأنواع الأخرى وهي كثيرة، كما أن العدد الأكبر منها بنوك متخصصة، في العلوم بعامة وفي البتروليات بخاصة. ولم أنجح في إقناعه أن يصدر دليله في شكل الأوراق المنفصلة، وهو الشكل الذي يتيح الفرصة للتجديد والإضافة، أكثر سهولة من نظام الطبعات المتتالية ومن نظام الملاحق. ومن هنا فإن كثيراً من المعلومات الموجودة به في تغطيته المحدودة، أصبحت في حاجة كبيرة إلى التجديد والإضافة..!

٤ ــ ورابع الأمور التي أحرص على إبرازها في هذه الدراسة، وكنت قد تناولتها في دراسة ١٩٧٩، هو أن هذه الأدلة للأوعية المرجعية، مع الإضافات والتغييرات المستمرة في المحتويات، كانت في الماضي تعتمد على واحد من نظامين أو عليهما معاً، وهما الطبعات المتوالية من حين لآخر والملاحق المكملة لكل طبعة، وهذا هو النظام الأول. كما أن كثيراً من أصحاب الأدلة للمراجع الألكترونية، وتبلغ في الوقت الحاضر حوالي ثلاثين دليلاً، كانوا ومازالوا يواجهون الإضافات والتغييرات الكثيفة في محتويات أدلتهم، بإصدارها كمطبوعات منفصلة الأوراق، وهذا هو النظام الثاني.

ولكنني تنبأت في دراسة ١٩٧٩، أن المواجهة العصرية لهذه الإضافات والتغييرات، ولاسيما حينما تكون عالية الكثافة، كما هو الحال في الأوعية المرجعية الألكترونية، لابد أن يعتمد على الإمكانات التي أصبحت متاحة بواسطة الحاسبات الألكترونية. بل إنني تطلعت حينذاك إلى وضع نظام معلومات ببليوجرافي محسب، للمراجع الصادرة في البلاد العربية والصادرة باللغة العربية في كل بلاد العالم، وأشركت معي في هذا التطلع أخي وزميلي الدكتور محمد فتحي عبدالهادي، مشرفين على دراسة أكاديمية اعتبرناها الخطوة الأولى، في هذا التطلع العلمي الطموح..!

وإذا كان هذا التطلع قد توقف في خطوته الأولى، رغم الإرادة الصادقة لكل منا، ورغم تمهيد كل السبل المنهجية للقيام به وإنجازه، فإن «أول الجديدين» في هذه الدراسة، يؤكد أن هذا التطلع لم يكن خطأ في فروضه العلمية، وإنما في اختيار الشخص الذي يحقق أول هذه الفروض..! فقد اتفقت الجمعية الأمريكية للمكتبات، التي نشرت الطبعة الحديثة لأكبر الأدلة الخاصة بالمراجع الألكترونية، مع صاحبته «مارتا وليامز»، على اختزانه بالحاسب الألكتروني أيضاً، ليصبح بنك معلومات لبنوك المعلومات، ويجري العمل في الوقت الحاضر لإنجاز هذا الاتفاق...

خلفية لأول الجديدين :

بعد «تمهيد وخلفية» في بداية الدراسة، وبعدهما ضعف ماجاء فيهما وهو «بين بنوك المعلومات والمراجع» لم يعد «أول الجديدين» جديداً مائة في المائة، بالنسبة لقرائي الأعزاء.. فقد عرفوا فيما سبق من الدراسة، أن طبعته الأولى صدرت عام ١٩٧٦، وأن طبعته الحديثة نشرتها «الجمعية الأمريكية للمكتبات» عام ١٩٨٥م. وأن صاحبته هي «مارتا وليامز»، وأن محتويات الطبعة الأولى كانت حوالي ٣٠٠ بنك معلومات، بينما تشتمل الطبعة الحديثة على حوالي ٣٠٠٠ بنك معلومات، وأن الشكل الألكتروني للدليل يجري العمل فيه حالياً، ليصدر هذا العام أو فيما يليه..! فماذا يبقى للحديث عنه أو عن خلفيته بعد ذلك، في هذا الجزء الثالث من الدراسة...؟...!

تلك حقاً مجموعة أساسية من السمات الموجزة، قد يكتفي بها أصحاب القراءات الخفيفة السريعة، فليسعدوا بالقدر الذي يكفيهم..! أما أصحاب القراءات الدسمة العميقة، فإنهم يرون أن كل البيانات السابقة، قد أثارت اهتمامهم وأعدتهم لتلقي الوجبة الحقيقية، من المقارنات والتحليلات والتعليقات..! بل إن من حقهم أن يقولوا وأقول معهم: نحن لم نعرف بعد، حتى عنوان هذا الدليل في لغته الإنجليزية التي صدر بها..؟..!

وأبادرهم بأن عنوانه في الطبعة الحديثة هو نفسه في الطبعة الأولى دون تغيير (Computer-Readable Databases: A Directory and Sourcebook)، ولكنني لست أدري هل سيحتفظون بهذا العنوان، عندما يتم اختزانه بالحاسب الألكتروني، أم سيضعون له كبنك معلومات تسمية أخرى مختلفة؟ وهو مايحدث غالباً بالنسبة للأوعية المرجعية الألكترونية، لأسباب إدارية أو تسويقية، دون أن يكون هناك فرق واضح في المحتوى، بين الشكل التقليدي للمرجع وشكله الألكتروني.

وقد أوقعت نفسي غير نادم، بذكر الصيغة الإنجليزية للعنوان، في المأزق الذي حاولت تجنبه منذ البداية، أو تأخيره على الأقل إلى الوقت الذي أختاره بنفسي، دون أن يسوقني إليه أصحاب القراءات الدسمة العميقة، فأجاريهم فيما يطلبون وقد نسيت خطتي الأولى..! ذلك أن المقارنة السريعة بين المفردات الإنجليزية في النصف الأول

من العنوان، وهو العنوان نفسه بلغة أصحاب الوصف الببليوجرافي، وبين المفردات العربية التي استعملتها حتى الآن بحرية بالغة، للدلالة على المفهوم المقصود بمحتويات الدليل، ستعرضني لسيل من «التساؤلات والمحاكمات»، من جانب هؤلاء القراء الأعزاء..! فأين مفردات وتعبيرات مثل: مرجع غير تقليدي، مرجع محسب، مرجع ألكتروني، بنك معلومات، نظام معلومات ألكتروني، نظام معلومات محسب، مختزنة ألكترونية للمعلومات، وعاء مرجعي الكتروني، الخ، من التعبيرة الإنجليزية (Computer-Readable Databases) التي تبدو وكأنها مصطلح ثابت لاتجوز مجاوزته..!..

هناك حقاً أنماط متفاوتة من الاختزان الألكتروني للمعلومات، لايزيد أدناها كثيراً على نمط عصري حديث لوظائف «الآلة الكاتبة»، أو لوظائف «الجمع» في الطباعة دون استخدام الحروف المعدنية. ولايدخل هذا المستوى ومايقرب منه في دراستنا هذه طبعاً، ولايستحق أي منها أن يوصف بأي من التعبيرات التي استخدمتها. كما أن الأدلة التي تهمنا في هذه الدراسة، وفي قمتها دليل «مارتا وليامز»، لاترصد في محتوياتها هذه الأنماط الدنيا من الاختزان الألكتروني. ولكن هذه النقطة الإيضاحية رغم أهميتها القصوى في تجلية الصورة المقصودة، لاتفسر لنا هذا السيل من المترادفات العربية التي استخدمت في الصفحات السالفة من الدراسة، ولاتوضح لنا مصادرها ولا تبين دوافع هذا الاستخدام المتنقل ولا غاياته..!..

وأنا من جانبي أعترف بأن جوانب أخرى في الصورة، غير المصادر والدوافع والغايات، قد تكون أشد حاجة إلى الإيضاح والتجلية..! إن الترجمة الحرفية للعنوان نفسه الإنجليزي (قواعد البيانات المقروءة بالكمبيوتر) تختزن من التسطيح والإبهام، مثل ماهو موجود في كل المفردات والتعبيرات التي استخدمتها أنا. ومن هنا فلابد من رسم الإطار الأوسع، المرتبط بالمفهوم الذي استخدمت له كل تلك التسميات والتعبيرات. ويقوم هذا الإطار على أربعة أركان: التسميات المستخدمة للمختزنات الألكترونية من المعلومات، وفئات هذه المختزنات من حيث طبيعة المعلومات المختزنة فيها، والمستخرجات التي تأتينا منها عند الاستخدام، ومؤسسات العمل والتعامل مع تلك المختزنات.

أولاً — أما بالنسبة للتسميات، فهناك ثلاثة عناصر ينبغي أن تتضمنها التسمية، بصرف النظر عن الكلمات والمفردات التي تبرز هذه العناصر صراحة أو ضمناً، وبصرف النظر عن أن بعض التسميات يمكن أن تبرز أحد العناصر مرتين صريحاً ومتضمناً. أول العناصر الثلاثة هو المعلومات أو البيانات، ولافرق بينهما بالنسبة للعنصر الثاني، وهو استخدام الحاسب الألكتروني في تسجيلها. هناك حقاً من يستخدم «البيانات» للعناصر الأولية البسيطة، و«المعلومات» للعناصر الاستنتاجية الأعلى. وإذا كان لهذا التمييز مايبرره، توضيحاً للفرق بين المستويين، فهي مسألة نسبية يهتم بها المستفيد، وكل منهما إذا أردنا يتم تسجيله بالحاسب الألكتروني بنفس المتطلبات دون تمييز، ولاسيما حين ندخل العنصر الثالث في الاعتبار، وهو أن يكون التسجيل بحيث يمكن استرجاع أي جزء من المحتويات عند الحاجة حسب الطلب.

في نطاق هذه العناصر الثلاثة، نجد أن كلمة «مرجع» تتضمنها جميعاً باستثناء أنها لاتميز بين التسجيل بالمطبعة والتسجيل بالحاسب الألكتروني، وينبغي لذلك أن توصف بما يحقق هذا التمييز، ويصلح لهذه المهمة كلمات مثل: ألكتروني، أو محسب، أو غير تقليدي. ولما كانت كلمة «مرجع» تتضمن في سياقها الاصطلاحي الأصلي البيانات والمعلومات، فإنها لاتحتاج إلى أي منهما في التسمية. وعلى العكس من ذلك نجد كلمات «بنك» و«قاعدة» و«مرصد» و«نظام»، ولكل منها سياقها الأصلي البعيد أو العام، فاحتاجت كل منها إلى كلمة «معلومات» أو «بيانات» لتصرفها عن سياقها البعيد أو العام، وتضعها في السياق المقصود. ويلاحظ أن هذا السياق المقصود بالنسبة للكلمات الثلاث الأولى ليس مجرد البيانات والمعلومات، ولكنه يتضمن استخدام الحاسب الألكتروني في تسجيلها واسترجاعها. أما تعبيرة «نظام معلومات» فتشبه — بسبب المعنى العام لكلمة نظام — كلمة «مرجع» التي تصدق على التقليدي وغيره، فتحتاج مثلها إلى كلمات التمييز نفسها: ألكتروني، أو محسب، أو غير تقليدي.

بالتحليل السابق للمفهوم بعناصره الثلاثة، وللمفردات المتفاوتة في إبراز هذه العناصر، سواء أكانت أصلية أو مستعارة لهذا الغرض، ولمستويات التعبير عن هذه العناصر بالصراحة أو بالتضمين أو حتى بالتكرار، نجد أن الكلمة الثالثة في العنوان الذي اختارته «مارتا وليامز» لدليلها، كانت تكفي وحدها للتعبير عن المفهوم بعناصره الثلاثة، وكان يمكن أن تختار تعبيرة «بنوك معلومات». أما إضافة التركيبة المكونة من الكلمتين الأوليين «Computer-Readable» فهي لزيادة التأكيد، لأن «قواعد البيانات» أو «قواعد المعلومات» أو «مراصد البيانات» أو «مراصد المعلومات»، لايستخدم «الكمبيوتر» في قراءتها فقط، ولكنها تسجل وتختزن بواسطته أيضاً. وينبغي ألا ننسى كذلك حقيقة هامة، وهي أن أصحاب المؤلفات بعامة والمؤلفات من هذا النوع بخاصة، يحرصون على صياغات أسلوبية لعناوين أعمالهم، يتجاوزون فيها قليلاً أو كثيراً عن المساواة التامة دون زيادة أو نقص، بين التسمية والمسمى. وأسباب هذا التجاوز قد تكون إدارية أو

تسويقية، أو حتى لمجرد إثارة الاهتمام وجذب الأنظار..!

إن استعارة كلمة «بنك» نفسها من سياقها الأصلي للنقود، إلى سياق البيانات والحقائق والمعلومات، هو نفسه من هذا القبيل، مع قدر غير قليل من الخيال الطيار، الذي استطاع أن يقتنص هذه الاستعارة الجذابة..! لقد ولدت التسمية «بنك المعلومات» وانتشرت في أمريكا أول الأمر باللغة الإنجليزية طبعاً، ثم انتقلت إلى البلاد واللغات الأخرى، لأسباب كثيرة قد يكون أهمها، هو اتتمتع به هذه التعبيرة من الطرافة والسهولة معاً..! ولكن السبب الأهم عندي وعند علماء الدلالات، هو القدر الكبير من الشبه بين المعالجات، التي تتم بالنسبة للنقود وهي المحتويات في البنوك الحقيقية، وتلك المعالجات التي تتم بالنسبة للمعلومات وهي المحتويات في المختزنات الألكترونية. ومن الطبيعي أن تكون هذه المقارنة بين المعالجتين في البيئة الأمريكية صاحبة التسمية، وليس في البلاد النامية مثلاً، التي تأخذ فيها النقود والمعلومات، وضعاً آخر لم يبلغ بعد وضعهما هناك.

القدر الأكبر من رصيد النقود في البيئة الأمريكية موجود في البنوك، وليس في جيوب المواطنين أو خزائنهم الخاصة. وكل إضافة أو حذف أو نقل من حساب شخص إلى آخر، يتم تسجيله في هذا البنك أو ذاك، دون الحاجة إلى وضع هذه المبالغ في أيدي أصحابها عند هذا الانتقال. كما أن كل شخص يستطيع أن يبيع ويشتري، ويقرض ويستقرض، بنقوده التي ليست في يده، ولكنها مع غيرها من النقود في البنك.

إن النقود في هذا النمط المثالي للبنوك، تشبه المعلومات في المختزنات الألكترونية، حيث يستطيع كل باحث وقارىء، أن يستخدم المعلومات المختزنة ألكترونياً، دون أن تتحرك هذه المعلومات من مختزناتها، كما يمكن الإضافة إلى هذه المعلومات، والحذف منها، وتغيير بعضها، حسب الوضع الجديد والحقيقة الموضوعية، تماماً كما يحدث للنقود في البنوك، عند كل تقييد أو حذف أو إضافة أو نقل من حساب إلى حساب، ليسجل ذلك فوراً، وتمثل الأرقام الجديدة، الحقيقة الآنية لأوضاع النقود في البنك. وهذه «الحقيقة الآنية» بالنسبة للنقود، هي التي تسمى في بنوك المعلومات «الوضع الحالي» أو «الحقيقة الواقعية» أو «Real Time».

أما الأوضاع في البلاد النامية، بالنسبة للمعلومات وبالنسبة للنقود أيضاً، فماتزال بعيدة عن ذلك المستوى الأنفع في كل منهما، وما تزال هناك اختناقات كثيرة، تعوق انسياب المعلومات وانسياب النقود كذلك، فتحجب أو تؤخر وصول كل منهما، إلى الموقع الأمثل للاستخدام والاستثمار. هذا على الرغم من أننا في البلاد العربية، التي تدخل في نطاق الدول النامية، كنا إلى عهد قريب ومازلنا في المغرب الأقصى، نطلق كلمة «الخزانة» بدلاً من «المكتبة» على تلك المؤسسة التي تتعامل مع «المعلومات»..!

ثانياً : وأما فئات هذه المختزنات الألكترونية من حيث محتوياتها، فهناك فئات كثيرة ومختلفة من البيانات والحقائق والمعلومات، التي يمكن اختزانها بالحاسبات الألكترونية، فتصبح قواعد أو مراصد أو بنوكاً للمعلومات. هناك مثلاً بيانات وحقائق معروفة، عن الآلاف أو مئات الآلاف من الحشرات والنباتات والمركبات الكيماوية، قد تكون مسجلة في كتب مرجعية أو أدلة مطبوعة. فإذا اختزنت تلك الحقائق والبيانات بالحاسب الألكتروني، بحيث يمكن استرجاع أي من البيانات الفردية أو النوعية حسب الحاجة، فهذه الأدلة أو الكتب المطبوعة تتحول إلى مختزنات ألكترونية أو محسبة للمعلومات، تسمى غالباً بنوك معلومات، أو مراصد أو قواعد للبيانات أو المعلومات. وقد يفضل بعض المتخصصين تسميتها نظم معلومات ألكترونية. ومن الضروري على أية حال إضافة مايميّز طبيعة المختزنات، فنقول مثلاً: بنك معلومات للحشرات أو النباتات أو المركبات الكيماوية.

ونستطيع أن نطبق مايحدث بالنسبة للأدلة المطبوعة للحشرات أو النباتات أو المركبات الكيماوية، على الكتب السنوية للإحصاءات العامة، التي تصدرها الحكومات والمؤسسات الدولية، وعلى أدلة التليفونات للأقطار أو المدن الكبرى، وعلى نوعيات أخرى من الأدلة المطبوعة، التي يحتوي كل منها على: الآلاف أو عشرات الآلاف من الهيئات أو الأفراد أو الأشياء، في قطر بعينه، أو في أحد القطاعات أو التخصصات أو المهن، على المستوى الدولي أو الإقليمي أو الوطني. فيصبح مايسجل من معلومات عن أي شيء من ذلك، مختزنة ألكترونية أو محسبة لتلك المعلومات، تسمى غالباً «بنك معلومات»، وقد تسمى مرصداً أو قاعدة للبيانات أو المعلومات. ومن الضروري في كل حالة، اشتمال التسمية على مايميز طبيعة البيانات أو الحقائق أو المعلومات المختزنة، من الناحية الكمية والنوعية والزمنية والمكانية. وبيان هذه النواحي بجانب عناصر أخرى في كل بنك معلومات، هو الذي تقوم به أدلة تلك البنوك أو المراصد أو القواعد، بصورة موجزة أو متوسطة أو مفصلة،كدليل «مارتا وليامز».

ومن أهم الفئات في البيانات والمعلومات المختزنة بالحاسب الألكتروني، بيانات الكتب والدوريات والمقالات والمسموعات والمرئيات وغيرها، من الوصف البيليوجرافي والتحليل الموضوعي والتصنيف والاستخلاص، كلها أو مايمكن الاكتفاء به منها.

فالمكتبات ومراكز المعلومات مثلاً، التي تقتني مئات الآلاف أو الملايين من تلك المواد، تعودت أن تعد مئات الآلاف أو الملايين من البطاقات لضبط مقتنياتها وإتاحتها، في شكل فهارس بطاقية أو مطبوعة. هذه المكتبات والمراكز بدأت منذ عشرين عاماً تقريباً، تختزن هذه الملايين من البطاقات بالحاسب الألكتروني. فهنا أيضاً نجد مختزنة ألكترونية للمعلومات، أو نظام معلومات آلي، قد يسمى بنكاً أو مرصداً أو قاعدة للمعلومات أو البيانات. وعند التحديد الذي لايمكن الاستغناء عنه، قد نقول: فهرس ألكتروني أو فهرس محسب أو نظام آلي للمعلومات الببليوجرافية، بينما توصف كل الأمثلة السابقة بأنها نظم معلومات غير ببليوجرافية أو بنوك معلومات غير ببليوجرافية.

إن كل التسميات التي ناقشناها في الركن الأول من هذا الإطار تعني الجانب الشكلي فقط بعناصره الثلاثة: معلومات أياً كانت + منظمة للاسترجاع + بواسطة الحاسب الألكتروني. أما الجانب الموضوعي لهذه المعلومات، وهو الركن الثاني في الإطار، فيمكن على أساسه أن نقسم المختزنات الألكترونية من المعلومات إلى قطاعين متقابلين: بنوك المعلومات الببليوجرافية وبنوك المعلومات غير الببليوجرافية.

في البنوك الببليوجرافية لايجد الباحث أو المستفيد أكثر من بيانات معيارية، عن الكتب والدوريات والمقالات والمسموعات والمرئيات التي يبتغيها، وهو نفس القدر من البيانات الذي يجده في الفهارس والببليوجرافيات والكشافات التقليدية. أما بنوك المعلومات في القطاع غير الببليوجرافي، فإنها على اختلاف موضوعاتها من العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم البحت والتطبيقية، وعلى اختلاف أشكالها من الإحصائيات والأدلة والتراجم والتقاويم والموسوعات، تحتوي على البيانات والمعلومات، التي تعوّد المستفيدون أن يجدوها، في الأوعية المرجعية نفسها بأشكالها التقليدية.

وتشتمل الأدلة الشاملة لبنوك المعلومات عادة، كما هو الحال في دليل «مارتا وليامز»، على مايوجد في القطاع الببليوجرافي وفي القطاع غير الببليوجرافي دون تمييز، مع بيان الطبيعة الذاتية الكبرى، حسب الاهتمامات من جانب رجال الإنسانيات والاجتماعيات والعلميات والتطبيقيات.

ثالثاً ــ وأما بالنسبة للمستخرجات التي تأتينا من بنوك المعلومات عند الاستخدام، فقد تطور هذا الجانب في تكنولوجية الحاسب الألكتروني خلال بضعة أجيال متتالية ومتداخلة من هذه التكنولوجية، وأصبح من الممكن في الوقت الحاضر، أن يحصل المستفيد على أنواع مختلفة من المستخرجات والخدمات، التي تتلاءم مع الإمكانات المتاحة في الحاسب نفسه، وتستجيب للاحتياجات والأهداف التي تختلف بين المستفيدين. ومن المفضل لبيان تلك المستخرجات وهذه الخدمات، أن نأخذ مثالاً أو نموذجاً واضح المعالم لبعض بنوك المعومات، من الفئات التي مضى ذكرها في الركنين السابقين، لنستعرض مستخرجاته وخدماته بصورة دقيقة محددة. وقد يكون بنك المعلومات الببليوجرافي هو النموذج المثالي لهذا الغرض التوضيحي، لأنه انتشر في العقد الأخير انتشاراً واسعاً، ولأنه يتلاءم مع المدركات العامة لأكثر الشرائح بين القراء والباحثين.

إذا تصورنا وجود «المكونات المادية: Hardware» و«المكونات التنظيمية: Softwore» الملائمة، لاختزان الآلاف أو مئات الآلاف أو الملايين من البطاقات، التي تشتمل كل منها على بيانات الوصف، والتحليل الموضوعي، والتصنيف، والاستخلاص، كلها أو مايكفي منها حسب النظام الببليوجرافي المتبع، للكتب والدوريات والمقالات والمسموعات والمرئيات، بمايبلغ بضعة سطور أو أقل أو أكثر لكل بطاقة، فهناك إمكانات متفاوتة لاستثمار هذه المختزنات الألكترونية من البيانات الببليوجرافية، حسب مستوى المكونات المادية والتنظيمية المتاحة، وحسب الاحتياجات والأغراض التي يحددها أصحاب هذه المختزنات أو المستفيدون منها.

من الممكن أولاً، استثمار هذا الرصيد في استخراج بطاقات فردية مطبوعة، وهو ماتقوم به «مكتبة الكونجرس» حالياً، في خدمة جديدة تسميها «خدمة التوعية: Alert Service»، وهي نوع من خدمات «البث الانتقائي للمعلومات: SDI». ويمكن لأي فرد أو هيئة، أن يحدد شريحة أو أكثر من حوالي ألف شريحة تمثل المعرفة الإنسانية كلها، حسب خطة التصنيف المعروفة لمكتبة الكونجرس، ويتسلم أسبوعياً بطاقات فهرسة فردية مطبوعة على ورق سميك، تمثل الكتب في الشرائح المختارة التي دخلت بياناتها إلى بنك المعلومات الببليوجرافي للمكتبة، خلال الأسبوع الذي يسبق وصولها للمشترك، مقابل ١٥ سنتاً لكل بطاقة، وهي بطاقة كاملة البيانات لأنها نسخة طبق الأصل من النظام المتبع في المكتبة.

وقد استثمرت مجلة «عالم الكتاب» القاهرية هذه الخدمة، فنشرت في العدد الثامن (أكتوبر ــ ديسمبر ١٩٨٥م) نماذج هذه البطاقات، في ثلاث شرائح فقط، هي: الإسلام، واللغة العربية، والبلاد العربية بافريقيا، اشتركت فيها خلال بضعة أسابيع أواخر صيف ١٩٨٥م. واختارت للنشر في ذلك العدد من البطاقات التي جاءتها، تلك التي تمثل كتباً في هذه الشرائح بثلاث لغات فقط، هي: الإنجليزية والفرنسية والألمانية. كما خصصت افتتاحية العدد نفسه لدراسة موجزة عن هذه الخدمة وعن التجربة التي قامت بها المجلة.

ومن الممكن ثانياً، استثمار هذا الرصيد الضخم من البطاقات المختزنة في إصدار ببليوجرافية مطبوعة، باختيار قطاع أو قطاعات معينة قد تبلغ الآلاف أو حتى عشرات الآلاف، حسب النطاق المختار لمشروع القائمة، مكانياً وزمانياً ونوعياً. وتقوم بذلك فعلاً مكتبة الكونجرس، بالنسبة لأكثر من مليون ونصف مليون بطاقة، اختزنتها بالحاسب الألكتروني منذ سنة ١٩٦٩م، فتستخرج منها من حين لآخر مثلاً: الكتب بلغات أوربا الغربية عن إفريقيا جنوب الصحراء؛ أو الدوريات التي صدرت في مصر قبل ثورة ١٩٥٢؛ أو المطبوعات الموجودة في قاعة المطالعة الكبرى بمكتبة الكونجرس. وتخرج هذه القوائم إما نسخة واحدة مباشرة من طابعة الحاسب، يمكن طبع مئات أو آلاف منها بعد ذلك، أو وسيطاً تكنولوجياً تغذي به آلات الطباعة المألوفة. ومن الممكن أن تكون المستخرجات من هذه البطاقات المطبوعة، كاملة البيانات أو مجزوءة حسب الطلب، ومن الممكن أن يكون ترتيبها بأي عنصر في البطاقة يقع عليه الاختيار. بل من الممكن أن يتم ذلك كله لجميع البطاقات، إذا كان مثل هذا المشروع مطلوباً، وليس لمختارات معينة منها.

إذا كانت المستخرجات الممكنة في الفقرتين السابقتين، تصدر في الشكل التقليدي الورقي، سواء البطاقات الفردية أم القوائم الببليوجرافية بشرائحها المختلفة، أم الفهرس كله كاملاً، لأن هناك احتياجات ومواقف تتطلب هذا الشكل، فما يزال من الممكن أيضاً أن تصدر القوائم الببليوجرافة المتنوعة، وكذلك الفهرس كله، في أي من المصغرات الفيلمية، أشرطة على بكرات (ميكروفيلم) أو جذاذات مصغرة (ميكروفيش)، وهو ماتقوم به فعلاً مكتبة الكونجرس، بالنسبة للفهرس القومي الموحد منذ يناير سنة١٩٨٣. وقد اختارت له هذا الشكل غير التقليدي، لأنه أرخص ثمناً وأكثر مرونة، فقد بلغ الاشتراك السنوي للشكل المطبوع في بداية الثمانينيات حوالي ٥٠٠٠ دولار، بينما الاشتراك السنوي للشكل المصغر حوالي ٥٠٠ دولار.

المستخرجات التقليدية بعد صدورها، لاتتطلب من المستفيد أية آلة للانتفاع بها، بينما المستخرجات المصغرة تتطلب «مقراء» الأشرطة أو الجذاذات. أما إذا توفر عند المستفيد حاسب ألكتروني بمتطلباته المادية والتنظيمية، فقد يكون من المفضل أن تستخرج له القوائم الببليوجرافية المتنوعة، أو الفهرس كله، على شريط أو شرائط ممغنطة. وهو ما تقوم به مكتبة الكونجرس منذ عام ١٩٦٩ مع بضع مئات من المكتبات، كانت في الماضي تشتري بطاقات مكتبة الكونجرس وفهارسها المطبوعة، ثم استبدلت بهما هذه الشرائط، التي تنقل منها محتوياتها ببرنامج خاص لذلك، لتضعها في مختزناتها الببليوجرافية الألكترونية. وهو نفسه مافعلته مكتبة جامعة الملك سعود، فقد حصلت على حوالي عشرة أشرطة بأطوال كبيرة وكثافة عالية، تحتوي على حوالي مليون ونصف مليون تسجيلة ببليوجرافية، هي نفسها ماتختزنه مكتبة الكونجرس في بنك المعلومات الببليوجرافي عندها. وبعبارة أخرى تستطيع مكتبة جامعة الملك سعود من الناحية التكنولوجية، أن تستثمر محتويات هذه الشرائط في إنشاء بنك معلومات ببليوجرافي آخر، إذا كانت تملك المكونات المادية والتنظيمية الملائمة.

أما إذا كان المستفيد يملك المكونات المادية والتنظيمة، التي تتطلبها الأقراص المليزرة، فمن الممكن بدلاً من الأشرطة الممغنطة بنظام التحسيب، أن يوضع مليون ونصف مليون من البطاقات أو أكثر، وهي كل مختزنات مكتبة الكونجرس، على قرص واحد بنظام الليزرة، الذي يعتمد على الطاقة الضوئية في اختزان البيانات. ومن الطبيعي أن اختزان حوالي بليون ونصف بليون أو أكثر من الحروف بالطاقة الضوئية، يتطلب مئات الآلاف من الدولارات أو أكثر، ينفقها المستثمر لإنجاز هذه التكنولوجية. ومن هنا فلابد أن تكون هناك سوق واسعة ومستمرة، لتوزيع مئات النسخ أو أكثر من هذا القرص، لاستعادة هذه التكاليف ولتحقيق هامش من الربح، يغري صاحب رأس المال بمثل هذا المشروع. وهذه هي الأسس الاقتصادية نفسها المتبعة، في مشروعات النشر التقليدي للمطبوعات.

ومع أن «مكتبة الكونجرس» تقوم حالياً بمشروع تجريبي لاستخدام الأقراص المليزرة. في صيانة بعض مقتنياتها التقليدية، إلا أنها لم تبدأ ذلك بالنسبة لبنك المعلومات الببليوجرافي عندها. وقد أعلنت أواخر ١٩٨٦ أن هذا البنك الببليوجرافي سيتاح على أقراص مليزرة، من فئة (قرص مدمج — ذاكرة قراءة فقط: قم — ذاقف: CO - ROM) بعد عامين. ولكن «دائرة المعارف الأكاديمية الأمريكية» التي تَبلُغ ٢١ مجلداً (١٠٠ مليون حرف) في شكلها المطبوع، تم اختزانها على وجه واحد من قرص مليزر أواخر ١٩٨٥م، من جانب الدار التي تملكها وهي «جروليير: Grolier»، وقد حددت له ثمناً يبلغ حوالي ٢٠٠ دولار، لأنها تتوقع لها سوقاً واسعة ومستمرة، في أمريكا وأوربا الغربية واليابان، حيث يوجد كثيرون يملكون المكونات المادية والتنظيمية، لاستخدام هذا القرص بديلاً للدائرة المطبوعة.

وأخيراً يمكن استخراج البيانات الكلية أو الجزئية، في أية بطاقة أو عدد من البطاقات المختزنة في بنك المعلومات الببليوجرافي بمكتبة الكونجرس، حسب الحاجة والطلب، على شاشات المنافذ (المطرافات) التي تملك المكتبة منها حوالي ١٥٠٠ منفذ، في

مبانيها الثلاثة الكبرى، وفي قاعات مجلس الشيوخ ومجلس النواب بمباني الكابيتول. ويمكن أن تكون هذه المنافذ في كل أنحاء أمريكا وفي القارات الأخرى، إذا توفرت قناة الاتصال بالكابلات النحاسية أو الضفائر الزجاجية أو بالقمر الصناعي. بل يمكن بهذه القنوات مع «بروتوكول» معياري يتم الاتفاق عليه، أن تنتقل البيانات الببليوجرافية مباشرة، من وإلى مختزنات مكتبة الكونجرس مع مختزنات «مكتبة نيويورك العامة» القريبة نسبياً، أو المختزنات بأية مكتبة أخرى تبعد آلاف الأميال.

تلك هي الصورة المتكاملة للمستخرجات، التي يمكن الحصول عليها من بنوك المعلومات بصفة عامة، وهناك تفاصيل كثيرة لم نتطرق إليها، بالنسبة للمستخرجات السابقة: التقليدية، والمصغرة، والمحسبة، والمليزرة، والمواجهة «المباشرة: On-Line»، و«حاسب ــ إلى ــ حاسب: Computer-to-computer»، فليس لتلك التفاصيل مكان في هذه الدراسة نصف المتخصصة. ومن الطبيعي أن بنوك المعلومات التي رصدتها «مارتا وليامز» في دليلها، تتفاوت تفاوتاً كبيراً بالنسبة لما يتوفر فيها من إمكانات، ليس فقط بسبب التفاوت في المكونات المادية والتنظيمية المستخدمة في كل منها، وإنما إضافة إلى ذلك بسبب اختلاف الطبيعة العامة للمعلومات المختزنة في كل منها، وتفاوت الاحتياجات والأغراض التي حددها أصحاب البنك عند إنشائه. ويحاول أصحاب هذه الأدلة الإشارة إلى هذا التفاوت، بمقدار مايتاح لهم من بيانات وفي حدود المساحة التي يعطونها لكل بنك في الدليل، وهي في الغالب صفحة واحدة أو أقل.

رابعاً ــ وأما بالنسبة لمؤسسات العمل وعناصر التعامل، مع المختزنات الألكترونية من المعلومات، فقد تطورت منذ أواخر الستينيات تطورات مذهلة، في جوانبها التكنولوجية والاقتصادية والاستخدامية (الاستهلاكية) بدرجة تكاد تكون واحدة في الأضلاع الثلاثة لهذا المثلث. ويكفينا في هذه الدراسة مؤشر واحد، تأييداً للمقولة التي أستهل بها هذا الركن الرابع والأخير، في الإطار الأوسع للمختزنات الألكترونية من المعلومات.

قدرت «مكتبة الكونجرس» عام ١٩٦٩م، عندما بدأت مشروعها المعروف باسم (فما : MARC) لاختزان بطاقات «الفهرسة المقروءة آلياً» بالحاسب الألكتروني، أن تكاليف الاختزان الاسترجاعي للحرف الواحد تبلغ دولاراً، ثم أصبحت التكاليف بعد ذلك دولاراً لكل مائة حرف. وإذا كان في ذلك مؤشر بارز إلى درجة التطور في الجانب التكنولوجي، فإنه يتضمن أكثر من مؤشر بنفس الدرجة إلى الجانبين الاقتصادي والاستخدامي (الاستهلاكي)، ولاسيما أن هذه التكلفة التي انخفضت مائة مرة، يمكن أن يزداد معها الربح مائة مرة أخرى، حين تتسع السوق الاستهلاكية للمنتجات. وليس هناك أقدر من التكنولوجيات الحديثة، وفي مقدِّمتها الحاسب الألكتروني، على الاستجابة لكل احتياجات السوق مهما اتسعت كمياً ونوعياً..!

المعلومات حين تتمثل في أوعية أياً كانت مواد خاصة، للإنسان دور في إنتاجها وفي حيازتها، كما أن هناك احتياجات متعددة لاستخدامها والانتفاع بها. ومن الطبيعي أن تكون بسبب تلك الحيازة وهذه الاحتياجات، موضعاً للتبادل والمعاملات التجارية وشبه التجارية وغير التجارية، حسب العصر والبيئة. وقد كانت كذلك فعلاً منذ أزمان طويلة، فكل منا يعلم أن وعاء المعلومات العلمية المترجم إلى العربية، كان «حنين بن إسحاق» يأخذ وزنه ذهباً من الخليفة العباسي، حين يقدمه إلى خزانته. وكان المؤلفون والعلماء في ظلال الحضارة العربية والإسلامية، يصنفون كتبهم ومؤلفاتهم برسم الخزانة العلمية لذلك السلطان أو هذا الأمير، بسؤال منهما أو بدون سؤال، رداً لعطاء سبقا به أو طمعاً في عطاء منتظر. وكان الأمر كذلك في أوربا حتى أوائل عصر النهضة، ولعقود قليلة بعد ظهور الطباعة.

وإذا كان اختراع الطباعة لم يلبث طويلاً، حتى تحول بفضل رجال الأعمال في القرن السادس عشر ومابعده، إلى مهنة وتجارة تستثمر فيها الأموال، وهي تكنولوجية محدودة بالمقارنة مع الحاسب الألكتروني وغيره من التكنولوجيات الحديثة، فالمناشط المرتبطة بالاختزان الألكتروني للمعلومات، أصبحت في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، إحدى الصناعات الكبرى التي تتولاها مؤسسات وشركات تكنولوجية واقتصادية ضخمة، وميداناً فسيحاً للأعمال التجارية والاستثمارية: فيه المنتجون الأساسيون، وفيه الوسطاء كباراً وصغاراً، وفيه الناقلون والموزعون، وفيه المستخدمون والمستهلكون؛ بل وفيه شريحة غير صغيرة من المتطفلين والمزيفين..!

وأرى لبيان الأطراف الفعالة في هذه الصناعة والتجارة، والقواعد التي تحكم العلاقات بينها، والخطوط التي ترسم طرق التعامل وعقد الصفقات، أن نختار مشروعاً أو مشروعين تتمثل فيهما الأطراف الأساسية والعلاقات وطرق التعامل، بصورة تخلو من اللبس أو الغموض أو التداخل.

في عام ١٩٨١ قام «مركز التحسيب المباشر للمكتبات: OCLC» بمشروع تحسيب ألكتروني، أطلق عليه «القناة ٢٠٠٠» ولايخفى ما تحمله هذه التسمية من دلائل مباشرة على طبيعة المشروع. اختزنوا بضع فئات من المعلومات التي تعود المستفيدون أن يحصلوا عليها من الأوعية الورقية، وكان من هذه المختزنات المحسبة «دائرة المعارف الأكاديمية الأمريكية»، التي تتكون من واحد وعشرين مجلداً

بها حوالي ٣٢٫٠٠٠ مقالة، والفهرس الكامل للمكتبة العامة بالمدينة، التي نفذ بها المشروع وهي مقر المركز نفسه، ويتكون هذا الفهرس من حوالي ٥٠٠٫٠٠٠ بطاقة. وقد اشترك في المشروع حوالي ١٠٠٠ أسرة بالمدينة، وتم الاتفاق معهم على أنهم يستطيعون، بالهاتف والتلفاز الموجودين بالمنزل، ومعهما جهازان صَغيران (طابعة + محول نبضات الاتصال: MODEM) يقدمهما المركز صاحب المشروع ــ يستطيعون أن يبحثوا في محتويات دائرة المعارف والفهرس المختزنين، تماماً كما يبحثون فيهما وهما مطبوعان، فيظهر أمامهم مايبحثون عنه، مكتوباً على «شاشة» التلفاز المنزلي، كما تقدم لهم الطابعة ذلك الجزء الذي ظهر على الشاشة إذا أرادوا.

مشروع القناة (٢٠٠٠) يبدو وكأنّ فيه طرفين اثنين فقط، هما «مركز التحسيب المباشر للمكتبات» صاحب المشروع طرفاً أول، وهذه الأسر الألف في المدينة الأمريكية طرفاً ثانياً. ولكننا لو تدبرنا المشروع من الناحية التكوينية الفعلية. لوجدنا طرفين آخرين، يسبق أحدهما الطرف الأول، ويسبق الآخر الطرف الثاني. فهناك الطرف صاحب الحق في تلك المعلومات المختزنة، وهو بالنسبة للفهرس المكتبة التي أنشأت البطاقات، وهي التي تملك الإذن باختزانها ومنحه لأي مؤسسة أخرى، بصرف النظر عن أنها قد تعطي هذا الإذن مجاناً، أو بمقابل مادي أو معنوي. كما أنه بالنسبة لدائرة المعارف هو «دار جروليr»، التي أنفقت على إعدادها ونشرها مطبوعة، بضعة ملايين من الدولارات وربما ضعف ذلك. وأغلب الظن أنها لاتعطي الإذن باختزانها مجاناً، وإنما بمقابل مادي قد يكون المشاركة في المشروع.

في بعض الأحيان يكون صاحب الحق في المعلومات قبل الاختزان الألكتروني، هو نفسه الذي يقوم بذلك الاختزان، ومن ثم يصبح صاحب الحق الثاني أيضاً. وذلك مثل «مكتبة الكونجرس»، بالنسبة لأكثر من مليون ونصف مليون بطاقة، هي التي أعدتها وراجعتها وتختزنها بالحاسب الألكتروني، لما دخلها من الكتب والدوريات وغيرهما منذ سنة ١٩٦٩م. وفي أحيان أخرى قد يكونان جهتين مختلفتين، مثل «مكتبة الكونجرس» أيضاً مع شركة «كارلتون»، حينما سمحت لها باختزان حوالي ستة ملايين بطاقة، كانت قد أعدتها وراجعتها قبل عام ١٩٦٩م.

وأياً كان الأمر، فالذي يختزن المعلومات بالحاسب الألكتروني، بمقابل أو بدون مقابل، يصبح هو «المنتج» وصاحب الامتياز الأول، بسبب التكاليف الضخمة التي ينفقها في عمليات الاختزان. ونستطيع من وجوه كثيرة أن نشبهه بالناشر، بل إنه يفوقه في الضمانات التي يحيط بها نفسه والمعلومات التي اختزنها، حتى لا يستثمرها أو يستفيد بها الآخرون دون مقابل. أما صاحب المعلومات قبل الاختزان فيمكن تشبيهه بالمؤلف، بل إنه يفوقه في خروج الأمر من يده تماماً بعد الاختزان. ومن هنا ندرك كيف أن «مكتبة الكونجرس» كغيرها من المكتبات، بالنسبة لتلك الملايين الستة من البطاقات التي أعدتها قبل عام ١٩٦٩، قد تعاقدت مع شركة «كارلتون»، أن تأخذ منها التسجيلات الألكترونية لتلك البطاقات على أشرطة مقابل ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار، وهو سعر لايقل كثيراً عن السعر الذي تبيع به للمكتبات الأخرى.

في هذا المثل الأخير، تنقل المبيعات وهي المعلومات الببليوجرافية المحسبة، من «المنتج» صاحب الامتياز وهو «كارلتون» إلى «المستفيد» وهو «مكتبة الكونجرس» بالطريقة نفسها التي تنقل بها البطاقات المطبوعة، بالبريد التقليدي قطاراً أو سيارة أو حتى طائرة. أما في حالة القناة (٢٠٠٠)، فالنقل من «المنتج» صاحب الامتياز وهو «المركز»، إلى «المستفيدين» من أرباب البيوت، فقد تم بواسطة شبكة اتصالية من الكابلات النحاسية، قد تكون هي نفسها شبكة التليفونات التي تملكها إحدى الشركات، وقد تكون شبكة اتصالية خاصة يملكها «المركز» نفسه، فيستخدمها لنفسه كما يؤجرها للآخرين. وهذه الشبكة الاتصالية بصرف النظر عمن يملكها وعن طبيعتها التكنولوجية، طرف آخر بين «المنتج» و«المستفيد» نسميه «الناقل».

منذ البداية تقريباً، لم يقف الأمر في هذا الركن الرابع، وهو مؤسسات العمل وعناصر التعامل مع المختزنات الألكترونية من المعلومات، عند هؤلاء الأطراف الثلاثة، بل دخل فيه طرف رابع كغيره من الأعمال التجارية الضخمة، وهو «الوسيط» كبيراً من الدرجة الأولى أو صغيراً من الدرجة الثانية أو الثالثة. فالوسيط يشبه تاجر الجملة أو تاجر التجزئة، لأنه يحصل من المنتج طبقاً لعقد تجاري بينهما، على نسخة من مختزناته الألكترونية أو الليزرية، التي يستطيع أن يجد لها سوقاً رائجة، في المنطقة التي يعمل فيها داخل وطن «المنتج» أو خارجه.

أما النموذج التوضيحي الكامل لهذه الصورة الرباعية، بأطرافها الأساسية والبينية، التي تعمل فيها التجارة العصرية للمعلومات، فنجده منذ عام ١٩٨٣م في «الأكاديمية الطبية العسكرية» بالقاهرة، حيث يستطيع «المستفيدون» والمستهلكون هناك، الحصول على المعلومات التي يريدونها، من خلال شاشة المنفذ (المطراف)، مع آلة كاتبة تعمل ذاتياً. أما المعلومات نفسها، فقد اختزنها في الأصل حوالي ثلاثين من أصحاب بنوك المعلومات، هم «المنتجون»

أصحاب الامتياز في أمريكا وأوربا الغربية. وأما «الوسيط» فهو شركة سويسرية تقوم هي أيضاً بدور «الناقل» حيث تستأجر شريحة معينة في قنوات القمر الصناعي «انتلسات»، تسوق من خلالها المبيعات التي تتولاها لمن يختار ذلك من المستهلكين.

ويبدو مما سبق أن الشبه يكاد يكون تاماً، بين المعلومات وبين المنتجات العادية الأخرى، وأن العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستهلاكية، التي تجري في المبيعات التقليدية، أصبحت هي نفسها التي تجري في مبيعات المعلومات، باستثناء واحد في غاية الأهمية.

فالمعلومات التي يختزنها «المنتج» صاحب الامتياز، لا تنفد عندما يستخدمها ويستفيد بها أحد العملاء، أو عندما يعطي منها نسخة لأحد الوسطاء الكبار أو الصغار، لأنها باقية تحت امتيازه للاستخدام والتعامل، مع عملاء ووسطاء آخرين مرات ومرات ومرات، طالما استمر الاهتمام بها والإقبال عليها. فتلك الاستمرارية وهذا الإقبال، هما حجر الزاوية في تجارة المعلومات، وهي الامتياز الحقيقي للمنتج، الذي قد يكلفه هذا الإنتاج مع الصيانة والتجديد، ملايين الدولارات.

ومن هنا فإن المنتجين أصحاب الامتياز ويتبعهم الوسطاء، قد وضعوا نظاماً خاصاً لبيع المعلومات، يقوم على ثلاثة عناصر، لكل منها سعره المستقل، ومجموعها هو الثمن أو التكلفة التي يتحملها المستهلك والمستفيد. «أولها» وقت الاتصال بالمختزنات الألكترونية، ويتفاوت السعر حالياً من عشرين دولاراً إلى مائة دولار أو أكثر للساعة الواحدة. ويحسب هذا العنصر مرة واحدة إذا لم يكن هناك وسيط، ومرتين عند وجود الوسيط واحدة له والأخرى للمنتج. «ثانيها» كمية المعلومات المأخوذة من البنك، ويتفاوت السعر من نصف دولار إلى دولار أو أكثر للفقرة الواحدة. ويحسب هذا العنصر لصاحب الامتياز وحده.

أما العنصر «الثالث» في التكلفة، وهو وقت الاتصال بالكابلات النحاسية أو الضفائر الزجاجية أو بالقمر الصناعي، أو بغيرها من الوسائل التي تتيحها شبكات الاتصال في الوقت الحاضر، بين المستهلك في جانب والوسيط أو المنتج في الجانب الآخر، لنقل المعلومات بينهما في أثناء هذا الاتصال، فإنه يختلف بالنسبة للمستهلكين في البلاد النامية، عنهم في البلاد المتقدمة. فكل أصحاب الامتياز والوسطاء موجودون مع مستهلكيهم في البلاد المتقدمة، حيث الأمر لايتطلب كثيراً من أجهزة الاستقبال عند المشترك المستهلك، وحيث تكلفة الاتصال التي تدفع لأصحاب الشبكات الاتصالية عند نقل المعلومات، لاتزيد كثيراً بل قد تقل عن تكلفتها لأي اتصال آخر.

ولكن المستهلكين في البلاد النامية، مثل «الأكاديمية الطبية العسكرية» بمصر، وكثير أمثالها في الوطن العربي وخارجه، فإنهم يتحملون نفقات كبيرة لهذا الاتصال، تبلغ عشرات الألوف من الدولارات. وقد تبلغ أضعاف ذلك، حسب الكفاءة والنوعية في الأجهزة المستأجرة أو المشتراة للاستقبال، وحسب تكاليف الصيانة والتجديد لها وللمكونات التنظيمية المتبعة في تشغيلها، وحسب سعة الخطوط التي تكفي لشاشة تليفزيونية وآلة كاتبة ذاتية، وحسب نوعية الخطوط بالكابلات أو بالقمر الصناعي. ومع ذلك كله فمن الممكن أن يكون متوسط التكلفة الاتصالية مقبولاً، إذا كانت هناك كثافة كبيرة في الطلب، مع كفاءة عالية في الاستخدام.

ومع ضيق المساحة التي يتيحها أصحاب الأدلة مثل «مارتا وليامز»، لكل واحد من بنوك المعلومات المدرجة في أدلتهم، فإنها تتضمن بعض البيانات المقننة، عن هذه الجوانب الإنتاجية الاستهلاكية، كاسم المؤسسة أو الشركة صاحبة الامتياز، واسم الوسيط أو الوسطاء الذين يقومون بتوزيع معلومات البنك وخدماته، والشبكات الاتصالية التي تتولى النقل، إلى جانب الأسعار لكل من وقت الاتصال الألكتروني، ووقت النقل، وفقرات المعلومات المنقولة. على أن هذه البيانات سريعة التغير، وهذا هو أهم الأسباب لإصدار الأدلة في أوراق منفصلة أو طبعات متوالية، كما أنه السبب في اختزان دليل «مارتا وليامز» بالحاسب الألكتروني، لمتابعة هذه التغيرات وإضافتها أولاً بأول.

دليل «مارتا وليامز» لبنوك المعلومات :

لعلها كانت وجبة دسمة ربما أكثر مما ينبغي، تلك التي سميتها «خلفية لأول الجديدين»، فقد بلغت وهي تمهد لعمل واحد، ضعف الجزء الذي يسبقها من الدراسة، وموضوعه امتداد واسع «بين بنوك المعلومات والمراجع» كلها..! وأتوقع أن قليلاً أو كثيراً من القراء، قد يتساءلون أو حتى يحاكمون: إذا كانت تلك هي الخلفية لواحد فقط من الجديدين، فما بَالك بالجديد «الأول» ذاته؟..! وبخلفية «أخرى» لثاني الجديدين؟..! وبالجديد «الثاني» نفسه؟..! وبما قد يأتي بعد ذلك من «ملحق» أو «خاتمة»؟..!

لا أنكر حق القراء كلهم أو بعضهم، في تلك التساؤلات أو هذه المحاكمة الثانية، بعد التساؤلات والمحاكمة الأولى، التي بادروني أو بادرتهم بها، باديء ذي بدء في مستهل الدراسة كلها، بشأن الصيغة التثنوية في أول العنوان، وبشأن المفارقة الظاهرة بين وسطه وعجزه. فقد طالت الخلفية هنا فعلاً، قبل الحديث المباشر عن دليل «مارتا وليامز» لبنوك المعلومات، وهو أول الجديدين موضوع الدراسة

وغايتها المقصودة.

ولعلي لو كنت أنا القارىء، ما اكتفيت بتلك التساؤلات المنطقية المألوفة، ولا بهذه المحاكمة الشكلية العادلة، ولانتقلت سريعاً إلى اتهام الكاتب نفسه، كما يحدث كثيراً هذه الأيام، حين يختلف المزاج بين القارىء ومقروئه بالحق أو بالباطل، فيتحول مزاجه المختلف إلى اتهام أو اتهامات، وينقلها من الشكل أو حتى من الموضوع، إلى اسم الكاتب وشخصه وخلفياته... بل إنه ليرجع فيعيد النظر في المقروء كله، يتلمس فيه العيوب والأخطاء هنا وهناك، هذا إذا لم يقلب كل حسنة يراها، إلى مآخذ يجسمها له مزاجه المختلف، في أقل الحالات وأهونها، أو طبيعته المعاندة في حالات غير قليلة من القراء..! علم الله أني لم أقصد إلى تلك الإطالة، بل جاءت طبيعية وأنا أكتب. ويحزنني كثيراً أن أفقد ولو قارئاً واحداً، مهما كان مزاجه غريباً شروداً، لايعجبه العجب ولا الصيام في رجب، كما يقول المثل الشعبي..! بل إني لأتقَبل تساؤلاته ومحاكماته واتهاماته حتى الباطلة منها، وأتغاضى عن مناقشته وتفنيد مقولاته، طمعاً في لحظة أو لحظات ولو محدودة، تشرق في ظلام هذا المزاج الغريب الشرود أو الطبيعة المعاندة، فيرى ولو شيئاً من الحق فيما يقرأ، ويجد ولو قليلاً من الأصالة فيما أكتب..!

وما بالي أشغل نفسي أكثر مما ينبغي، بهذه الشريحة من القراء التي تختار لنفسها ذلك الموقف..! وما بالنا لانضيفهم إلى شريحة أخرى سميناها من قبل، رغم أنهم أفضل من هؤلاء حالاً، وهم أصحاب القراءات السريعة الخفيفة، الذين دعونا لهم بالسعادة في القدر من القراءة الذي يكفيهم..! وما بالي لا أكتفي أنا بالسعادة والاطمئنان، لوجود شريحة من القراء مهما تكن محدودة، تجد في القراءة الطويلة العريضة العميقة، المتعة الذهنية الراقية التي تبتغيها، لايصيبهم الملل ولا تغشاهم السآمة، مهما طالت الصفحات أو استطرد معهم الكاتب، فانتقل بهم من المجال الأصلي الذي دعاهم إليه، لرؤية المجالات الأخرى التي تدعمه وتثبت أركانه.

هؤلاء القراء الجادون يعرفون أكثر من المعاندين والمغربين، المقاييس الشكلية والموازنات الكمية فيما يكتب ويقرأ، ولكنهم على العكس من أصحاب العناد والإغراب والشرود، يجعلون تلك المقاييس وهذه الموازنات، بمنهجهم العلمي الصحيح وبفطرتهم الذكية السليمة، تابعة لاحتياجات الموقف لا متبوعة. كما أنهم لايحرمون الباحث ولا الكاتب، حين تتوفر لهما المعرفة والخبرة والنضج، من حقهما المطلق في اختيار الطريقة والأسلوب، اللذين يريانهما ملائمين أكثر من غيرهما، لموقف معين بموضوعه وقضاياه وقرائه.

لم يكن «تمهيد وخلفية» في أول هذه الدراسة عبثاً أسلوبياً، ولم تكن فقراته العشرون ولا مفارقاته المفاجئة، إطالة لاطائل وراءها..! كلا، لم تكن عبثاً ممجوجاً ولا إطالة فارغة..! لقد وضعت فيها مع المراوحة والترويح، وهما عنصر أساسي للقراءة الجادة، قليلاً من تراثنا العربي والإسلامي، الذي جرى عفواً دون افتعال، ربطاً للجديد من حولنا بأصولنا الماضية، وكثيراً من أساسيات الموضوع الأصلي للدراسة. بل إنني وضعت فيها أهم الأساسيات في الموضوع كله، وأنصح قرائي الأعزاء أن يعودوا إلى قراءتها مرة أخرى، في أثناء قراءة الأجزاء بعدها، أو بعد الانتهاء منها جميعاً.

ولم يكن « بين بنوك المعلومات والمراجع» وهو الجزء الأول في الدراسة، حشواً لا مبرر له أو إطالة يمكن الاستغناء عنها..! لو كتب هذه الدراسة شخص غيري، ما كانت به حاجة إلى هذا الجزء، بل لم يكن ليخطر بباله أن يربط بين هذين القطبين. أما وأنا صاحب هذا الربط والداعي إليه منذ السبعينيات، وقد تحدثت فيه وكتبت من أجله بضع مرات من قبل، بهدف واحد في تلك الكتابات وفي هذه الدراسة، هو إقناع القراء واقتناعهم بالعلاقة العضوية، بين بنوك المعلومات والمراجع... أما والموقف هو ذلك فلابد مما ليس منه بدّ... بل كيف يكون حشواً أو إطالة، وعنوان الدراسة يدعي هذا الربط، حين يجمع بين القطب الأول وشريحة هامة في القطب الثاني، فيأتي هذا الجزء الأول ليثبت بالمنطق والواقع عمق هذه الرابطة؟..! وهكذا يقتنع القارىء في نهاية هذا الجزء، أن «مارثا وليامز» مع دليلها أواخر القرن العشرين تمثل في تقدير «الجمعية الأمريكية للمكتبات»، ماكانت تمثله «أليس كروجر» ودليلها أوائل القرن نفسه، فنشرت لكل منهما دليلها وبينهما أكثر من ثمانين عاماً، وأحدهما لبنوك المعلومات والآخر للمراجع..!

والأمر كذلك مع «خلفية لأول الجديدين» وهو الجزء الثاني في الدراسة، الذي طال فبلغ ضعف ماسبقه من التمهيد والجزء الأول معاً. لو كتبت هذه الدراسة باللغة الإنجليزية، ووجهتها إلى قراء في أمريكا أو إنجلترا مثلاً، ماكانت بي حاجة إلى ذلك القدر الكبير من الجهد الذي بذلته في هذا الجزء، بل لم يكن ليخطر ببالي أن أدخله في الدراسة إطلاقاً... وكيف يسوغ كاتب لنفسه أن يكتب ويطيل الكتابة، في موضوع يراه رؤية العين الكبير والصغير من قرائه، ويمارسونه كما يمارسون الطعام والشراب، ويدخل في حياتهم الثقافية والفكرية والدراسية، كما تدخل في هذه الحيوات عندنا الصحف والمجلات والكتب المقررة؟..!

لعلي أخطأت في صياغة العنوان لهذا الجزء، حين قلت «خلفية لأول الجديدين»..! فهو في الحقيقة تكثيف علمي منطقي وواقعي،

في مساحة محدودة نسبياً، لعالم جديد مايزال يتسع ويتسع، ويموج بالمؤسسات، والوظائف، والعلاقات، والتيارات والتكنولوجيات، والتسميات، والاقتصاديات، والاستخدامات، والحقيقيات، والتزييفات، الخ... إنه العالم الذي يمكن أن نرمز له بتعبيرة واحدة (بنوك المعلومات). فما هو بخلفية ولكنه صورة دقيقة مكثفة، موزعة على أربعة محاور، لأهم مايجري في هذا العالم..! وماهو خاص بأول الجديدين وحده، فالجديد الثاني نفسه يدخل أيضاً في هذا العالم. وكان يمكن أن أتخذ له عنواناً آخر صريحاً، مثل (بنوك المعلومات وعالمها)، وأبيح لقرائي أن يتخذوه..!

أما لماذا آثرت أنا أن أجعله خلفية لدليل «مارتا وليامز»؟ ولماذا تركت العنوان التصريحي المباشر، واخترت عنوان الكناية المجازي؟ في الإجابة عن أول السؤالين، أذكر القراء أنني قلت منذ البداية: إن دليل «مارتا وليامز» يتفوق على كل الأدلة الأخرى من النوع نفسه، وأنه يحتوي على حوالي ثلاثة آلاف من بنوك المعلومات، في أمريكا وأوربا الغربية واليابان. بل إنه لأكثر من ذلك، فسيصبح هو نفسه أحد بنوك المعلومات، حيث يجري حالياً اختزانه بالحاسب الألكتروني، وسوف نجد قريباً ولأول مرة، مايمكن أن نسميه «بنك المعلومات لبنوك المعلومات»، كما كنا نقول منذ بضعة عقود «ببليوجرافية الببليوجرافيات». أفلا يكون ذلك كله مبرراً كافياً، لجعل هذا الجزء الثاني من الدراسة، خلفية لبنك البنوك هذا؟..!

وفي الإجابة عن السؤال الثاني، وهو إيثار الكناية على التصريح في عنوان هذا الجزء من الدراسة، فهذا الإيثار جزء من الأسلوب الذي تتميز به الشخصيات الفكرية للباحثين والكتاب، كالبصمات التي تمتاز بها أشخاصهم الجسدية، وصدق من قال: «الأسلوب هو الرجل، والرجل هو الأسلوب»..! هذا إلى أن إيثار الكناية والمجاز على التصريح والمباشرة، فيه قدر كبير من الثقة بذكاء القراء، ومقدرتهم على إدراك المقصود وحدهم، وإعطاؤهم الفرصة ليشعروا بالسعادة النفسية، عندما يبلغون هذا المقصود بأنفسهم، دون وصاية ثقيلة أو ولاية مرفوضة، يفرضها المؤلف أو الكاتب.

ونعود بعد هذه المراوحة والترويح، وقد تخللهما عناصر ضرورية عن الدراسة ومنهجها وأسلوبها، وعن محتوياتها في التمهيد وفي الجزء الأول والثاني، بل وفي الجزأين الحالي والتالي — نعود إلى الجديد الأول أو أول الجديدين، وهو: دليل «مارتا وليامز» لبنوك المعلومات، فنقدم وصفه الببليوجرافي في البطاقة الموجزة التالية :

Computer-Readable databases: a directory and sourcebook/editor-in-chief Martha Williams; Co-editors Laurence Lannom, Carolyn G. Robins.- new ed.- Chicago: American Library Assocation, 1985.- 2v.; 28cm.

قام بهذا الدليل لعشر سنوات خلت «مارتا وليامز»، وهي سيدة أمريكية تتولى «المعمل الفني لاسترجاع المعلومات المحسبة»، وقد أنشأته جامعة «إلينويز» ضمن معملها الأكبر للعلوم. وإذا كان قد ساعدها في إعداد هذه الطبعة الحديثة «كارولين روبنس» و«لورانس لانوم»، فهما أيضاً يعملان تحت قيادتها في ذلك المعمل المتخصص بتلك الجامعة العريقة. ولكن اهتمام «مارتا وليامز»، بهذا المجال، يرجع إلى أكثر من ربع قرن مضى، وماتزال تشارك في أعمال التحسيب على المستويات العلمية والتجارية. فهي رئيس لمجلس إدارة (شركة المعلومات الهندسية)، وتتولى التحرير العلمي لدوريتين هما «العرض السنوي لعلم المعلومات: Annual Review of Information Science and Technology» و«عرض التحسيب المباشر: Online: Review». كما تتولى رئاسة دار (المؤشرات في سوق المعلومات) وهي التي أنشأتها، وكذلك (الندوة القومية للتحسيب المباشر).

أما الناشر وهو «الجمعية الأمريكية للمكتبات»، فلا مجال هنا للحديث عنها بصفة كاملة مطلقة، لأن ذلك وحده يتطلب دراسة أو دراسات، قد يكفيها مجلد واحد بل مجلدات. ولكنني هنا أكتفي. بلمحات موجزة عن الجوانب، التي تعطى الدليل قيمة خاصة، باعتباره أحد الأعمال الصادرة عنها. ولست أذيع سراً أنني لم أكن لأضع هذا الدليل في دراستي، لو كان صادراً عن ناشر تجاري. الجمعية الأمريكية للمكتبات أكبر المؤسسات المهنية في التخصص وأكثرها أصالة واستقراراً، مضى على إنشائها عشر ومائة سنة، وشارك في تأسيسها آباء المهنة والتخصص في العصر الحديث، أمثال: ديوي، كتر، بول، الخ. وتتولى أقسامها الفنية وجماعاتها النوعية ولجانها الأساسية، إصدار عدد غير قليل من الدوريات العلمية الرائدة، بالإضافة إلى الدوريات وإلى المطبوعات الأخرى التي تتولاها المؤسسة الأم، وكلها موضع الثقة والأمانة المهنية والعلمية.

ويكفي أن نعلم مثلاً، أن المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية للمكتبات، بات يشارك في حضوره منذ الستينيات، مابين ثلاثة عشر ألفاً إلى خمسة عشر ألفاً، من أصحاب التخصص الأساسي والتخصصات القريبة، منهم ٢٥٪ على الأقل من خارج الولايات المتحدة الأمريكية. أما جلسات المؤتمر العامة، ومحاضراته ومناقشاته المتخصصة، وندواته واجتماعاته العلمية، فتبلغ بضع مئات من الساعات، وتتناول كل مايرتبط بتخصص المكتبات والمعلومات، في ماضيه التاريخي وحاضره الواقع ومستقبله المتوقع، من القضايا والمسائل والمشكلات والاتجاهات والتيارات. ولو قارنا بين محتويات البرنامج المفصل لهذا المؤتمر السنوي، وبين البرامج التي تقوم عليها

المؤتمرات السنوية الأخرى، لعدد غير قليل من جمعيات التخصص الأخرى، مثل «الجمعية الأمريكية لعلم المعلومات» أو «جمعية المكتبات المتخصصة» — وقد توليت ذلك فعلاً بضع مرات — لوجدناه أكثرها شمولاً، وأوسعها تغطية لكل جديد في التخصص، ذلك الذي سموه مرة «التوثيق» ومرة أخرى «المعلومات». ومع هذا فلا يتوقع عاقل أن تغير الجمعية اسمها، اجتذاباً للأنظار بطريقة أبعد ماتكون عن الأصالة والثقة، وأقرب ماتكون إلى الاستعراض والمتاجرة.

بل يكفي أن نعلم أن هذه الجمعية دون بقية الجمعيات، هي التي تمنح في أمريكا الشرعية الفنية، لأدوات الوصف الببليوجرافي والتحليل الموضوعي والتصنيف، وللتقنينات في عمليات التحسيب واستخدام التكنولوجيات الحديثة. وهي التي تتولى تقييم الإمكانات البشرية والفنية والمنهجية، الخ. الموجودة في المدارس العليا للمكتبات والمعلومات، التي تمنح درجات الماجستير في التخصص، وتصدر بناء على تقييمها وثيقة الاعتماد للمدرسة. وتحرص كل المدارس على تجهيز نفسها كل خمس سنوات، لاستقبال لجنة الجمعية المسئولة عن هذا الاعتماد، حتى تضمن الحصول على هذه الوثيقة، ولتبقى في قائمة المدارس المعتمدة من قبل الجمعية.

الدليل نفسه وهو باللغة الإنجليزية، يشتمل بصفة عامة لكل بنك على البيانات المقننة، المأخوذة من الأركان الأربعة المشروحة قبلاً في «خلفية لأول الجديدين»، وهي: التسمية المتخذة لبنك المعلومات، والتعريف العام به، والمستخرجات المتاحة منه، والاسم الأصلي أو التجاري لصاحب الامتياز، وللوسيط أو الوسطاء، ونظام الاتصال أو النقل للمستخرجات والخدمات، والأسعار المعلنة. يقدم الدليل هذه البيانات كلها أو مااستطاع الحصول عليه منها، لألفين وثمانمائة بنك وخمسة بنوك (٢٨٠٥)، بعضها بنوك معلومات غير ببليوجرافية وأكثرها بنوك معلومات ببليوجرافية. والعدد الأكبر من هذه البنوك صدر في أمريكا، وبعضها في أوربا الغربية، وقليل منها في اليابان. ويقع الدليل في مجلدين كبيرين، أولهما في (٧٣٤ صفحة) وثانيهما في (٩٢٤ صفحة) بثمن إجمالي لهما يبلغ حوالي (١٦٠ دولاراً)، بتكلفة قدرها دولار تقريباً لكل عشر صفحات.

وقد خصص المجلد الأول كله، لبنوك المعلومات الببليوجرافية وغير الببليوجرافية، التي يهتم بها أصحاب العلوم البحت، والتكنولوجيا، والعلوم الطبية، ويشتمل هذا المجلد على (١٠٩٢) من بنوك المعلومات في هذه القطاعات الثلاثة. أما المجلد الثاني فقد خصص لبنوك المعلومات الببليوجرافية وغير الببليوجرافية، التي يهتم بها أصحاب الأعمال، والقانون، والعلوم الاجتماعية، والعلوم الإنسانية، ويشتمل هذا المجلد على (١٩٤٨) من بنوك المعلومات في هذه المجالات الأربعة، منها حوالي (٢٠٠) بنك، جاءت في المجلد الأول مع شريحة العلوم، وفي المجلد الثاني مع شريحة الأعمال، لارتباطها بكل من المجالين.

ويتفاوت المنتجون أصحاب الامتياز، في عدد البنوك التي أصدرها كل منهم، من بنك واحد لأغلب المنتجين، إلى بضع عشرات لعدد آخر قليل، وبين تلكما المجموعتين شريحة كبيرة من المنتجين، لكل منهم بضعة بنوك في مجال واحد أو مجالين، بمتوسط عام لهذه المستويات الثلاثة، يبلغ (٢٫٣) بنكاً للمنتج الواحد. وإذا كان العدد الكلي للمنتجين يبلغ (١٢١٠ منتج)، فالأمريكيون وحدهم يتجاوزون (٧٥٪) من هذا المجموع الكلي. وقليل جداً من المنتجين يكتفي بالإنتاج، ويترك التوزيع لوسيط أو وسيطين مستقلين تجارياً، ولكنهما في الحقيقة منفذ أو منفذان تابعان له. بل إن بعض الوسطاء مجرد شركات أقيمت بنمط من التعاون أو التنسيق، بين كبار المنتجين. وأكثر المنتجين يتولى التوزيع لنفسه مع الوسطاء، كما يتولى التوزيع أيضاً لمنتجات الآخرين.

أما الوسطاء غير المعروفين تجارياً بالإنتاج، فيبلغون (٦١٤ وسيطاً) موزعين بين مناطق الإنتاج الثلاث، بنسب موازية لنسب التوزيع في عدد البنوك وعدد المنتجين. وبعض الوسطاء مثل «ديالوج» الذي تملكه شركة «لوكهيد»، يتولى التوزيع لبضع مئات من هذه البنوك، وهناك من يكتفي ببضع عشرات أو أقل، مثل الشركة السويسرية (Radio Swiss) التي تتعامل معها «الأكاديمية الطبية العسكرية» في القاهرة.

وكذلك الأمر بالنسبة لبنوك المعلومات نفسها، فهناك بعض البنوك التي تحظى باهتمام كبير بين الباحثين، ولها سوق واسعة في مقر المنتج وفي بقية أنحاء العالم، مثل بنك (كشاف الهندسة المحسب: Compendex)، ومثل بنك (مركز معلومات المصادر التربوية : Eric). هذه الفئة القليلة من بنوك المعلومات، متاحة عند عشرات من الوسطاء. وعلى العكس من ذلك، توجد بعض البنوك التي لايقبل عليها الوسطاء، لقلة الاهتمام بها وافتقاد السوق الرائجة، وفي هذه الحال قد يكون توزيعها من خلال المنتج وحده، ومعه وسيط واحد أو وسيطان.

ذلك هو الدليل في شكله التقليدي، وتلك هي المؤشرات العامة لمحتوياته نوعياً وإحصائياً. وقد تكلف مبالغ طائلة في تجميع بياناته وفي تجهيزها وطباعته وإصداره. بدليل ذلك الثمن المرتفع نسبياً، الذي يباع به هذا الشكل المطبوع. وهو يحتوي فعلاً على ثروة كبرى من البيانات والمعلومات، المتاحة بسهولة لمن يشتريه ويقتنيه. فلماذا تقوم صاحبة الدليل مع «الجمعية الأمريكية للمكتبات» وهي

الناشر، باختزانه بالحاسب الألكتروني، وهو مشروع قد يتكلف مائتي ألف دولار على أقل تقدير؟..! أي أن تكلفة هذه النسخة الألكترونية التي يثمرها لهم هذا المشروع، تساوي الثمن الذي يباع به حوالي (١٢٥٠ نسخة مطبوعة)، بالإضافة إلى تكلفة المكونات المادية والتنظيمية وهي غير قليلة، التي يتطلبها أي استخدام لهذه النسخة الغالية؟..!

للإجابة عن التساؤلات التي تثيرها الفقرة السابقة، ينبغي أن نضعها في إطارها العلمي الصحيح، فلايجوز أن تقارن نسخه مطبوعة تتكلف (١٦٠ دولاراً)، بنسخة ألكترونية تتكلف حوالي (٢٠٠،٠٠٠ دولار)، بالإضافة إلى التكاليف الدائمة للمكونات المادية والتنظيمية، إلا إذا كنا نتصور أن هذه النسخة الألكترونية، ستستخدم استخداماً محدوداً بنفس الطريقة التي تستخدم بها النسخة المطبوعة، أي: شخص واحد في الوقت الواحد. ولكن الأمر على غير ذلك، فهناك آفاق واسعة لاستثمار هذه النسخة الألكترونية والاستفادة بها، ومجموع هذه الاستثمارات والاستفادات إذا كان الموقف يتطلبها، يجعلها أقل تكلفة وأسرع استجابة من النسخة المطبوعة. ولا بأس أن نصرح هنا بهذه الآفاق، رغم أنها بصفة عامة متضمنة، في الجزء السابق من الدراسة، وهو «خلفية لأول الجديدين»:

١ ــ من الممكن لعشرات الأشخاص أو المئات أو الآلاف، أن يستخدموا هذه المختزنة الألكترونية، استخداماً كاملاً في الوقت نفسه، حيث يكون أمام كل منهم شاشة المنفذ التليفزيونية (مطراقة)، فيظهر عليها مايريد أي منهم الرجوع إليه، مع أن كلاً منهم في موقعه على عشرات الأميال أو مئاتها، من موقع المختزنة الألكترونية عند المنتج.

٢ ــ ومن الممكن أيضاً استخراج نسخة أو أكثر، من هذه المختزنة الألكترونية، بحيث يمكن لكل منها، أن تؤدي نفس ماتؤديه المختزنة الأولى، حينما توضع في حاسب محسبة ألكتروني خاص بها، بمكوناته المادية والتنظيمية، وهذا هو مايقوم به الوسطاء الكبار بالاتفاق مع المنتجين.

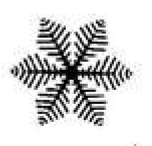
٣ ــ ومن الممكن استثمار المختزنة الألكترونية، الأصلية أو النسخة، في إصدار المصغرات الفيلمية، وهي أرخص كثيراً من النسخ المطبوعة. فالكتاب المطبوع الذي يباع بمائة وستين دولاراً، يمكن أن تباع نسخته المصغرة بعشرة دولارات فقط. بل يمكن أيضاً إصدار أقراص محسبة أو مليزرة من فئة (ROM)، وهي الوعاء غير التقليدي، الذي يساوي في استخدامه الوعاء التقليدي المطبوع.

٤ ــ بل إنه من الممكن استثمار هذه المختزنة الألكترونية، في إصدار النسخ المطبوعة، بالأنماط والأشكال المختلفة حسب الطلب. فهناك طابعات تعمل بأشعة الليزر، يمكن تغذيتها بهذه المختزنة الألكترونية، من خلال الحاسب الألكتروني المختزنة فيه. وهذا النظام غير الطابعة السطرية المألوفة، التي تخرج البيانات إليها من الحاسب لتعمل ذاتياً.

٥ ــ أما الاستثمار الأهم، فهو المساعدة الفريدة على الاحتفاظ بحداثة المعلومات وجدتها، بدرجة قد يستحيل توفرها في الأشكال الأخرى. فبينما يصبح قدر قليل أو كبير من المعلومات، في النسخة المطبوعة، غير دقيق أو غير صالح مع مرور الزمن، فمن الممكن تحديث المحتوى في المختزنة الألكترونية يومياً، بالحذف أو الإضافة أو التغيير حسب الحاجة. وهذه الوظيفة المتاحة في الاختزان الألكتروني، في غاية الأهمية بالنسبة لدليل «مارتا وليامز» وأمثاله، بسبب سرعة التغير في البيانات التي تشتمل عليها.

والآن قد يقتنع القارىء بالدوافع والغايات والطموحات، التي وجهت صاحبة الدليل والناشر إلى اختزانه بالحاسب الألكتروني، في إطار الإيضاح العلمي للفرق بين الشكل المطبوع والشكل المحسب، ولكنه قد لايقتنع لو أخذ المسألة من وجهة نظر الباحث، الذي يدفع أجراً معيناً، لصاحب الامتياز، بينما لو اشترى النسخة المطبوعة، فإنه يستطيع أن يستخدمها عشرات المرات ومئاتها وآلافها، دون أن يدفع أي شيء، سوى الثمن الكلي الذي خرج من جيبه أول مرة.

إذا كان التساؤل السابق صحيحاً في ظاهره، فينبغي لصاحبه أن يتذكر أمرين آخرين: أولهما أن عدداً كبيراً جداً من المستفيدين، قد لايحتاج أكثر من استخدامين أو ثلاثة بأربعة دولارات أو ستة. ثانيهما أن البيانات عن كل بنك في الشكل المطبوع ثابتة، بينما هي في الشكل المحسب تأخذ ماتستحقه، من التعديل والتغيير والحذف والإضافة أول بأول، يومياً أو شهرياً أو فصلياً أو سنوياً، حسب الدرجة التي تستحقها، والمستوى الذي يتم الاتفاق عليه بين القائمين بالبنك والمستفيدين. فاستخدام البنك من هذه الناحية، شيء آخر غير الاستخدام للنسخ المطبوعة. أما الحقيقة الواقعية فهي أن الشكلين كثيراً مايتاحان من جانب أصحاب الامتياز، ولكل منهما سوقه ومستخدموه..!



المكتبات الوطنية - الجامعية

دراسة تحليلية

عبدالعزيز محمد النهاري

أستاذ مساعد في قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبدالعزيز
ورئيس تحرير جريدة البلاد

مقدمة :

برزت المكتبات الوطنية في عالم اليوم ككيان علمي متخصص.. يؤدي وظائف محددة ومعروفة ومواكبة أيضاً للتطور العلمي الذي شمل كافة المجالات الاجتماعية والعلمية والثقافية.. وأصبح من المفروض أن تنفرد المكتبات الوطنية بوظائفها دون تداخل مع أي وظائف تتبوأها أنواع أخرى من المكتبات.. كالمكتبات الجامعية أو العامة أو المتخصصة.. وأصبحت النظرة العامة للمكتبات الوطنية تبعاً لذلك الافتراض نظرة تخصصية تعطي للمكتبة الوطنية وظيفة أساسية هي جمع وحفظ وتنظيم الإنتاج الفكري لأي بلد كان؛ وتتفرع من تلك الوظيفة الأساسية وظائف أخرى مساعدة كإصدار الببلوجرافية الوطنية والعمل على تنفيذ بعض البرامج على النطاق الوطني فيما يختص بتنظيم العمل الببليوجرافي. والمشاركة في الضبط الببليوجرافي الوطني.. وبطبيعة الحال فإن الوظيفة الأساسية أو الوظائف المساعدة إنما تنبعث من قوة تراثية تقليدية نشأت مع قيام المكتبات الوطنية نفسها.. تلك القوة هي نظام الإيداع القانوني LEGAL DEPOSIT ذلك النظام الذي أعطى للمكتبة الوطنية الحق في تلقي كافة الإنتاج الفكري بطريقة نظامية تهدف إلى جمع ذلك الإنتاج في مكان واحد تنطلق منه عدة خدمات علمية تتفق وميزة حصول المكتبة على ذلك الحق في تلقي الإنتاج الفكري الوطني لذلك البلد.

لكن تلك الميزة التي تحتفظ ويفترض أن تنفرد بها المكتبة الوطنية كمؤسسة مستقلة داخل منظومة المكتبات المختلفة على النطاق الوطني لم تعد حصراً على المكتبات الوطنية في بعض الدول التي أعطت للمكتبة الوطنية وظائف أخرى كالخدمة الجامعية أو العامة أو البرلمانية بالإضافة إلى خدماتها.. فنشأت من أجل ذلك مكتبات وطنية ذات وظائف مزدوجة ذكرها GOODFREY BURSTON[1] ويمكن تلخيص ازدواجية أو ثنائية وظائفها في الأنواع التالية :

١ ــ مكتبات وطنية ــ أكاديمية National- Academic Libraries

٢ ــ مكتبات وطنية ــ عامة National- Public Libraries

٣ ــ مكتبات وطنية ــ برلمانية National- Parlimmentry Libraries

هذا بالإضافة إلى أنواع أخرى مثل :

٤ ــ مكتبات وطنية موضوعية National subject Libraries

٥ ــ مكتبات وطنية مرجعية وإعارة National Refence and linding libri

٦ ــ مكتبات وطنية للمعاقين National libraries for Handicapped

تلك المكتبات الوطنية ذات الوظائف المزدوجه برزت على النطاق العالمي كنتاج لعدة عوامل منها العوامل التاريخية والاقتصادية والسياسية، كما أنه في بعض الدول أعطيت بعض المكتبات حق الإيداع القانوني إلى جانب المكتبة الوطنية الأم كتنظيم فرضته ظروف محددة أصبحت بموجبه المكتبة الوطنية مسئولة عن حفظ الإنتاج الفكري في مجال محدد، بينما تتولى مكتبات أخرى حفظ الإنتاج الفكري في مجالات أخرى.

وفي هذا البحث يتطرق الباحث إلى استعراض المكتبات الوطنية الجامعية في العالم إلى جانب المكتبات التي تشارك الوطنية وظيفة حفظ الإنتاج الفكري وهي مكتبات جامعية أيضاً.. وسوف يقتصر الباحث على استعراض هذا النوع من المكتبات لسببين رئيسيين هما:

١ ــ إن هذه المكتبات الوطنية الجامعية هي النموذج المطبق بعدد مميز ضمن المكتبات الوطنية ذات الوظائف المزدوجه في العالم.

٢ ــ إن المكتبات الوطنية ــ الجامعية هي الأكثر بروزاً ضمن المكتبات الوطنية ذات الوظائف المزدوجة.

وقد وضع الباحث فرضية واحدة يسير عليها في هذا البحث وهي (أن هذا النوع من المكتبات، وهو المكتبات الوطنية ــ الجامعية،

حتى وإن وجد وطبق في بعض دول العالم إلا أنه يعتبر نموذجاً غير ناضج إذا وضعت أهداف وظائف المكتبة الوطنية موضع التنفيذ الفعلي الذي يتوخى تقديم خدمة وطنية في عصر أصبح فيه للتخصص دوراً مهماً).

ولنفي أو إثبات هذه الفرضية في هذا البحث فإن الباحث سوف يتطرق إلى النقاط التالية :

١ ــ الدراسات السابقة التي تعرضت للمكتبات ذات الوظائف المزدوجة.
٢ ــ ماهية المكتبة الوطنية.
٣ ــ المكتبات الوطنية /الجامعية.
٤ ــ العوامل التي أدت إلى وجود المكتبات الوطنية /العامة.
٥ ــ صعوبات الازدواج.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الدراسة ليست دراسة مسحية وإنما هي دراسة تحليلية تتعرض إلى المكتبات الجامعية الوطنية والمكتبات الجامعية التي تقوم بوظائف المكتبة الوطنية إلى جانب وظيفتها الجامعية.

الدراسات السابقة :

كانت الوظيفة المزدوجة للمكتبات الوطنية موضوع عدد من الدراسات التي نشرت على النطاق الدولي، وقد تركزت هذه الدراسات في تحديد المكتبات الوطنية ذات الوظيفة المزدوجة ودراسة أدائها لتلك الوظيفة دون التعرض بالتحليل لسلبيات وإيجابيات ذلك الأداء الثنائي.. فقد كانت البداية في عام ١٩٥٩م حيث تعرض Kurt wormnn في دراسته عن (المكتبات الوطنية في عصرنا National libraries in ourtime) إلى المكتبات المزدوجة، وبالتحديد إلى المكتبات الجامعية التي تقوم بوظيفة المكتبة الوطنية مقترحاً إلقاء المزيد من الضوء عليها تحليلاً ودراسة، حيث أشار إلى أن من المفيد أن يقوم القسم المختص في الاتحاد الفيدرالي الدولي لجمعيات المكتبات IFLA بدراسة المكتبات الجامعية التي تقوم بوظائف المكتبة الوطنية ونشر الأبحاث حول سلبيات وإيجابيات هذه الوظيفة المزدوجة(٢) وقد تابع هذا الاقتراح Matko Rojnic في عام ١٩٦٦م حيث نشر دراسة مسحية مطولة عن المكتبات الجامعية ذات الوظيفة المزدوجة، ومن ضمنها المكتبات الوطنية الجامعية إلى جانب المكتبات الإقليمية ــ الجامعية، والمكتبات المحلية الجامعية، وفي هذه الدراسة تناول M. Rojnic مقارنة أداء تلك المكتبات الوطنية ــ المزدوجة ــ الوظيفي، حيث أشار إلى كل وظيفة على حدة، وذهب يطبق أداءها على نتيجة الاستبيان الذي بعثه إلى المكتبات المزدوجة التي كانت موضوع دراسته.. واختتم دراسته المسحية بذكر العوامل التي أدت إلى ازدواج الخدمة المكتبية للمكتبات الجامعية، واستخلص أن هناك دواع اقتصادية وتاريخية كانت خلف قيام الوظيفة المزدوجة للمكتبة الجامعية.. أما عن سلامة الأداء الوظيفي لنوعي المكتبات الوطنية والجامعية أو الإقليمية والمحلية فقد أكد أن هناك صعوبة في الأداء للخدمتين من مكتبة واحدة، لكنه ذكر ما أوردته المكتبات موضوع المسح من أن كلتا الخدمتين لا يؤثر أحدهما على الآخر.. أما عن فصل المكتبتين فقد لاحظ في دراسته أنه ليس هناك أي مكتبة تعتبر أن انفصالها وانفرادها لأداء الخدمة المكتبية الجامعية سيكون ذا فائدة ملموسة(٣).

وكانت دراسة M. Rojnic محل اهتمام باحث آخر وهو S.B. Bandara(٤) حيث نشر دراسته بعنوان (هل المكتبات الجامعية يمكن أن تؤدي دور المكتبات الوطنية في الدول النامية) في عام ١٩٧٩م وفيها استعرض وظائف المكتبة الوطنية.. وقد كان متأثراً إلى حد كبير بالتجربة الأوروبية في المكتبة الوطنية، وألمح إلى دراسة M.Rojnic بإسهاب، ووصل معه إلى نفس العموميات التي ذكرها في بحثه المنشور عام١٩٦٦م.. وتوصل إلى أن هناك ثلاثة خيارات استراتيجية تنجم عن أداء المكتبة الجامعية لوظيفة المكتبة الوطنية فيما لو أريد للمكتبة الجامعية أن تكون أيضاً مكتبة وطنية في الدول النامية، وتلك الخيارات يجب أن توضع أمام أي بداية قبل أن يتخذ القرار بالبدء في تجربة الازدواج.. تلك الخيارات الثلاثة هي.. المركزية والتنافس والتعاون.. ففي المركزية يفترض أن تقوم المكتبة الوطنية بتجميع وحفظ الإنتاج الفكري، وكذلك الحصول على المواد الأجنبية وتنظيمها ونشرها لتخدم الوطن كاملاً.. وعندما تقوم المكتبة الجامعية بالخدمة الوطنية فإنه لابد من أن تقدم بالإضافة إلى ماتحصل عليه عن طريق الإيداع القانوني مجموعاتها الخاصة كالرسائل الجامعية والأبحاث الأكاديمية، وما تحصل عليه عن طريق الشراء في معظم التخصصات العلمية لابد أن تقدم تلك الخدمة للوطن وليس للمجتمع الجامعي فقط.. وفي ذلك خسارة وجهد مزدوج..

أما في حالة الخيار الثاني وهو (التنافس) فإن ذلك يعني تجاهل مجموعة المكتبة الجامعية والشروع في بناء مجموعة وطنية منافسة تضم إلى جانب المكتبة الجامعية وفي ذلك خسارة مادية ملحوظة، ولا يفضل هذا الخيار كاستراتيجية للازدواج الوظيفي المكتبي.. أما الخيار الثالث وهو (التعاون) فيعني أن يقوم الجهاز المعني بالخدمة الوطنية في داخل المكتبة الوطنية بدور المنسق والضابط لاستخدام المجموعة المكتبية الجامعية من غير المجتمع الجامعي، أي من جانب المستخدمين من خارج الذين تقدم لهم الخدمة المكتبية الجامعية. وينتهي S. B. BANDARA(٥) من بحثه بنتيجة أن الخيارات

الثلاثة إنما هي منطلقات استراتيجية للجمع بين وظيفتي المكتبة الجامعية والمكتبة الوطنية، وفيها تتضح الصعوبات التي تنطوي عليها عملية الازدواج، ولذلك فإنه لابد من إعادة النظر من قبل الهيئات العلمية في دراسة الخدمة المزدوجة للمكتبات الوطنية ـــ الجامعية.

وفي دراسة أخرى بعنوان المكتبات الوطنية.. دراسة تحليلية ونشرهاGOODFREY BURSTON[٦] ذكر الباحث لماماً ضمن استعراضه للمكتبة الوطنية أن هناك مكتبات وطنية تؤدي خدمات مزدوجة، وذكر منها المكتبات الجامعية ـــ الوطنية والمكتبات الوطنية والعامة.. وفيها أيضاً تعرض إلى دراسةM. ROJNIC ولم يخلص من دراسته إلى نتيجة أكثر من استعراض سريع لتلك المكتبات المزدوجة دون إيضاح أي سلبيات أو إيجابيات.

تلك هي الدراسات التي تعرضت للمكتبات الوطنية المزدوجة.. وفي القسم التالي سوف يتم إيجاز ماهية المكتبة الوطنية، ثم يتم بعد ذلك استعراض موجز للمكتبات المزدوجه في العالم.

المكتبة الوطنية.. نظرة عامة :

اختلفت الآراء قديماً حول التعريف الدقيق للمكتبة الوطنية إلى درجة جعلت مدير الحلقة الدراسية حول المكتبات الوطنية في أروبا والتي عقدت في فينا من ٨ ـــ ٢٧ سبتمبر عام ١٩٥٨م بعنوان (المكتبات الوطنية: مشاكلها ومستقبلها) يتساءل في تقديمه لتلك الحلقة بقوله.. (لازلنا لا نعرف ماهية المكتبة الوطنية.. ولا نسلك حق إطلاق اسم الوطنية على المكتبة التي تستحق أن يطلق عليها وطنية)[٦].

وقد استمر ذلك التساؤل.. ومن خلال تلك الحلقة الدراسية.. ومن خلال عدة أبحاث وحلقات دراسية ومؤتمرات عالمية وإقليمية حتى نشرت ورقة K. W. HUMPHREYS[٧] التي ألقاها في الاجتماع الاستشاري لقسم المكتبات الوطنية والجامعية للاتحاد الدولي الفيدرالي لجمعيات المكتبات الذي عقد في روما عام ١٩٦٤م وفيها استعرض همفيريز HUMPHREYS وظائف عدة مكتبات في العالم، وهي على التحديد: مكتبة المتحف البريطاني، والمكتبة الوطنية الفرنسية، ومكتبة الكونجرس الأمريكية، ومكتبة لينين السوفيتية. واستعرض أيضاً بعض الأبحاث التي نشرت في تلك الفترة وخرج منها بعدة وظائف للمكتبة الوطنية، وقد تم تنقيحها في بحث نشر في عام ١٩٦٦م[٨] وفي ذلك البحث وزعت وظائف المكتبة الوطنية إلى ثلاثة أقسام هي :ـــ

١ ـــ وظائف أساسية وعددها سبع وظائف.

٢ ـــ وظائف مرغوبة وعددها ثلاث وظائف.

٣ ـــ وظائف ليست ضرورية وعددها خمس وظائف.

وقد كانت أبحاث همفيريز HUMPHREYS حجر الأساس لاستعراض وظائف المكتبة الوطنية حتى نشر في عام ١٩٨٠م بحثاً لمورس لاين MAURICE B. LINE وفيه أعاد ترتيب الوظائف التي ذكرها همفيريز HUMPHREYS وكانت على الترتيب التالي :

١ ـــ وظائف أساسية	Fundamental Functions
٢ ـــ وظائف مرغوبة	Desirable Functions
٣ ـــ وظائف نتاجية	BY-Product Functions
٤ ـــ وظائف محتملة	Possible Functions

وفي كلا البحثين وبصرف النظر عن الترتيب أو التبويب تم حصر لتلك الوظائف في خمس عشرة وظيفة، وهي وظائف يمكن إرجاعها إلى عام ١٩٦٤م و١٩٦٦م.. ولما كانت المكتبة الوطنية شأنها شأن أي مؤسسة تهتم بتوفير المعلومات وحفظها وتنظيمها قد تطورت ونمت تبعاً للتطور العالمي الذي طرأ على مجال خدمة المعلومات، هذا التطور الذي أخرج إلى الساحة العالمية عدة برامج أحدثت تغيراً شبه جذري في الاتجاه، وليس الأساس في توفير وتنظيم وبث المعلومات، ومن هذه البرامج العالمية :

١ ـــ نظام المعلومات العالمي	UNISIST
٢ ـــ نظام المعلومات الوطني	NATIS
٣ ـــ الضبط البيليوجرافي العالمي	UBC
٤ ـــ التوفير العالمي للمطبوعات	UBA

وهناك برامج تنظيمية أخرى مثل :

١ ـــ الفهرسة في المطبوع	CIP
٢ ـــ الفهرسة في المصدر	CIS

كل تلك البرامج أعطت للمكتبات عموماً وظائف جديدة.. وعلى وجه التحديد خصت المكتبات الوطنية بوظائف معينه لايمكن لغيرها من أنواع المكتبات تبوأها، وبناء على ذلك فقد تغير تبويب وظائف المكتبة الوطنية وصيغت تلك الوظائف اعتماداً على مايجري في مكتبات العالم الوطنية من أعمال ومهام ومسئوليات لم يعد تنظيم همفيريز HUMPHREYS أو موريس لاين M. B. LINE يتفق معها، ووضعت تلك الوظائف بحسب أولويات تطبيقها، ويمكن ترتيب تلك الوظائف كما يلي :

١ ـــ وظائف الأولوية الأولى :

١ ـــ أن تكون مقراً للإيداع القانوني.

١ـــ٢ أن تكون مركزاً لتجميع الإنتاج الفكري الوطني.

١ـــ٣ أن تقوم بتجميع الإنتاج الأجنبي :

أ ـــ عن الوطن.

ـــ ما كتب بواسطة أبناء الوطن ونشر

في الخارج.

جـ ــ في موضوع (ما) تحدده المكتبة.

١ــ٤ إنتاج الببليوجرافيا الوطنية.

١ــ٥ أن تكون المكتبة الوطنية مركزاً ببليوجرافياً وطنياً.

١ــ٦ أن تطور وتجهز قاعدة معلومات ببليوجرافية وطنية.

٢ ــ وظائف الأولوية الثانية :

٢ــ١ جمع وحفظ وتنظيم المخطوطات الموجودة في الوطن.

٢ــ٢ تجهيز فهرس المكتبة ليكون في متناول المكتبات ومراكز المعلومات الأخرى.

٢ــ٣ الاشتراك في برامج التخطيط للخدمة المكتبية على النطاق المحلي.

٢ــ٤ أن تكون مركزاً لتبادل المطبوعات على النطاق الوطني والدولي.

٢ــ٥ إنتاج الفهرس القومي الموحد.

٢ــ٦ تقديم الخدمات للمصالح والمؤسسات الحكومية.

٢ــ٧ تقديم خدمات التكشيف للدوريات المحلية.

٣ ــ وظائف الأولوية الثالثة :

٣ــ١ إصدار معايير وطنية لمعالجة المعلومات.

٣ــ٢ تقديم خدمات الاتصال بشبكات المعلومات العالمية.

٣ــ٣ تقديم العون في تقنية معالجة المعلومات.

٣ــ٤ إدارة برنامج الفهرسة في المطبوع (CIP)

٣ــ٥ إصدار الأبحاث في مجال الخدمة المكتبية.

٣ــ٦ تقديم الكتب الخاصة بالمكفوفين والمعاقين[١٠]

إن نظرة ماعنة لتلك الوظائف تمكن من استخلاص تعريف شامل للمكتبة الوطنية وهو :

(المكتبة الوطنية في أي بلد كان هي المكتبة المسئولة عن جمع وحفظ وتنظيم الإنتاج الفكري لذلك البلد)[١١].

وإذا مادمجنا الوظائف كاملة مع التعريف السابق للمكتبة الوطنية لنتج لأي ملاحظ أن المكتبة الوطنية إنما هي مؤسسة يجب أن تكون منفردة بتنفيذ تلك الوظائف، وأن وظائف أخرى ليس لها صفة (الخدمة الوطنية) سوف تعوق تقديم تلك الخدمة الكاملة، لكن التطبيق الفعلي لتلك الوظائف أو بعضها يزدوج في بعض دول العالم مع وظائف المكتبة الجامعية، وهو مدار هذا البحث، حيث يتم استعراض تلك المكتبات الوطنية ــ الجامعية في القسم التالي :

المكتبات الوطنية ــ الجامعية :

هناك ست دول في العالم تقوم مكتباتها الجامعية الرئيسية بمهام المكتبة الوطنية ويطلق على بعضها (المكتبة الوطنية ــ الجامعية) ويمثل العدد الفعلي للمكتبات الوطنية ــ الجامعية في تلك الدول عشر مكتبات، حيث يوجد في يوغسلافيا أربع مكتبات تتبع ثلاث جمهوريات يوغسلافيه ومقاطعة واحدة، وهناك دولتان توزع فيهما وظائف المكتبة الوطنية على المكتبة الوطنية نفسها والجامعية.. وذلك في ايسلندا والدنمارك.. وسيتم في هذا القسم من هذه الدراسة استعراض المكتبات العشر بالإضافة إلى نظام خدمة المكتبة الوطنية في الدولتين الأخريين.. ايسلندا والدنمارك.. وذلك بطريقة موجزة..

١ ــ إسرائيل :

تقوم في الكيان الصهيوني بالأرض العربية المحتلة مكتبة جامعية وطنية بوظائف المكتبة الوطنية والجامعية معاً، هذه المكتبة هي (المكتبة اليهودية الوطنية والجامعية في القدس المحتلة «The Jewish National and University library in Jerusalem»-

٢ ــ السودان :

لاتوجد مكتبة وطنية في السودان، لكن مكتبة جامعة الخرطوم التي تأسست عام ١٩٤٥م تقوم بتلقي المطبوعات السودانية عن طريق قانون الإيداع، الذي يخولها أن تحصل على الإنتاج الفكري السوداني.. وهي أحد ثلاث مكتبات في السودان تتلقى الأعمال التي تنشر في السودان.. وتقوم مكتبة جامعة الخرطوم بالأعمال الببليوجرافية التي تقوم بها عادة المكتبة الوطنية، حيث تنشر سنوياً فهرساً مصنفاً للمجموعة السودانية، وهو يمثل ببليوجرافية وطنية راجعة[١٣].

٣ ــ فنلندا :

تعتبر مكتبة جامعة هلسنكي The University library of HELSINKI التي أنشئت في عام ١٦٤٠م في مدينة توركو ثم انتقلت إلى هلسنكي في عام ١٨٢٨م المكتبة الوطنية لفنلندا، وتقوم بالإضافة إلى وظائف المكتبة الوطنية بوظائف مكتبة البحث الأكاديمي[١٤] وقد أثرت هذه المكتبة مجموعتها من خلال حصولها على حق الإيداع القانوني لفترة طويلة من الزمن[١٥].

٤ ــ الكويت :

تقوم مكتبة جامعة الكويت باحتضان مركز التراث الوطني، وهو بمثابة المكتبة الوطنية الكويتية. وقد أنشىء ذلك المركز في عام ١٩٧١م بموجب توصية مجلس وزراء الكويت.. وقد صدر قانون الإيداع الرسمي في عام ١٩٧٢م وهو يخول المركز في تلقي خمس

نسخ من كل المطبوعات التي تنشر في الكويت.. ويصدر المركز الببليوجرافية الوطنية الكويتية وبعض الببليوجرافيات الأخرى المتخصصة[١٦].

٥ ــ النرويج :

تقوم مكتبة جامعة أوسلو The University library Oslo التي أنشئت في عام ١٨١٢م بوظيفة المكتبة الوطنية للنرويج.. وقد أعطيت حق الإيداع القانوني منذ أن نشأت تلك المكتبة.. وتقوم هذه المكتبة بإصدار الببليوجرافية الوطنية للنرويج[١٧].

٦ ــ يوغسلافيا :

تتكون يوغسلافيا من ست جمهوريات ومقاطعتين، وفيها أربع جمهوريات ومقاطعة واحدة تقوم مكتباتها الجامعية بوظائف المكتبة الوطنية، وهي كما يلي:

(أ) المكتبة الوطنية والجامعية لمقاطعة كوسوفو KOSOVO

(ب) المكتبة الوطنية والجامعية لجمهورية سلوفينيا SLOVENIA

(حـ) المكتبة الوطنية والجامعية لجمهورية بوسينا وهيرسوجوفينا BOSNIA AND HERCEGOVINA

(د) المكتبة الوطنية والجامعية في زاجراب ZAGREB وتقع في جمهورية كرواتيا CROATIA

(هـ) المكتبة الوطنية والجامعية في كلمنيت أوهرديسكي في جمهورية ماسيدونيا MACEDONIA.

ويمكن إضافة بلدين آخرين تشارك فيهما المكتبة الجامعية بوظائف المكتبة الوطنية، بالإضافة إلى وظائف المكتبة الوطنية نفسها وهي:

٧ ــ ايسلندا :

وفيها مكتبة جامعة ايسلندا التي أنشئت عام ١٩٤٠م.. وهي تختص بجمع الإنتاج الفكري في مجال العلوم.. وتختص المكتبة الوطنية في ايسلندا بجمع الإنتاج الفكري الإيسلندي في مجال الإنسانيات.. وفي عام ١٩٧٠م تم ضم المكتبتين الجامعية والوطنية في مبنى واحد، وتم بالتالي ضم المجموعتين اللتين تختصان بحفظ هاتين المكتبتين[١٩].

٨ ــ الدنمارك :

وفيها المكتبة (الوطنية) والتي أنشئت في عام ١٩٢٧م حيث تتخصص هذه المكتبة في حفظ الإنتاج الفكري في مجال الإنسانيات والعلوم الاجتماعية والتراث، وتعمل كمكتبة مركزية لجامعة كوبنهاجن في هذا التخصص.

أما مكتبة كوبنهاجن التي يقارب عمرها (٥٠٠) عام، فقد أصبحت منذ عام ١٩٢٧م المكتبة المركزية للجامعة فيما يختص بحفظ الإنتاج الفكري في مجال العلوم الطبية والطبيعية، والمكتبتان الملكية ومكتبة جامعة كوبنهاجن تخدمان الدنمارك كمكتبة، كل في مجال المجموعة المتخصصة فيها[٢٠].

العوامل التي أدت إلى وجود المكتبات الوطنية ــ الجامعية :

هناك عاملان رئيسيان أديا إلى وجود المكتبة الوطنية ذات الوظائف المزدوجه.. وهذان العاملان هما :

١ ــ العامل التاريخي.

٢ ــ العامل الاقتصادي.

أما بالنسبة للعامل التاريخي فإنه يعود إلى أن فكرة خدمة المكتبة الوطنية نشأت مع اعتماد الإيداع القانوني للمكتبات الجامعية، حيث كانت هذه المكتبات تقوم بوظيفة المكتبة الوطنية قبل نشأتها.. وعندما نشأت المكتبة الوطنية ككيان مستقل تفرغت المكتبات الجامعية لوظيفتها الأساسية في تدعيم البحث العلمي ومساعدة العملية التعليمية الجامعية، وكمثال على ذلك، الإيداع القانوني في بريطانيا أعطى لمكتبتي جامعتي أكسفورد وكامبردج لتكون كل منهما مركزاً وطنياً مرجعياً للأبحاث الأكاديمية.. هذا الدور الذي تبوأته بعد ذلك مكتبة المتحف البريطاني[٢١].

وقد يكون ذلك العامل معقولاً في فترة تاريخية مغرقة في القدم إذا ما تتبعنا تاريخ نشأة المكتبات الجامعية في كل من الدول التي تقوم مكتباتها الجامعية بوظيفة المكتبة الوطنية إلى جانب وظيفتها الأساسية.. ففي النرويج نشأت مكتبة جامعة أوسلو عام ١٨١٢م وفي فنلندا نشأت مكتبة جامعة هلسنكي في عام ١٦٤٠م.

أما بالنسبة للعامل الاقتصادي فإنه يسير جنباً إلى جنب مع العامل التاريخي، وينطلق من فكرة تحديد وظيفة ومسئولية المكتبة الوطنية لتشمل المكتبة الجامعية، وفي ذلك اختصار لما قد يكلفه وجود مكتبتين منفصلتين إحداهما وطنية والأخرى جامعية، وقد أشار M. Rojnic إلى أن العامل الاقتصادي قام بدور أساسي لتوسيع دائرة وظائف المكتبة الوطنية أو المحلية لتضم خدمات جديدة إلى الجامعة والمكتبة الجامعية حتى تصبح تلك المكتبة ذات أهمية استثنائية للبلد أو المقاطعة التي تخدمها تلك المكتبة[٢٢].

وقد يكون هذان العاملان مهمان فعلاً، لكنهما في فترة تاريخية محدودة لم يكن فيها للمكتبة الوطنية دور رئيسي آخر غير متابعة تنفيذ نظام الإيداع القانوني، وبالتالي حفظ الإنتاج الفكري الوطني.. وفي ظل هذه الوظيفة الضيقة التنفيذ كان من الممكن أن تؤدي المكتبة الوطنية وظيفة المكتبة الجامعية.. أما في الوقت الراهن حيث تقوم المكتبة الوطنية بدور رائد ضمن أنواع المكتبات الأخرى فإن

التخصص في أداء ذلك الدور جعلها تقوم بخدمات عديدة على نحو ماتم حصره في مقدمة هذه الدراسة.. وعليه فإن الفصل بين المكتبتين الوطنية والجامعية يصبح ضرورة عصرية ملحة.. وعندما يسترجع التاريخ في دولة مثل بريطانيا يرى أن نشأة مكتبة المتحف البريطاني قد مكنها من القيام بوظيفة المكتبة الوطنية وجعل مكتبتي جامعتي أكسفورد وكمبردج تتفرغان لوظيفتيهما الجامعية.. كما أن التطور في الخدمة المكتبة الوطنية حوَّل مكتبة المتحف البريطاني إلى جزء من نظام شامل للخدمة الوطنية، وجعلها قسماً مرجعياً من المكتبة الوطنية البريطانية التي صدر قانون إنشائها في عام ١٩٧٢م.

لقد أثبتت التطورات التي شهدتها ساحة الخدمة المكتبية أن التخصص في وظائف كل نوع من أنواع المكتبات لم يعد يسمح بازدواج وظائف أي مكتبة أخرى.. فمن شأن ذلك الازدواج تعريض وظائف المكتبات لنوع من الاختلال والاضطراب.. وإذا وضعت المكتبة الوطنية ـ الجامعية كمثال على ذلك الاختلال فإنه يمكن استنتاج نقاط تدلل على ذلك التضارب في الخدمات على نحو ما سيرد في القسم التالي من هذه الدراسة.

صعوبات الازدواج :

لابد من إيضاح نقطة أساسية عند التطرق لتطبيق الوظائف المزدوجة للمكتبة الوطنية ـ الجامعية وهي أن ذلك الازدواج يعتبر مشكلة في حد ذاته تصدى له عدد من الباحثين بالتحليل والدراسة.. فقد أوضح MATKO ROJNIC أن هذا النوع من المكتبات يواجه عدة صعوبات في عملية التطبيق للوظيفتين الوطنية والجامعية، ومن هذه الصعوبات قيام تعاون في مجال الخدمة المكتبية بين هذا النوع من المكتبات وبين مكتبات جامعية أو أنواع من المكتبات الموجودة في ذلك البلد، ويمكن توضيح هذه الصعوبة في أن قيام هذا التعاون سيعرض المجموعة (الوطنية) للخطر من جراء عمليات الإعارة بين المكتبة والمكتبات الأخرى، ذلك أن استخدام المكتبة المزدوجة لايقل عن استخدام أي مكتبة جامعية أخرى.. ويحلّل ذلك M. ROJNIC بقوله: (ليس هناك أي فرق بين المكتبات المزدوجة الوظائف وبين تلك المكتبات التي تخدم الجامعة فقط، وذلك فيما يتعلق باستخدام المكتبة من قبل المدرسين أو الطلاب أو غيرهم من الرواد، كما أن النسخ التي تودع في المكتبة ـ المزدوجة ـ بمقتضى نظام الإيداع لحفظها سوف تطلب الإعارة شأنها شأن أي كتب أخرى)[٢٣].

ويضيف M. ROJNIC أن هناك صعوبات أخرى تتمثل في الناحية المادية والمحلية حيث إن مهمة العمل المزدوج تتطلب قدراً كبيراً من الموظفين والأموال والمباني تفوق ما إذا كانت المكتبة تقوم بمهمة واحدة، إما وطنية أو جامعية[٢٤].

إن ازدواجية وظائف المكتبة الوطنية ـ الجامعية قد أحدثت اختلالاً في تقديم خدماتها لكل من الاتجاهين الوطني والجامعي، ويمكن إيجاز ذلك الاختلال فيما يلي :

١ ـ في نواحي الضبط الببليوجرافي، حيث إن بعض المكتبات الوطنية ـ الجامعية تهتم بإصدار الببليوجرافية الوطنية على مستوى الوطن ولا يوجد بها قائمة ببليوجرافية لما أصدرته جامعاتها من كتب.. كما أن هذا النوع من المكتبات يعتبر أن إصدار ومتابعة الفهرس الوطني الموحد National Union Catalog أكثر أهمية من أن يكون هناك فهرس موحد للمكتبات الفرعية داخل الجامعة نفسها[٢٥] وهنا يظهر أنه قد طغى الاتجاه الوظيفي الوطني على اتجاه وظيفة المكتبة الجامعية.

٢ ـ في خدمات الرواد، حيث يعاني رواد المكتبة الجامعية من الإجراءات التنظيمية المفروضة على رواد المكتبة الوطنية، تلك الإجراءات التي تعمل على زيادة الحفاظ على مقتنيات المكتبة، ومنها الحد من الإعارة الخارجية والمراقبة الدقيقة لصالات القراءة الحرة.

٣ ـ اضطراب عمليات التزويد بين المواد المكتبية التي تهم التخصصات التي تقدمها أقسام الجامعة ومدارسها وكلياتها وتلك التي تهم مجال خدمة المكتبة الوطنية، وهي خدمات ذات طابع وطني شامل يتعلق باهتمامات الوطن ومثقفيه وعلمائه وخبرائه.

٤ ـ اختلاف الاهتمامات القرائية بين رواد المكتبة الجامعية ورواد المكتبة الوطنية، فالأخيرة روادها التقليديون الذين يكونون في معظمهم أولئك المهتمين بمجالات الإنسانيات كاللغات والآداب والتاريخ والفلسفة[٢٦].. أما رواد المكتبة الجامعية فهم مجموعات متباينة الاهتمامات التي تتعلق بكافة مجالات المعرفة البشرية وخصوصاً مجالات العلوم والتكنولوجيا والآداب العالمية المختلفة.

٥ ـ اضطراب توازن المجموعة المكتبية بين تخصص وآخر في المكتبة الجامعية وبين المجموعة التي تمثل المكتبة الوطنية.

خاتمـــة :

من خلال الاستعراض السابق لصعوبات الازدواج في أداء وظيفتي المكتبة الجامعية والمكتبة الوطنية يتضح أن هناك تداخلاً كبيراً بين الوظيفتين، وسيكون أداء إحدى الوظيفتين على حساب الوظيفة الأخرى مما ينتج عنه اختلال في الأداء الوظيفي حتى وإن امتلكت المكتبة المزدوجة الواحدة مقومات الفصل بين الوظيفتين من حيث تحديد التخصصات وتوزيع العاملين في المكتبة.. فالمكتبة الواحدة في مكان ومبنى واحد لن تخدم الوظيفتين على حدٍّ متساوٍ، وإذا

كانت هناك عوامل تاريخية أدت إلى أن تقوم المكتبة الجامعية بوظائف المكتبة الوطنية فإن التطور العلمي وازدياد الإنتاج الفكري في أي بلد سيحتم الفصل بين الوظيفتين، واستقلال كل مكتبة بجهازها الوظيفي والإجرائي وحتى المكاني.. أما العوامل الاقتصادية فإنها ترى بوضوح في دولة واحدة وهي (يوغسلافيا) حيث تتوزع في هذا البلد عدة جمهوريات ومقاطعتان لكل منها استقلالها فيما يتعلق بالإنتاج الفكري، كما أن النظام السياسي الذي يحكم (يوغسلافيا) له دور كبير في تبوّء كل مكتبة جامعية في كل جمهورية ومقاطعة وظائف المكتبة الوطنية، أو ليقال تجاوزاً (المكتبة الإقليمية) لأن كل مكتبة وطنية لاتمثل يوغسلافيا كاملة.

وإذا ما أخذ في الاعتبار أيضاً ما توصل إليه S.B. BANDARA من أن الجمع بين وظيفة المكتبة الجامعية والوطنية في أي دولة نامية لاتملك مكتبة وطنية وإنما تخطط لأن تقوم أي مكتبة جامعية فيها بوظيفة المكتبة الوطنية لابد وأن يضع المخطط أمامه استراتيجيات ثلاثاً جميعها سيؤدي على المدى المستقبلي إلى التفكير في فصل الوظيفتين[٢٧] إن تلك النتيجة صحيحة إلى حد كبير إذا ما تم تطبيقها على المملكة العربية السعودية حيث لاتوجد مكتبة وطنية في الوقت الراهن، ذلك لأنه إذا ما قامت إحدى المكتبات الجامعية في المملكة بوظيفة المكتبة الوطنية فإن ذلك يعني إضافة أعباء جديدة إلى إحدى تلك المكتبات الجامعية مما يعني اختلالاً في أدائها الوظيفي، فالمكتبات الجامعية في المملكة تواجه مسئوليات متزايدة تفرضها عليها أعداد الطلاب المقبولين سنوياً، وكذلك توسع البرامج التعليمية الأكاديمية بصفة مستمرة وشبه سنوية، فوظيفة المكتبة الوطنية ليست فقط تنفيذ ومتابعة الإيداع القانوني، وإنما هي وظائف أخرى تتوسع وتزداد اتساعاً مضطرداً ومتوازياً مع التطور العلمي والفكري لأي بلد.

وعلى ذلك فإن الكاتب هنا يثبت فرضيته التي وضعها في مقدمة هذه الدراسة من أن المكتبة الجامعية ــ الوطنية نموذج غير ناجح إذا ما أريد للخدمة المكتبية الوطنية أن تؤدي على نحو ماهو ثابت ومتعارف عليه في وظائف المكتبة الوطنية.

المراجــع

1 - Goodfrey Burston "National Libraries: an Analysis" International Library Review 5 (1973) 183-194.

2 - Wormann, National Libraries in our time. The UNESCO Symposium on National Libraries in Europe. LIRRI V. 9 no 4(1959) P. 49.

3 - Matko Rojnic, "University Libraries in a Double Function..." libri 16 (1966) 140-147

4 - S.B.B/andera "Can University libraries serve the National library role in developing Countries" Libri 29 (June 1979) 127-143

5 - Goodfrey Burston - Goodfrey. O.P Cit. PP 183 - 194.

6 - Pierre Bourgeois, Forward to National Libraries: Their problem and prospects. Symposium on National libraries in Eurpe, Vienna, 8 - 27 September 1958. Paris: UNESCO 1960, P.6.

7 - K.W. Humphreys,"The Role of the National library: A preliminary statement," libri 14(1964) 356-368

8 - --------"National library Functions" Unesco Bulletin for libraries 20 (july - August, 1966) 158-169

9 - Maurice B. line "The Role of National libraries: A reassesment, " libri 30 (1980) 1-16

10 - Abdulaziz M. AL-nahari "The National library, An Analysis of critical Factors in promoting library servces in developing Countries: The Case of Saudi Arabia" (Ph. D dissertation, University of CALIFORNIA, LOS ANGELES, 1982) PP - 261 - 263

11 - Ibid 119

12 - ALA World Encyclopedia of library and information Services s.v. ISRAIL

13 - ibid, (SUDAN)

14 - ibid (FINLAND)

15 - Rojonic, Matko, op cit. p 142

16 - ALA World Encyclopedia .../o p cit (KUWAIT)

17 - ibid (NORWAY)

18 - ibid (YUGOSLAVIA)

19 - ibid (ICELAND)

20 - Bandara, S, B. O.p. cit p 132

21 - D.T. Richnell "The National library problem, A paper given at the Annual Conference of the library Association. may 1468 library A ssociation Record VOL, 70, no 6(june, 1962) p 148

22 - Rojonic, Matko, o.p. cit. 143

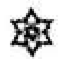
23 - i bid p, 146

24 - i bid p, 146

25 - i bid p, 146

26 - p. HAVARD - WILLIAMS, "National and University libriaries - Special services for special Readers" libri VOI, 18, NO. 3-4 (1968) p. 173

27 - Bandara, S .B. O.P cit



كتب الأخبار

مرحلة من مراحل الكتابة التاريخية عند المسلمين

عبد الرحمن عبد الله الشيخ

أستاذ التاريخ الحديث المشارك في جامعة الملك سعود

كان التاريخ عند العرب قبل الإسلام ـــ وكذلك في فجر الإسلام، **مجرَّد أخبار**، تُرْوَىٰ فُرادى، ليس من رابطٍ بينها من تتابع زمني منضبط، فقد كان هذا محالاً قبل اعتماد التاريخ الهجري أساساً لضبط الأحداث عند المسلمين. لذلك فإن الباحثين يلاحظون اختلافاً، يقل أو يكثر، في تاريخ الوقائع والأحداث الإسلامية السابقة على سنة ١٧هـ كما يلاحظون أن الروايات التاريخية السابقة على الإسلام غالباً ما لا تُرْبَطُ بزمنٍ مُعَيَّن، ولا بأحداثٍ جُلّي وقعت في العالم. كل ما في الأمر أنهم ربطوها بأحداثٍ محلّية، مُرْتبطة بقبائلهم، ومواطِنِ إقامتهم، من حيث أعوام اليُسْر والرخاء أو أعوام القحط والشدّة، أو بريحٍ صَرْصرٍ عاتية، اقتلعت خيامهم، وشتَّتت الإبل. لهذا فإن الروايات الشِّعْرية والنثرية الإخبارية التي وصلتنا عن عرب الجاهلية لا تخرج في انضباطها الزمني عمّا ذكرناه آنفاً. وهي روايات تعتريها المبالغة، وقد تكون هذه المبالغة صادقة بل ومعتدلة من وجهة نظر رواتها الأُول. فالصحراءُ واسِعَة رَحْبَة لا تُدْرِكُ العين لها نهاية، والعربي يتجول في مساحة شاسعة منها، وإذا كان الجغرافيون اليوم يقيسون درجة الكثافة البشرية في الدول بقسمة المساحة على عدد السكان، فالذي لا شك فيه أن الفرد في زمام عشيرته أو قبيلته كان نصيبه في البادية، يفوق الميل المربّع. وفي ظلّ هذه الرحابة قد يُحسُّ الإنسانُ أنّه مِحْور الكون، وقطبُ الرَّحى، وقد يَظُن أن الشمس ما أشرقت إلاّ له، وما غابت إلاّ لينام، هو وحْده دون سائر العالمين. لذا، فإني أرى أن **الأخبار** أو **الأيام**[1]، وهي الشكل الأوّل للتاريخ عند العرب، والتي وصفها مؤرخو التاريخ، بالمبالغة والكذب ـــ هي في واقع الأمر صادقة، إذا تناولناها من وُجْهة نظرٍ تحليلية مرتبطة بالبيئة الجغرافية، فهذا الزاعم بأن الرضيع من أهله إذا بلغ فطاماً خرَّت له الجبابر ساجدين، وأن البرّ قد ضاق عنه وعن أهله، وأن البحر ـــ الذي ربما قد سَمِع عنه مجرّد سماع ـــ سيمتلىء بأهله وسفنهم.. وغير هذا كثير، لا يمكن أن يصدر مِثْل حَديثه إلاّ عن شخصٍ أو شخوصٍ يظنون أنهم مِحْور الكون، والأمثلة أكثر من أن تدخل تحت حصر، وهي صادقة من وُجْهة نظر سيكلوجية، لا من حيث مطابقتها للواقع، لهذا فهي مصدر أساسي وصادق للتأريخ للنفسية العربية قبل الإسلام. إنها دَعْوة إذن لإعادة قراءة هذه **الأخبار**، وإخضاعها للبحث النفسي، وليس لاستقاء وقائع وقعت بحذافيرها.

وكما لم ترتبط **الأخبار**، التي هي مَلْمح التاريخ عند المسلمين في شكلة الأوّل ـــ برباطٍ من تقويم تاريخي مُحْكم، فإننا نلاحظ كذلك، أنها لم ترتبط بِنَسقٍ مَنْطِقي، يجعل للأحداث أسباباً، تُفضي إلى الحدث نفسه، فتكون له ـــ من ثمّ ـــ نتائج تَنْبَجِسُ منه انبجاساً وإن كان هذا قد يكون كامناً في عقل الراوي والمستمع على نحوٍ تركيبي.

كما أننا نلاحظ أن **الأخبار**، لم تكن في حالات كثيرة، تتحلّق حول موضوع واحدٍ مُحدّد، ويمكن تفسير ذلك بطبيعة المجالس التي كانت تُرْوَىٰ فيها الأخبار، من ناحية، والحاجة التي دعت لروايتها، من ناحية أخرى.

أما عن الحاجة الاجتماعية **للأخبار**، فتمثلت في صدر الإسلام ـــ كما كان الحال قبل الإسلام ـــ كموضوعٍ لقطع الوقت والسَّمَر، وهي ـــ أي الأخبار ـــ في هذه الحالة، قد تُرْوَىٰ لعظةٍ وعبرة، أو للتمثيل والتشبيه بأحداثٍ حدثت لتوّها، أو للطُّرْفة والنادرة، استجلاباً للسرور، ودفعاً للغم، وهي ـــ أي الأخبار ـــ كانت بالإضافة لذلك كله، تُشيد ـــ خاصة في الجاهلية ـــ بأمجاد القبيلة ومفاخرها، كما استخدمها أعداء الإسلام ـــ بعد الإسلام بالطبع ـــ لتفكيك عُرى المسلمين، وإثارة الحزازات القديمة، لكن طالما كان رسول الله ﷺ بين ظهرانيّ المسلمين، لم يكن هناك مجال لدعوى الجاهلية وهو فيهم. وما دامت هذه هي طبيعة الحاجة الاجتماعية للأخبار،

فمن نافلة القول أن نقول إن هذا يؤدي إلى المبالغة والتحريف والاختلاق، استجلاباً للضحك والسرور، أو استدراراً للدموع في مجال العظة والعبرة، أو ليكون الحدث القديم مطابقاً للحدث المعاصر، كأن يقول الراوي إن ما حدث هذا اليوم، شبيهٌ بما حدث قديماً، إذ حدث كذا وكذا بين قبيلة كيت وكيت... وقد تكون المبالغة والتهويل ليثبت الراوي فضل قبيلة على أخرى، أو إن كان يريد الفتنة، فإنه يزيد عدد القتلى من أحد الجانبين المتقاتلين في تلك المعارك القبلية الجاهلية.

وكما كان **للأخبار**، حاجة اجتماعية، كان ثمّة حاجة سياسية لها. وإذا كان الناس على عهد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، لم يكن لديهم وقت إلاّ لتتبّع ما يصدر عنه ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير، وتتبّع ما ينزل عليه من آي الذكر الحكيم، والمشاركة فيما يقوم به من غزوات وما يعقده من اتفاقات، مما شغلهم عن **أخبار** غيره. وكان هذا هو الوضع على نحوٍ ما في عهد الراشدين. فإن معاوية رضي الله عنه قد شُغِف **بالأخبار**، وإن كان من المُسْتَبْعد أن يكون ذلك لمجرّد السَّمَر والتسلية.

ولنرجع إلى المسعودي مثلاً، يقسّم لنا يوم معاوية، أو كما نقول بلغة العصر برنامجه اليومي. فيذكر المسعودي أن معاوية رضي الله عنه بعد أن يصلي العشاء يأذن للخاصة، وبعد مُشاورة وزرائه، يستمر إلى ثُلث الليل في **أخبار** العَرب وأيامها والعجم وملوكها وسير ملوك الأمم وحروبها ومكائدها.. ثم تأتيه الطُرَف والحلوى من عند نسائه، ثم يدخل فينام ثلث الليل.. ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيه سِيَر الملوك وأخبارها والحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمان مُرَتّبون، وقد وُكلوا بحفظها وقراءتها[٢].

إذن، لقد كان لمجالس الأخبار، **وظيفة سياسية**، أو دعت إليها **حاجة سياسية**. وما دام الأمر كذلك، فإن هذا أيضاً أدعى بالراوي في أحيان، إلى توجيه **الأخبار** والمبالغة فيها، أو حتى اختلاقها اختلاقاً، فالقريبون من ذوي السلطان، كثيراً ما يتصورون ــ وقد يكون هذا صحيحاً ــ أن في مقدورهم ترقيق قلب الحاكم، أو حَثّه على العدل أو ملء رأسة بأيّ أمرٍ كان، حتى ولو كان أولئك القريبون يشغلون وظائف بسيطة، كالحلاّق والساقي والراوي والإخباري وما إلى ذلك.

وفي وسْعنا أن نتصوّر ــ والتصوُّر عملية ضرورية في إنشاء النص التاريخي ــ أن الخليفة يعرض على **الإخباري** حدثاً معاصراً (للخليفة) ثم يطلب منه أن يروي له أحداثاً أو وقائع مشابهة عرضت للأقدمين، وكيف وجدوا لها حلاً، أو كيف تصرّفوا إزاءها. ومن الممكن أن يشرع الإخباري، في الحديث وقصّ قصص الأقدمين للخليفة، في وقت بعينه، دون باعثٍ من أحداث معاصرة (أي معاصرة للحاكم والإخباري). والحق أقول لكم، إن التصوّر الأوّل أقرب إلى المنطق، وأقرب إلى طبيعة الأمور. وكل هذا يؤكد ما ذكرته في صدر هذا المبحث من أن الأخبار لم يكن يربط بينها رابط من تقويم مُحْكم أو موضوع مُحَدّد.

وعادة ما كان الإخباريون يلجأون إلى **أخبار** يرجعونها إلى عهود سحيقة يُسْقطون عليها توجيهاتهم، وهذا أيضاً يتمشى مع طبيعة مواقعهم من ذوي السلطان، وطبائعهم البشرية.

وثمَّة حاجة أخرى أدت لظهور الإخباريين، ذلك أن القرآن الكريم قد أشار في مواقع كثيرة لأمم وشخوص ومواقع في عهود سابقة أو بائدة، كما قصَّ القرآن الكريم قَصَصاً بقصد العظة والعبرة، دون تفصيل لأسماء الأعلام أو تحديد لمواقع.. وقد عنّ لبعض المسلمين في صدر الإسلام أن يسألوا عن هذه التفاصيل، فلجأوا لرواة الأخبار مِمّن كانوا من أهل الكتاب فأسلموا، فأخبروهم ببعض ذلك. وما أخذه المسلمون من أهل الكتاب الأُول، عُرِف في تاريخنا الإسلامي باسم **الإسرائيليات**. **فالإسرائيليات** إذن ليست ما أخذه المسلمون عن كتب اليهود فحسب وإنما ما أخذوه من كتب النصارى أيضاً. لذا فقد ارتبط الإخباريون الأوَل في جانب كبير من أخبارهم بالإسرائيليات.

وتشير كتب تاريخ التاريخ عند المسلمين، إلى ثلاثة من روّاد الأخبار أو الإخباريين هم وهب بن منبه وكعب الأحبار وعبيد بن شريه الجُرْهمي.

ورغم أن علم التاريخ عند المسلمين قد تَطَوَّر في مَنْهجة تطوراً عظيماً ــ بعد ذلك ــ يحق لنا أن نباهي به الأمم من خلال منهج ضبط الخبر التاريخي والتحقق منه على يد جمّاع أحاديث الرسول ﷺ العظماء، في القرن الثالث للهجرة (البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي وأبو داود) ثم اتخذ شكل حوليات، وتواريخ دول وتواريخ بلدان. ورغم كل هذا إلاّ أن طريقة الإخباريين الأُوَل لم تندثر. وهذا شأن الظواهر الحضارية لا تأتي ظاهرة لتَجُب الظاهرة السابقة، وإنما تتعايش الظواهر الحضارية أو الثقافية معا.

* * *

وقد **زخرت** المكتبة العربية بمجموعة **كتب أخبار**، لم يلتفت إليها الباحثون، كمصدر للتاريخ، بما فيه الكفاية. وسنقدم في السطور التالية عَرْضاً لهذه الكتب وأهمية مضمونها التاريخي، من خلال كتب الأخبار التالية. وقد أشرنا لطبعات بعينها، لا لتميزها عن غيرها، وإنما ــ فقط ــ لتوفرها بين أيدينا، عند كتابة هذا البحث.

١ ــ أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان. تأليف: العباس بن بكّار الضبِّي (ت ٢٢٢). تحقيق: سكينة

شهاب. بيروت، مؤسسة الرسالة.

٢ ــ **البخلاء**. تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥) بيروت، المكتبة الثقافية.

٣ ــ **البُرْصان والعُرجان والعميان والحولان**. تأليف: الجاحظ تحقيق: محمد مرسي الخولي. القاهرة وبيروت، دار الاعتصام.

٤ ــ **أخبار الأذكياء**. تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧) تحقيق: محمد مرسي الخولي. القاهرة وبيروت، دار الاعتصام.

٥ ــ **أخبار الظراف والمتماجنين**. لابن الجوزي. دمشق، القدسي.

٦ ــ **أخبار الحمقي والمغفّلين، من الفقهاء والمفسّرين والرواة والمحدِّثين والشعراء والمتأدّبين والكتاب والمعلمين والتجار والمتسببين وطوائف تتصل بالغفلة بسبب متين**. القاهرة، قام بطبعه وتصحيحه والتعليق عليه: عثمان خليل.

٧ ــ **أخبار النساء**. تأليف: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١) شرح وتحقيق: نزار رضا. بيروت دار مكتبة الحياة.

٨ ــ **أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعُمران**. تأليف: أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦) بيروت، دار الأندلس.

وثمة مجموعة أخبار، قام كُتّاب مُحْدثون بجمعها عن إخباريين قدماء، ومن ذلك:

أخبار أبي العيناء اليمامي (ت ٢٨٢هـ). جمعها وقدم لها بالدراسة محمد ناصر العبّودي. الرياض، دار اليمامة، ١٩٧٨.

وهناك كتب أخبار هي أقرب إلى كتب التراجم، وإن كان لها بعض الملامح الخاصة بكتب الأخبار، ومن هذه الكتب:

١ ــ **أخبار البحتري** ، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥).

٢ ــ **أخبار أبي تمام** للصولي أيضاً.

٣ ــ **أخبار النحويين البصريين**، لأبي سعيد الحسن بن عبدالله السِّيرافي حققة: فريتس كرنلو. بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٦ (نشرة معهد البحوث الشرقية بالجزائر، ضمن سلسلة خزانة الكتب العربية ــ ٩).

على أن بعض المؤرخين المسلمين، قد استخدموا لفظ الخبر أو الأخبار في عناوين كتبهم، رغم أن كتبهم هذه لا تدخل ضمن كتب الأخبار بالمعنى الاصطلاحي الذي حاولنا تحديده، وتتبّع جذوره التاريخية في هذا البحث، وذلك مثل كتاب الأخبار الطوال لابن قتيبة الدِّينَوَري، وأخبار مكّة لمحمد بن عبدالله الأزرقي (ت ٢٦٣ تقريباً).

* * *

ولعل كتاب أخبار النساء لابن قيم الجوزية، يُعد من أشهر كتب الأخبار، فالحديث عن النساء حديث شائق عندما يجتمع الندماء والسّمار، خاصة إذا كان بهم رقاعة، أو كانت بهم حِكْمة. فالحديث عن النساء يشمل وفاءهن وغَدْرهن، وحكايات كثيرة عنهن فيها مجون. ورغم أن النساء هُن محور الكتاب المشهور المنسوب لابن قيم الجوزية، والذي نسبه البعض لابن الجوزي، إلاّ أن هذه الحكايات ذاتها تعد مصدراً لكثير من الوقائع التاريخية. ففي سياق قصّة وَلَهِ امرأة من المدينة برجل من بني أميّة يحكي ابن القيِّم قصَّة إخراج أهل المدينة لبني أميّة من مدينتهم، سخطاً عليهم[٣]. ويحدثنا كتاب أخبار النساء أيضا عن محاولة معاوية بن أبي سفيان خِطْبة نائلة بنت الفرافصة الكلبي زوجة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، بعد استشهاده، وبعد استتباب الأمر لمعاوية، لكنها رضي الله عنها، رفضت ذلك، وكسرت أسنانها الأمامية لتفسدها، وكانت قد عُرفت بِحُسْن ابتسامتها. وتحدِّثنا كتب السيرة إجمالاً عن دخول أهل مكة في الإسلام عام الفتح، لكننا نقرأ في أخبار النساء من خلال قصة أم هانيء بنت أبي طالب أن هناك من آثر الهرب من مكة يوم فتحها مؤثراً الكفر والضلالة. والعياذ بالله[٤].

فإذا ما انتقلنا إلى كتاب آخر من كتب الأخبار، ككتاب ابن الجوزي الموسوم باسم **أخبار الحمقى والمغفلين**، وجدنا محقِّق الكتاب يقول «المخطوطة الأصلية التي نقلتُ عنها هي نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق التي صوِّرت عنها نسخة أحمد تيمور. والنسخة المطبوعة قد أسقطت سلسلة العنعنة (الإسناد) إلاّ الأسماء الأخيرة في السلسلة... لأن الكتاب لا يتعلق بأحاديث تُحقق أو آيات تُفسّر أو أحكام تدوّن.. بل هو فكاهة وسمر، وموعظة وعبرَ..»[٥].

ويذكر ابن الجوزي أن لكل منا حماقاته، كما أن أكثر الناس ذكاء قد تعترية لحظة أو لحظات يُسْتَغْفل فيها. كما أن الذكاء قد يختلط بالتغفيل، فما يُروى عن جُحا ــ وهو فيما يقول ابن الجوزي يكنّى أبو الغصين، وكان موطنه البصرة ــ فيه ما هو في قمة الحكمة والذكاء، وما هو في قمة البَلَه والتغفيل والحمق[٦]. وإن كان المرحوم عباس محمود العقاد يميل إلى أن ما نُسِبَ إلى جُحا يستحيل أن يكون صادراً عن شخص واحد، لتباعد الفترات الزمنية التي تجري فيها الحكايات المنسوبة إلى جحا، وكذلك تباعد الأماكن أيضاً، واختلافها اختلافاً شديداً، مما يجعل جحا، وإن كان شخصية حقيقية إلاّ أن الناس (أسْقطوا) عليه آراءهم ونسبوا إليه مايريدون

قوله[٦]. بل إن ابن الجوزي نفسه يذكر عن مكي بن إبراهيم قوله: «رأيتُ جحا رجلاً كيِّساً ظريفاً، وهذا الذي يُقال عنه مكذوب عليه، وكان له جيران مُخَنَّثون يُمازحهم ويُمازحونه، فوضَعُوا عليه»[٧].

ولعل من أخطر الأفكار التي أوردها ابن الجوزي أن قوماً كانوا يتظاهرون بالغفلة والحمق، وما هم بحمقَى ولا مغفّلين، ولكنهم وجدوا هذه الصفات قريبة لنفوس الخلفاء والوزراء، ووجدوا أن هذه الصِّفات تجعلهم في مَأمن، وتُبعدُ عنهم صفة (الخطورة) وليأمنوا على ماجمعوه من مال وافر فلا يغتصبه منهم الحكّام، وإنها ـــ لعمري ـــ لأفكار خطيرة رهيبة، مازالت فاعلة مؤثرة في حياتنا المعاصرة. وفي تتّبع جذورها التاريخية فائدة كبيرة لتشخيص عيوب الشخصية العربية في كثير من بقاع وطننا العربي الكبير. ومن حكايات الأشخاص المُتَغافلين الذين يروي عنهم ابن الجوزي، حكاية ابن الجصّاص (القرن الرابع للهجرة) إذ إن ابن الجصّاص لمّا أحسّ أن أبا الحسن بن الفُرات سَيَسْلبه ماله، بالغ في التغابي والتحامق[٨] وليس هنا مجال تفصيل حكايات ابن الجصّاص، لكن دلالات مثل هذه الحكايات ـــ كما سبق القول ـــ في منتهى الخطورة، وفي تتبع جذورها التاريخية ضرورة عملية، فقد بات معروفاً في كثير من مناطق العالم الإسلامي أن «التهريج» و«خِفّة الظِّل» و«الغباء» هي بعض الوسائل للوصول إلى أماكن قريبة من السُّلْطة، وبذلك أصبح الغباء أو القدرة على التغابي والإضحاك، بضاعة غير مُزْجاة، وتوارى في الظل عُلماء أفذاذ، وقد بلغت هذه الظواهر السيئة ذروتها في تاريخنا الحديث والمعاصر، ففي كثير من البلاد العربية، كان التظاهر بالمجون «التماجن» وسيلة للنجاة من براثن السُّلطة، لأن «التديّن» قد تفسّره السلطات تفسيراً يؤدي إلى غياهب السجن. وكان التظاهر بالغباء أمراً ضرورياً لأن إحساس المسئول السارق أو الظالم أو الخائن بأن هناك من «يفهمه» قد يؤدي بهذا الفاهم إلى عواقب وخيمة. وظاهرة «الدروشة» أو «التصوّف» أو الإغراق في «الوَجْد» أو «البُعْد عن الدُّنيا» كانت في كثير من جوانبها طَمْأنة للحكام الظَلَمة، اتقاءً لشرّهم، فكأنما هؤلاء الناس بخلقانهم الممزّقة، ولُعابهم السائل من أفواههم، وترديدهم كلمات تنم عن البَلَه، يريدون أن يقولوا للحكام الظالمين، إنه لا علاقة لهم بشيء من أمور الدنيا، فيكون لهم بذلك الأمان. ما أبشع هذا؟! لكن كتب الأخبار التي لا يتناولها المؤرخون باهتمام، أو لا يتناولونها إطلاقاً. تقدم لنا تحْذيرات لهذه الظواهر البَشِعة. وما أروع أن يقوم بعض الباحثين في التاريخ بالتأريخ لمثل هذه الظواهر ويُرْجعُونها تفصيلاً لأسبابها. فهذا أفضل من الهُراء الذي يكتبونه مُكرّراً مُعاداً، لا يُساوي ثمن الورق الذي كُتِب عليه، في بعض الأحيان. وبذلك يكون التاريخ علماً مفيداً يُفسِّر ظواهر حياتنا الاجتماعية والسياسية المعاصرة. ورحم الله الجاحظ إذ يقول في كتابه «البُرْصان والعُرجان...» وهو كتاب آخر من كتب الأخبار ـــ لائماً أولئك العلماء المنشغلين بغير المفيد، تاركين المفيد ذا المردود العملي، فقد وصف الجاحظ أحد الفقهاء قائلا: «إنه أعلم الناس بما لم يَكُن وأجْهلهم بما كان»[٩].

وأبسط ما يمكن قوله في كتاب «البرصان والعُرجان..» هو أنه يحاول إثبات مكان خَفِي في الحياة الاجتماعية والأدبية والسياسية لما نسميهم بمصطلحنا المعاصر «بالمعوّقين». ويذكر الجاحظ في كتابه هذا أن هذه الصِّفات ارتبطت أحياناً بالشرف والأعمال الجليلة والمجيدة، حتى إنها ـــ أي العَمى والعَرَج.. الخ ـــ أصبحت موضع فخر ومجال تباه.. وأورد الجاحظ أشعاراً لإثبات ذلك[١٠].

وإذا كان الاهتمام بالمعوّقين ظاهرة تبدو عصرية، ولمحة تبدو حضارية، فإن كتاب الجاحظ هذا دعوة لبعض الباحثين للتأريخ لظاهرة الاهتمام «بالمعوّقين» في حضارتنا الإسلامية العظيمة.

ونعود لابن الجوزي مرّة أخرى في كتابين آخرين له، من كتب الأخبار. فكتاب (الأذكياء) ويسمّى أيضاً (أخبار الأذكياء) و(كتاب الأذكياء)، حيث يؤرخ ابن الجوزي للحياة الاجتماعية في عصره فيتكلم عن أحوال العوام وأفعالهم، وحيل المحاربين واللصوص ومدّعي الطب وأخبار أهل الفِطَن من الرجال والنساء[١١]، وهو يتناول حيل من نسميهم بلغتنا المعاصرة (النصّابين).. إذن، لقد كان في ناس الزمن الأول، نصّابون أيضاً. فذلك إذن ليس قصراً على عصرنا هذا. فلكل عصر نصّابوه.. والواقع أن هذه الطريقة في التناول التاريخي، تُخَفِّف عُزلة الناس عن واقِعهم المُعَاش، فإن كثيرين يميلون لتصوير عصور مضت، على أنها خير خالص ومثالية خالصة، وذلك في مقابل عصرنا الحاضر، الذي لا يرونه إلاّ زاخراً بكل نقيصة، مَحْشُواً بكل رذيلة. وليس الأمر كذلك. أما كتاب أخبار الظِّراف والمتماجنين لابن الجوزي أيضا فقد قسّمة إلى أبواب على نحو ما ذُكر في الرِّجال، وماذُكر في النساء... وهكذا.

لقد تعرَّضت في السطور السابقة لباقة من كتب **الأخبار** الطريفة التي يصلح محتواها فكاهة وسمراً في المجالس، وأحاديث للناس في مقامهم ورحلهم، ومع هذا فهي كما قلنا مصدر أساسي للتاريخ عامة، والتاريخ الاجتماعي خاصة. غير أنني تناولت في صدر هذا المبحث طائفة من الإخباريين جَعَلتْ محور اهتمامها أخباراً ينقلونها عن أهل الكتاب الأُول (اليهود والنصارى خاصّة) أشار إليها الباحثون في تطور التاريخ عند المسلمين باسم الإسرائيليات. وحتى هذا النوع من الأخبار لم ينته، وإنما نشير هنا إلى كتاب **أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، الذي ألفه علي بن

الحسين المسعودي، الجغرافي والمؤرخ والإخباري الأشهر. يقول محقق أخبار الزمان عن المسعودي إنه «عالم جليل، فلكي، حاسب، منجّم، جغرافي، فقيه، محدّث، جدلي، نظّار، مؤرّخ، نسّاب، فيلسوف، أديب، راوية»[١٢] ويقول عن الكتاب «إنه يضم حلولاً لمسائل فلسفية وقضايا ما وراء الطبيعة وأخباراً طريفة».

وقال المسعودي عن كتابه هذا، وذلك في صدر كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر إنه — أي كتاب أخبار الزمان — أوْعى كتاب في التاريخ وأشمله[١٣] ويقول المسعودي إنه في كتابه أخبار الزمان «ذكر ما وقع إليه من أسرار الطبائع وأصناف الخلق.. وَنَصِلُ ذلك بذكر مايجب ذكره من ملوك الأرض وما عملوه من عجائب الأعمال وشيدوه من عجائب البلدان ووصفوه من الآلات المستطرفة والطلسمات المستعملة، وما بنوا من هياكلهم وأودعوه نواويسهم، وزبروه على أحجارهم... ونبدأ بما جاء في الملّة الحنيفية»[١٤]..

والمسعودي لا يروي الإسرائيليات مجرّدة في أحوال كثيرة وإنما هو يعلّق على بَعْضها ويفنّدها بألفاظ وعبارات على شاكلة «تعالى الله عن قولهم» أو «يزعمون» أو «كذب زعمهم» ولنأخذ من قوله قبساً:

«... ويزعمون أن الأمم الماضية، تعالى الله عن قولهم، إنما كان تدبيرها بالكواكب الثابتة، وهي ألف كوكب وعشرون كوكباً، يقطع كل كوكب منها البُرج في ثلاثة آلاف سنة، وهي التي تعمل الأعمال كلها، وبها يكون جميع الأمور..»[١٥].

وقوله:

«وزعم قوم من الحكماء الأوائل أن الكواكب ملائكة»[١٦] وعند حديثه عن عُمر الدنيا، يذكر أن الأقدمين ذكروا أقوالاً «لا تَسلّم لهم» ثم يتحدث عن قبائل الجن، وهو في هذا الفصل يتحدث عن لقاء الجن بالإنس في الصحارى والوديان والجبال ويقص في ذلك قصصاً طويلاً، ويذكر حكايات عن جن وعفاريت تتمثل حيوانات[١٧] إنه نوع من الأخبار يتداوله الناس. لكن المسعودي أيضاً يحدثنا عن آل فرعون وعن الأهرامات. وعن قصة يوسف مع امرأة العزيز.. معتمداً في بعض أخباره على الإسرائيليات.

ولعلّي بهذا أكون قد وضعت أيدي الباحثين في التاريخ الإسلامي خاصة على طائفة من الكتب لم تلق الاهتمام الكافي كمصدر للحياة الاجتماعية خاصة. كما أنها كتب مليحة للقارىء العام.

التعليقات والمراجع[*]:

(١) لمزيد من المعلومات عن الإخباريين الأُوَل انظر:

— عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب. بيروت، ١٩٦٠.

— يوسف هورفتس، المغازي الأُول ومؤلفوها. ترجمة حسين نصار القاهرة، ١٩٤٩.

— مرجليوث، دراسات عن المؤرخين العرب. ترجمة حسين نصار. بيروت، دار الثقافة، د.ت.

— محمد عبد الغني حسن، علم التاريخ عند العرب. القاهرة، ١٩٦١.

— نور الدين حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ. دمشق، مطبعة الهلال، ١٩٨٢.

أو أيه طبعات أخرى للكتب المذكورة عاليه.

(٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة، ١٩٤٨. ٤ج. انظر ج٣ ص ص ٤٠ — ٤١.

(٣) ابن قيم الجوزية، أخبار النساء، ص ١٢٨، ص ص ١٣١ — ١٣٢.

(٤) نفسه، ص ١٢٨، ١٣٧.

(٥) عثمان خليل، مقدمة أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، ص ٣.

(٦) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ٢٦.

(٧) عباس محمود العقاد، جحا الضاحك المضحك، ص ١٨.

(٨) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ٢٦.

(٩) الجاحظ، البرصان والعميان... ص ص ٣ — ٤.

(١٠) نفسه، ص ١٠.

(١١) ابن الجوزي، أخبار الأذكياء. ص ص ط — ك.

(١٢) عبد الله الصاوي، مقدمة تحقيق أخبار الزمان للمسعودي. ص ٧.

(١٣) المسعودي، أخبار الزمان، ص ٩ وهذا يدل على أن الكتاب بشكله المطبوع بين أيدينا مجرّد تلخيص للكتاب الأصلي.

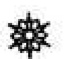
(١٤) نفسه، ص ٢.

(١٥) نفسه، ص ٦.

(١٦) نفسه، ص ٧.

(١٧) نفسه، ص ص ١٤ — ١٧.

(*) أشرتُ لطبعات الكتب في متن البحث لأن السياق اقتضى ذلك.



مخطوطات زاوية "سيدي خليفة" في الجزائر

خليل ابراهيم العطيّة
معهد الآداب واللغة العربية - باتنة - الجزائر

على بُعد نحو من خمس وأربعين كيلو متراً في الشمال الغربي من مدينة قسنطينة ــ مركز إحدى ولايات الشرق الجزائري ــ تقع قرية صغيرة وسط جبال عالية مشرفة على مروج خضر تدعى «سيدي خليفة» يعيش معظم سكانها البالغ عددهم نحواً من خمسة آلاف نسمة على الزراعة والتجارة.

وعلى ربوة عالية منها تقع زاوية تشتمل على جامع، ومجموعة مساكن كانت يوماً مكاناً لإيواء من يقصدها من طلبة العلم، ويقيم الآن فيها طائفة من أحفاد صاحب «الزاوية».

وفي الزاوية ضريح قبر صاحبها، وحجرتان لتعليم الصبيان القرآن الكريم، وحجرة المكتبة فضلاً عن المُصلّى.

وتقرأ على مئذنة الجامع «مسجد الشيخ الحسين ١٨٤٧م» فمن يكون هذا الرجل؟ وماذا في «المكتبة» الملمع إليها من مخطوطات؟

ومن أرشيف «الزاوية» نستل وثيقة رسمية مؤرخة في شباط (فيفري) ١٣٣٠هـ /١٩١٢م صادرة من عمالة قسنطينة[1] وعليها ختم قاضيها الشيخ المكي بن باديس ــ رحمه الله منها :

«الحمدلله، يعرف شهود زاوية الشيخ سيدي الحسين الكائنة بسيدي خليفة حوز التين من عمالة قسنطينة[2]، وبها جامع كبير من أحسن الجوامع بداخله ضريح الشيخ الولي الشهير سيدي الحسين المذكور.

يحتوي هذا الجامع على نحو الأربعين متعلماً دون الصبيان، وبه ثلاثة مشايخ: اثنان لتعليم القرآن، والثالث لتعليم العلم، وأمامه قبلة دار كبيرة لسكن الأيتام والفقراء والعاجزين وأبناء السبيل المارين.

وهذه الدار قديمة من زمان الدولة الفرنسية، وليس لها إخوان كسائر الطرق، بل طريقتها إطعام الطعام للصادر والوارد مع الاستقامة، وفعل الجميل وإسداء الخير لكل من يرد عليها من المسافرين والعاجزين واليتامى والأرامل على اختلاف أديانهم، وتباين أجناسهم من غير تفرقة بين الجميع، وهذا مشهور في الأقطار الجزائرية من وجود الزاوية حتى الآن...».

وتطوي هذه الوثيقة الرسمية، وتعود إلى إمام جامع الزاوية الشيخ يونس بن عبداللطيف بن إبراهيم بن أحمد ابن الشيخ الحسين المولود سنة ١٩٢٢ وتسأله المزيد عن الزاوية ومؤسسها الشيخ الحسين فيمد إليك وثيقة رسمية أخرى فيها نسب الأسرة عن طريق نسب جدّها «الشيخ الحسين» ونفهم منها الآتي ذكره :

١ ــ أنه الشيخ الحسين بن محمد بن صالح القشي، وبنو قشة من الأدارسة.

٢ ــ أصله من «المغرب»، وهاجر إلى الجزائر فاستقرّ بادىء ذي بدء في بني زياد، ثم انتقل إلى سيدي خليفة في العهد التركي (العثماني).

٣ ــ توفي في قرية سيدي خليفة سنة ١٢٦٣هـ الموافق سنة ١٨٤٦م بعد أن عُمّرَ نحواً من ثلاث وستين سنة.

٤ ــ أما الجامع المقام بشكله الحالي فقد أسس سنة ١٢٢٣هـ وتولى التدريس فيه أحفاد الشيخ الحسين من بعده.

ولعل من المفيد أن نذكر أن أحفاد «الشيخ الحسين» يبلغون الآن بحسب التقدير ــ أكثر من ألف نسمة.

ويهمنا بعد هذه الإلمامة اليسيرة الإشارة إلى مكتبه الزاوية، والتعريف بأهم نفائسها، بعد أن تسنى لنا زيارتها أكثر من مرّة لقينا من القومة عليها ــ بخاصة من إمام مسجدها الشيخ يونس ــ كل ترحيب وكرم قل نظيرهما.

تشمل مكتبة الزاوية الآن نحواً من مئتي مخطوط، بعد أن كانت ــ فيما أخبرنا الشيخ يونس ــ مشتملة على نحو من ستة آلاف مخطوط، عبثت بها يد الدهر، وتعرضت للحريق والإتلاف على أيدي رجال المستعمر الفرنسي الغاشم، ولقد اضطر القومة عليها إلى

دفنها في التراب أكثر من مرة خوفاً من عبث المستعمر واستهتاره، وحقده على تراثنا العربي الإسلامي، وفي عدد وافر من كتب «الزاوية» آثار الرطوبة والأرضة وماأشبه، وليس في المكتبة فهرس مخطوط أو مطبوع ييسر المراجعة، والكثير منها غير مجلد، لذلك نكتفي الآن بالإشارة إلى أهم عنوانات كتبها على وفق وقوعها بين أيدينا.

١ ــ شرح الأزهرية في علم العربية لخالد بن عبدالله الأزهري (نسختان).
٢ ــ قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ).
٣ ــ شذور الذهب لابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ).
٤ ــ الفصيح لثعلب، نسخة مؤرخة في ٥٨٣هـ قرئت على عبدالله بن بري المتوفى (٤٩٩هـ)، عليها آثار أرضة.
٥ ــ المطالع السعيدة في شرح الفريدة لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ).
٦ ــ النهجة المرضية في شرح الألفية لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ).
٧ ــ ترجمان الأشواق لمحيي الدين بن عربي، نسخة تامة نفيسة غير مؤرخة.
٨ ــ الأفعال لابن القوطية (٣٦٧هـ) ــ النصف الأول والثامن.
٩ ــ سيرة ابن هشام.
١٠ــ المثلث لقطرب وشرحه لسديد الدين عبدالوهاب البهنسي (ت ٦٨٥هـ).
١١ــ تعبير الرؤيا الصغير للشيخ محمد بن سيرين.
١٢ــ تحفة الإخوان في آداب الطريق لأحمد بن محمد الدرديري.
١٣ــ تمييز الطلاب في صناعة الإعراب لخالد بن عبدالله الأزهري.
١٤ــ التصريح بمضمون التوضيح لخالد بن عبدالله الأزهري.
١٥ــ مغني اللبيب عن أسرار (كذا) الأعاريب ــ لابن هشام الأنصاري.
١٦ــ تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس للشيخ علي المصري.
١٧ــ الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين حديثاً النبوية للشيخ إبراهيم ابن مرعي بن عطية.
١٨ــ زبدة الأوطاب ــ مختصر الشيخ خليل (؟).
١٩ــ كتاب المرادي على ألفية ابن مالك.
٢٠ ــ تفسير ابن عطية.
٢١ ــ تنوير الحوالك على موطأ مالك للسيوطي.
٢٢ــ زهر الأكمام وقصة يوسف عليه السلام لسراج الدين (؟).
٢٣ ــ المنح الربانية وشرح المنظومة الرحمانية لمصطفى باشطارجي القسنطيني.
٢٤ ــ سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ــ لمحمد بن جعفر الكتاني ــ الجزء الأول فقط.
٢٥ ــ تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب لداود الأنطاكي ــ خمسة أجزاء.
٢٦ ــ الطبقات الكبرى للسيوطي.
٢٧ ــ الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ــ للشيخ محمد الشامي الدمشقي.
٢٨ ــ شرح صحيح البخاري ــ الجزء الرابع.
٢٩ ــ بدائع الزهور في وقائع الدهور ــ للشيخ محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي.
٣٠ ــ تحفة المقالة في حتمية الرسالة لأحمد بن أحمد الفيومي.
٣١ ــ تفسير القرآن للبيضاوي (الربع الثاني).
٣٢ ــ نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء لمحمد بن محمد السباعي.
٣٣ ــ اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر للشيخ الشعراوي.
٣٤ ــ بهجة الأسرار للشيخ عبدالقادر الجيلي.
٣٥ ــ شرح لامية ابن الوردي.
٣٦ ــ شرح التائية لابن السبكي.
٣٧ ــ وجوب الزكاة وحدودها للمختار بن عبدالله الملياني.
٣٨ ــ أنوار البروق في أنواء الفروق للمبارك بن صالح بن عيسى.
٣٩ ــ منظومة الزفاف، وكتاب زاد المسافر لمحمد بن أبي بكر بن الوليد الطرطوشي الفهري.
٤٠ ــ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي القرطبي.
٤١ ــ توهين القول المتين لمحمد بن محمد بن عبدالرحمن.
٤٢ ــ شرح الجمل لابن عصفور ــ الشرح الكبير.
٤٣ ــ ديوان أبي تمام رواية أبي علي القالي.

وسنقف عند الكتابين الأخيرين: شرح الجمل وديوان أبي تمام بعد حين.

٤٤ ــ عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد لأبي يعقوب يوسف بن عمر السنوسي الحسني.
٤٥ ــ شرح العلوي على السمرقندية للشيخ محمد الخضري.
٤٦ ــ حاشية السجاعي على شرح القطر لابن هشام.
٤٧ ــ جامع المسند الصحيح من أحاديث رسول الله ﷺ لأبي

عبدالله بن محمد.

٤٨ ــ شرح لامية ابن الوردي.

٤٩ ــ شرح منظومة ابن فرج الإشبيلي.

٥٠ ــ إيضاح المبهم من معاني السلم ــ للشيخ أحمد الدمنهوري.

٥١ ــ إلجام العوام عن الخوض في علم الكلام ــ للغزالي.

٥٢ ــ البركة في السعي والحركة وماينجي من الهلكة لمحمد بن عبدالرحمن.

٥٣ ــ طبقات الخواص في أهل الصدق والإخلاص لزين الدين أحمد بن محمد.

٥٤ ــ حاشية الجرجاجي.

٥٥ ــ فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار ــ لعلي بن عبدالرحمن.

٥٦ ــ ديوان جمال الدين يحيى بن يوسف بن المنصور الصرصري ــ أماديح في رسول الله ﷺ.

٥٧ ــ أسرار العربية ــ لابن الأنباري (٥٧٧هـ).

تلك أهم عنوانات كتب «الزاوية»، ويلاحظ مما أوردنا الآتي ذكره:

١ ــ اشتمالها على عدد وافر من كتب علوم الدين.

٢ ــ كثرة الكتب المصنفة في مذهب الإمام مالك (رضي الله عنه).

٣ ــ أن طائفة منها مطبوع متداول.

وإذا كان الوقت، وقلة مابين أيدينا من مظان حال دون وصف ماقدمنا من عنوانات المخطوطات، فإنا نقف عند أثرين نفيسين من آثارها، لعلمنا بأهميتهما، وكبير خطرهما.

أما الكتاب الأول فهو شرح الجمل لابن عصفور الإشبيلي المتوفى سنة ٦٦٩هـ[٣].

وكان زميلنا الدكتور صاحب أبو جناح أصدر بتحقيقه ١٤٠٠هـ/١٤٠٢ «شرح جمل الزجاجي لابن عصفور» في مطبوعات وزارة الأوقاف العراقية «إحياء التراث الإسلامي ٤٢» ــ وكتب على غلافه بمجلديه «الشرح الكبير» ترجيحاً بعد أن رأى السيوطي[٤] وغيره من المتأخرين يشيرون إلى ثلاثة شروح لابن عصفور: صغير وأوسط وكبير، وخلص «إلى أن نسخة المكتبة التيمورية، ونسخة مكتبة ليدن، ونسخة الأحمدية تمثل الشرح الصغير، وأن نسخة تركية، ونسخة امبروزيانا تمثلان الشرح الكبير» لذلك رأى أن ينهض بتحقيق الشرح ــ الذي نشره ــ وسمّاه «الكبير».

وقد ثبت عندنا من الموازنة بين المطبوع والمخطوط الذي تضمه زاوية «سيدي خليفة»، أن الشرح المنشور لجمل الزجاجي لابن عصفور ــ الملمع إليه ــ هو الشرح الأوسط، ــ وليس الكبير ــ وأن مخطوط الزاوية هو الشرح الكبير. وقبل أن نسوق البيّنة ــ على هذا الزعم ــ نحب وصف النسخة المخطوطة منه.

يقع المخطوط في ثلاث ومئتي ورقة، قياس ٢٧سم × ٢١سم، معدل ما في الورقة سبعة وعشرون سطراً، ومعدل أسطرها نحو من ثلاثة عشر سطراً (انظر الأنموذج المنشور).

والنسخة بخط مغربي جيد مقروء، تم الفراغ من نسخها في أواخر شهر ذي القعدة من عام اثنين وتسعين وسبعمائة على يد: محمد بن عبدالرحمن العرناني (كذا ولعله العدناني) البرشكي.

والنسخة تامة لم ينقص منها شيء، أولها بعد البسملة:

«صلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قال الشيخ الفقيه الاستاذ النحوي اللغوي علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي رحمه الله...»

وينتهي بقول ناسخه: «كمل شرح الجمل لابن عصفور ــ رحمه الله ــ بحمد الله، وحسن عونه على يدي العبد الفقير إلى الله تعالى....» ثم ساق اسمه وتاريخ النسخ الذي سبق إيراده.

ولأن هذا الشرح هو الشرح الكبير لجمل الزجاجي (٣٣٧هـ) فإنه مشتمل على زيادات أبواب، وإفاضة لما أورده في شرحيه الآخرين: الأوسط ــ وهو المنشور ــ والصغير الذي لم ينشر بعد.

ولعل باب التصريف خير مثال على زيادات المصنِّف المشتمل على أبواب لانجدها في المطبوع منها: باب الإدغام، وباب من شواذ الإدغام، وباب أبنية الأفعال، وباب ألف الوصل وألف القطع، ومسائل في الأصوات: الحروف المستحسنة وغير المستحسنة، والأصوات المجهورة والمهموسة وما إلى ذلك.

وتتفق عبارة هذا الباب والكثير من أقسامه مع عبارة «الممتع في التصريف» للمصنف نفسه الذي نشره الدكتور فخر الدين قباوة في حلب ١٩٧٠م فضلاً عن أقسامه، مما خيل به إلينا أن هذا الباب كان نواة لكتاب «الممتع» الملمع إليه.

ولعل بابي: نعم وبئس والتأكيد، خير دليل على إفاضة ابن عصفور في تناول المسائل المطروحة فيهما، سواء في الزيادات التي تعزز رأياً، أو الشواهد الشعرية التي تقوّم رأياً، أو إيضاح غامض، أو ذكر لخلاف في معالجة مسألة، مما لانريد الخوض فيه الآن، ولعلنا نعود إليه في قادم الأيام بإذن الله.

أما الكتاب الآخر الذي نريد الوقوف عنده من نفائس الزاوية فهو ديوان أبي تمام رواية أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالي المتوفى سنة (٣٥٦هـ)[٥].

تقع مخطوطة الكتاب في ست وثلاثين ومئة ورقة، ٢٢سم × ١٧سم بمعدل عشرين سطراً في الصفحة الواحدة، وبمعدل عشر كلمات في السطر الواحد، وخط النسخة مغربي.

أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ــ رحمه الله تعالى ــ رواية أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي رحمه الله... وقال يمدح محمد بن يوسف الطائي...».

وآخرها: «انتهى شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي رواية علي بن اسماعيل بن القاسم البغدادي ــ رحمة الله عليه ــ وذلك في السادس والعشرين من المحرم الحرام فاتح إحدى وثلاثين ومئة وألف، والحمد لله على ذلك كثيراً»(٦).

صفحة من شرح الجمل لابن عصفور

وليس في الديوان شروح، وفي هوامشه بعض الشروح اليسيرة، والإشارة إلى اختلاف الشعر المروي «انظر الأنموذج المنشور».

وقبل أن نترك القلم لابد من دعوة المسؤولين في وزارة الثقافة الجزائرية إلى العناية بمخطوطات هذه الزاوية بفهرستها وتجليدها وتصويرها لئلا تضيع كما ضاعت أخوات لها من قبل، وترميم مابلي منها خوفاً من يد الحدثان، والأرضة التي تنخر أوراق الكثير من نفائسها وأعلاقها، ولاشك أنّ هذه المخطوطات تراث وطني لايمكن جحده، وهو ملك الأجيال جميعاً.

رحم الله الشيخ الحسين القشي مؤسس هذه الزاوية، وأسكنه فسيح جنانه، وحفظ القومة من أحفاده لصيانة هذا الكنز الثمين من عاديات الزمن، والله من وراء القصد.



صفحة من ديوان أبي تمام رواية أبي علي القالي

الهوامش

(١) تقابل العمالة ــ اليوم ــ الولاية.

(٢) وتعود قرية سيدي خليفة الآن إدارياً إلى دائرة القرارم التابعة إلى ولاية ميلة.

(٣) انظر ترجمته في: عنوان الدراية للغبريني ١٨٨ وصلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن الزبير ١٤٢ وفوات الوفيات لابن شاكر ٢ /١٨٤ وبغية الوعاة ٣٥٧ وشذرات الذهب لابن العماد ٥ /٣٣٠ ومقدمة محقق الكتاب.

(٤) بغية الوعاة ٣٥٧ ومقدمة الدكتور أبو جناح في شرح الجمل ١ /٧١ وانظر كشف الظنون ١ /٦٠٣.

(٥) انظر عنه بغية الوعاة ١٩٨.

(٦) لعل من المفيد الإشارة إلى أن دير الاسكوريال يحتفظ بنسخة من رواية أبي علي القالي لديوان أبي تمام.

المراجعات والنقد

التراث وكتاب "الأفضليّات"[1]

لأبي القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي[2]

إبراهيم السامرائي
كلية الآداب - الجامعة الأردنية

ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب /الأفضليات، تحقيق وليد قصاب وعبدالعزيز المانع .ـ دمشق : مجمع اللغة العربية، ١٤٠٢هـ.

حظيت كلمة «التراث» بالسيرورة ورُزِقَت الشيوع بل رُزِئت به، ذلك أن هذا الشيوع قد حمل الضيم عليها. والتراث اسم بمعنى مايُورث، وبهذا المعنى وردت في لغة التنزيل العزيز: ﴿**وتأكلون التراث أكلاً لمّا**﴾[3]. غير أنها تحوَّلت في عصرنا ولاسيّما في العقود الثلاثة الأخيرة، إلى مايشبه المصطلح الفنّي، فدلت على أكثر مما يورث. لقد انصرف التراث إلى غير مايرثه الرجل من أبيه وغيره من متاع الدنيا، فصار ماترثه الأمة من مجد تزهى به وتفخر، فالتراث أدب قديم وفن قديم من رسم ونحت وموسيقى وغناء، والتراث علم قديم كالفلسفة والحكمة والطب والفلك والصيدلة والحيوان والنبات وسائر فنون المعرفة القديمة، والتراث أثر قديم يتمثل في الأساطير المحكية والمكتوبة على الحجر ونحوه، وفي الرقوق وغيرها. ومن هنا اكتسبت الكلمة معنى جديداً وظلالاً جديدة، فانصرفت إلى مايحرص عليه المرء، وماتحرص عليه الأمة حفاظاً وعناية ودرساً. وبسبب من هذا كله تعلَّق الناس بجماع هذه الأشتات التي دُعيت «تراثاً» وتحول التعلُّق إلى حبّ، وحبُّكَ الشيء يُعمي ويُصِمّ كما قيل في المثل.

ومن هنا انصرفت كلمة التراث إلى الناحية الإيجابية، وأريد بالناحية الإيجابية تلك المواد التي هي موضع زهو وفخار للمتعلقين بها، وكأن مايتصل بالناحية السلبية ليس من «التراث»، وحقيقة الأمر أن هذا وذاك مواد تاريخية، وليس لنا أن نكبر طائفة منها ونغض الطرف عن مسائل أخرى ليست موضع زهونا وافتخارنا.

وعلى هذا كان علينا ألا نذهب بعيداً في الزهو والفخار، لأن ذلك من شأنه أن يصرفنا عن الصفحات غير المشرقة من تاريخنا. وأن تكون عنايتنا بالصفحات المشرقة من تاريخنا بقدر عنايتنا بنظائرها من الصفحات غير المشرقة. إن جملة ماكان لنا في عصورنا الخوالي «تراث» قديم، سواء فيه المشرق وغير المشرق.

إن العلم التاريخي يفرض علينا أن نعنى بنشر كتب التراث، ولو كان فيها مما لانفخر به، ذلك أن الحاجة تدعو إلى أن يكون بين أيدي الدارسين القدر الكبير من الوثائق اللازمة.

وقد رأيتُ بعد هذه المقدمة الموجزة أن أعرض لكتاب «الأفضليات» لأقول فيه قبل أن أبدأ هذه الرحلة: إن صاحبه على غرار العاملين الكثيرين في الدواوين القديمة قد تملق صاحبه وولي نعمته فنَعَته بأجلِّ النعوت وخلع عليه من الصفات مالايملكها إلا الصفوة من الأنبياء. ولعل ابن الصيرفي هذا لم يكن شيعياً يعتقد بما يعتقد به الأفضل الملك أمير الجيوش المصرية في عهد الحكم الفاطمي، ولكنه مضطر أن يبدي الولاء لممدوحه، وأن يظهر القول بما يريد صاحبه أن يقول، بل ذهب إلى أكثر من هذا فأظهر أنه من الشيعة الفاطميين. وسأستقري مما في الكتاب مايؤيد هذا الذي ذهبت إليه، وهو على سيرة غيره من العاملين كما أشرنا.

جاء في مقدمة «الأفضليات» وهي فاتحة الكتاب بعد أن قال :

قال الشيخ أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب: هذه الرسائل التي صنفتها في الأيام الأفضلية فأولها رسالة العفو ...

ثم صلّى على النبي ﷺ فقال: وصلّى الله على سيدنا محمد نبيّه الذي شرَّفه بالقرآن... ثم شَفَع هذه الصلاة بصلاة أخرى فقال: وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي أجاب إلى الإيمان مسارعاً مبادراً وصفح عن عدوّه وكان عليه قادراً، وأعربته شيمه عن الشرف الصريح، ومَنَعَه كرمُه أن يُجهز على جريح، وعلى آلهما الطاهرين الذين طهَّر بهم (كذا) من الأدناس صلاة دائمة الاتصال، مستمرَّة في الغدوِّ والآصال، وسلَّم وكرَّم، ومجَّد وعظَّم...

أقول: لقد ساوى ابن الصيرفي في دعائه بالصلاة والتسليم بين

النبي ﷺ وابن عمّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ كما شملت صلاته وتسليمه آل النبي وآل عليّ.

وزيّن دعاءه هذا فأتى بشيءٍ من فضائل عليّ ــ رضي الله عنه.

وهذه المساواة في الدعاء نجد نظائرها في كتب الشيعة، ومن هنا نستدل على أن ابن الصيرفي أراد أن يكون شيعياً، فإنْ كان في الحقيقة على ما بدا لنا فذاك، وإن لم يكن شيعياً فمقتضى المقام قد حمله على هذا.

ألا ترى أنه لم يقل في دعائه لأمير المؤمنين العبارة المألوفة «رضي الله عنه» تلك التي نجدها في كتب غير الشيعة في الدعاء للخلفاء ولأمراء المسلمين ولجمهرة صحابة الرسول الكريم؟

ثم إنه قصر الدعاء بالصلاة والتسليم، واستبعد جمهرة الصحابة وعلى رأسهم أمراء المسلمين الخلفاء الراشدين الثلاثة، لأن هؤلاء قد خصّوا أنفسهم بالخلافة التي هي في النص كما يقول الشيعة من حق علي ثم من بعده إلى أبنائه، وهي عند الإمامية للاثني عشر الذين وُصفوا بالعصمة. ومن هنا كان الفاطميون ورّاث حقّ نُصّ عليه في الأخبار التي أشار إليها الشيعة في عامة كتبهم.

وقد أشار إلى شيء من هذا ابن الصيرفي في فاتحة رسالته المسمّاة «ردّ المظالم» فقال:

..... لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة .... وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الذي شرّفه واجتباه ...... وعلى آله الأئمة الطاهرين الذين أوجب لهم على عباده إيثاراً وحبّاً، وقال ــ عزّ من قائل ــ : ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى**﴾ وسلّم عليهم أجمعين.

أقول: وهذه الآية وردت في أدب الشيعة في الإشادة بحق آل عليّ في الإمامة.

وجاء في فاتحة رسالته المسماة «لُمَح المُلَح» بعد الحمد لله..... قوله:

وصلّى الله على سيّدنا محمد نبيّه الذي أيّده بعزيز نصر... ثم قال: وعلى أخيه وابن عمّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المشهور بالشرف الخالص..... وعلى آلهما الأئمة الأطهار....

وقال في موضع آخر من هذه الرسالة (ص ١٢٠): صلّى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مستوَدَع سرِّه، ومنتهى علمه ومقرّه، ومن قاتَل الجن فسُقُوا بعضْبه كأس المنون، ورُدَّت له الشمس كما رُدَّت من قبلة ليُوشَع بن نون، وعلى آلهما الهداة الأئمة الذين زالت بإرشادهم كلُّ شُبْهةٍ وغُمَّة....

أقول: لقد صلى على النبي الكريم صلاة شفعها بالصلاة على «أخيه» وابن عمه، ثم أفاض في ذكر كرامات الإمام علي ــ رضي الله عنه ــ وهو مايقوله الشيعة في كتبهم، وكلُّها خوارق.

وقوله: «أخيه» إشارة إلى قول النبي لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وقد وردت هذه الإشارة في جملة أحاديث رواها أهل السنة والشيعة.

ومن المفيد أن أنتقل إلى المواضع التي خص ابن الصيرفي ممدوحه الملك الأفضل، ومن ذلك ماجاء في رسالة العفو (ص ٦):

ومن لطائف الله تعالى بأهل هذا العصر، ومواهبه التي تتعدى مدى الإحصاء والحصر، أن جعل هذه الفضيلة التي قام بها البرهان على أنّها الأُولى في العدد، وارتفع الخلاف في كونها الأُولى بتعظيم كلّ أحد، أغلبَ الخلال على خلائق مولانا الملك السيّد الأجَلّ الأفضل، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين، عضّد الله ملكه بالتخليد، وشدَّ ببقائه أزر الإيمان والتوحيد، الذي ملأ جمالُه العيون، وصدَّ إحسانُه الظنون، ووَضَحت الدلائل على أنّ مثله لم يكن قطُّ ولن يكون:

هيهات قامت معجزات العلا فيه وماتت آية الانفراد
جلّ عن الناس فما عابه شيء سوى تشبيهه بالعباد

أقول: إن هذا الذي أضفاه ابن الصيرفي على ممدوحه اقترب من الإحالة فقد خصه بمنزلة لم يُخَصَّ بها أحد من بني الإنسان، ألا ترى أن هذا لايصدق في الصفوة من أنبياء الله ورسله؟

ثم مضى في نهجه هذا فأحصى من فضائله مالايجتمع في أيٍّ من الناس على تراخي العصور، وجاء في أقواله هذه :

فما أصدق ماقاله أحد شعراء مجلسه العالي شيَّد الله مبانيه، وبلَّغ كُلّاً من مماليكه آماله وأمانيه :

وَسِعتْ مراحمُك الجُناةَ بأسرهم وأقلتَ كلاًّ منهمُ عَثراتِهِ

....

ولنقف على قوله: «وبلَّغ كلاً من مماليكه» فقد وصف الناس بأنهم مماليك «الأفضل». وابن الصيرفي قد وصف نفسه بالمملوك، وهو يتوجه إلى ممدوحه الأفضل غير مرّةٍ في «رسائله».

ولابد أن نتحول إلى الناحية الفنية في هذه «الرسائل» فنقول : لقد حفلت هذه الرسائل بالصنعة التي لاتخلو من التكلف، فقد أثقلها نمط من الأسجاع التي لم يصل إليها صاحبها إلاّ بعد كدّ وطول نظر. وهي تذكِّر القارىء برسائل ابن الأثير في «المثل السائر» ونهجه في الكتابة التي أسرف فيها بالتزام السجع الذي تكلف فيه وتعسَّف.

ولنقف على نموذج من هذا النثر الذي شاع في القرون المتأخرة من تاريخ أدبنا القديم.

وفي هذا ماجاء في رسالة ابن الصيرفي «ردّ المظالم» (ص ٣٣):

.... قد اتفق أولو الدراية والعقل، وأجمع ذوو الرواية والنقل، على أن أحوال الأزمنة معلومة من سير ملوكها، وأن هذا المعتقد طريقة لاضلال في سلوكها، وذلك في تفاضل الأيام هو السبب والعلّة، والحجّة التي قامت على صحتها البراهين والأدلّة. وهذا أصل قويّ يعبِّد طريق الإفصاح عمّا قصدناه، ومعنىً جليٌّ يمهّد سبيل الإيضاح لِما أردناه...

أقول: وليس السجع وحده في هذه الفِقَر، بل تجاوزه المؤلف، فقابل ووافق في حشو العبارات فجاء بـ «طريق الإفصاح»، وأتبعها في الفقرة اللاحقة بـ «سبيل الإيضاح»، ولم يأت كل ذلك إلا بعد كدّ الذهن لتصيد هذه الأشتات ورصفها في هذا النهج الذي اجتهد في السعي إليه.

ولنسمعه مرة أخرى وهو يختم رسالته في «العفو» فيقول:

وقد ختم المملوك رسالته بهذه الخدمة تجديداً لشكوى حاله، وطلباً للرحمة الشاملة لأمثاله، فقد والله اشتدّ ضُرُّه وزاد، وبَلَغَ به الدثور أو كاد:

ومن كان في أيام ملكِك خاملاً ففي أيِّ ملكٍ يستريش ويَسْتَعلي
بقيتَ بلا بَعْدٍ يُرَجّى انتظارُهُ كما أنت إنْ عُدَّ الملوك بلا قَبْلِ

أقول: وهذا النص يبرز لنا موضع ابن الصيرفي في ضعفه وذلّه واستكانته. ولم يُلقِ هذا النمط من العناية المتكلّفة على ديباجته أيَّ إشراق.

ولنتحول إلى الكتاب فنبسط القول في عمل المحققَيْن وما كان لهما في التحقيق.

بدأ المحققان عملهما بمقدمة قدّما بها للأفضليات، فاشتملت على التعريف بابن الصيرفي صاحب الكتاب تعريفاً موجزاً غاية الإيجاز، ثم تحوّل المحققان إلى الكلام على الملك الأفضل، ثم عادا إلى الكلام على ابن الصيرفي، فاستوفيا التعريف به وبما كان من سيرته وماشغله من أعمال الدواوين. ثم عرضا إلى مصنفاته فخلصا منها إلى الكلام على الأصل المخطوط للأفضليات. ثم عَرَّفا بالكتاب ومااشتمل عليه من رسائل.

ولابد لي من بعض الوقفات على ماعرض للمحققين من مسائل فأقول:

١ ــ جاء في الصفحة (٤) قول المؤلف:

.... وأفضل الحَسَن مابقّى ذكرَ المرء بعدَه ....

أقول: إن الفعل «بقّى» المضاعف على جوازه قليل نادر، وكان أحسَن منه لو أن المحققَين جعلاه مجرداً على الأصل فقالا: ... ما بقيَ ذكرُ المرء بعده.

٢ ــ وجاء فيها أيضاً:..... وقد سبقه إلى هذا المعنى غيره، قال التيميّ:

وقد علّق المحققان على «التيمي» هذا فقالا: صوابه التميمي، وهو عبدالله بن أيّوب.... والبيت في شرح التبريزي....

أقول: إذا كان الصواب هو التميمي، فلِمَ لم يثبتاه في الأصل، ويشيرا في الهامش إلى الغلط؟ إذا كانت حجّة المحققَين احترام الأصل المخطوط، فهذه الحجة باطلة، فالأصل المخطوط من صنع الناسخ، ولم يكن النساخ الأقدمون في الأغلب من أهل العلم، فقد يعرض لهم الخطأ والسهو. وأما احترام الأصل المخطوط فيتعيّن وينظر إليه فيما لو كان ذلك الأصل بخط المؤلف نفسه أو خط أحد من أهل العلم الثقات.

إن عمل «المحقق» هو وضع النص على حقيقته التي أرادها المؤلف، فليس من مسوِّغ إلى إثبات غير الحقيقة أي الغلط الذي اقترفه الناسخ.

٣ ــ وجاء في الصفحة (٩) قول المصنّف:

..... فما ظَفِرَ به حتى انكسرت مَغائظهُ (كذا)، وتناقَصَت حُقوده وحفائظه...

أقول: إن سعي المؤلف إلى التماس السجع وحرصه الشديد على هذه المحاكاة جرَّأة على أن يأتي بالغريب الذي يولّده هو، ومن هذا قوله «المغائظ»، وهي شيء من الغيظ، وكأنّه جعلها مثل: «محاسن» و«مساوىء» وغيرهما مما لامفرد له على حده. ولكن «المغائظ» غير مسموع، ولعن الله فذلكة السجع التي أتت بالبغيض الغريب الثقيل.

أقول: كان الأوْلى بالمؤلف أن ينظر إلى سماحة لغة التنزيل فيتأسّى بها ويسير على هداها.

٤ ــ وجاء في الصفحة (١٠) بيت من مقطوعة لإبراهيم بن المهدي، وهو:

وأيُّ امرىءٍ سمَّى بها قطُّ نفسَه ففارقَها حتى يُغَيَّبَ في اللَّحْدِ

أقول: ومجيء «قطّ» في العربية في سياق النفي الماضي، وهي «ظرف» فيقال: لم أره قطُّ. وليس في البيت نفيٌّ صريح، ولكن الاستفهام يومىء إلى النفي.

٥ ــ وجاء في الصفحة (١٣) بيت من مقطوعة لشبل بن عبدالله، محرِّضاً عبدالله بن عليّ على بني أمّية.... وهو:

لا تُقيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثاراً واقطَعَنْ كلَّ رَقلةٍ وأواسي

وقد علّق المحققان في الهامش فقالا: فوقها تعليق: «وغِراس» وهي رواية أخرى وردت في بعض المصادر.

وفي الحاشية: الأواسي جمع آسيّة وهي «الاسطوانة».

أقول: إن الذي كتب «غراس» فوق كلمة «أواسي» من أهل العلم. و«الغراس» هي الصواب، وليس من موضع للأواسي، وهي الأساطير

كما في الحاشية التي أشار إليها المحققان. وقول المحققين: إن «غراس» رواية أخرى وردت في المصادر ليس بشيء، فالصواب الذي يقتضيه السياق هو «غراس» وهو متفق مع «رقلة» وتعني النخلة الباسقة الطويلة، و«الذي ورد في المصادر» ليس رواية أخرى، بل الخطأ، وليس لنا أن نجد وجهاً لقبول «الأواسي» على سبيل أن الشاعر أراد هدم ماقام من البناء.

٦ ــ وجاء في الصفحة (١٩) قول المصنف :

.... ولا أقدِّر ماجَنَيت يُعقِب حِلْماً....

أقول: لعل الأصل: ولا أقدِّر أن ماجنيت....

٧ ــ وجاء في الصفحة (٢٠) قول المصنف :

..... ولما وصل الفتكين الشرابي .... في خلافة العزيز بالله ــ عليه السلام ــ ....

أقول: والدعاء بالسلام للأئمة العلويين هو الذي جرى عليه الشيعة في كتبهم.

٨ ــ وجاء فيها أيضاً :

وكان جماعة قد أشاروا بأنْ يُشهَر على الفيل .....

أقول: والمراد بـ «الإشهار» الإفضاح، وذلك بأن يُسَيَّر الذي يراد إفضاحه على الفيل أو أي حيوان آخر للتشنيع عليه والإزراء به.

١٠ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

.... واجتمع خَلْق لاتُحصَى....

والصواب: لايُحصَى، ولعلها من الخطأ المطبعي.

١١ ــ وجاء في الصفحة (٢١) قوله :

.... وأقر بإقرار جاريه وجرايته ....

أقول: و«الجاري» في العصور العباسية المتأخرة يعني مانصطلح عليه في عصرنا بـ «الراتب الشهري» أو «المرتّب». و«الجراية» شيء يقرب منه، ولعله هنا المواد المخصصة لطائفة من الناس كالجند ونحوهم، وهذه المواد تشمل الخبز واللحم ونحو هذا.

١٢ ــ وجاء في الصفحة (٢٦) مقطعات صغيرة شعرية منسوبة إلى أصحابها، ومن هؤلاء ورد اسم «كاتب بكر» (كذا).

أقول: ومن عادة المحققين أنهما قد عَرَّفا بالأعلام عامّة، ومنهم الشعراء، ولاسيما غير المشهورين منهم، وأشارا إلى موضع أبياتهما في جملة من مصادر الأدب، ولكنهما لم يعلّقا بشيء على «كاتب بكر» هذا، وهو مفتقر أشد الافتقار إلى الكلام عليه، ذلك أننا لانعرف أحداً من الشعراء المتأخرين بهذا الاسم، ولعله قد صُحِّف إلى هذا !!

وكان على المحققين أن يشيرا في حال أن الأمر تعَسّر عليهم فلم يهتدوا إلى شيء.

١٣ ــ وجاء في الصفحة (٢٩) قول المصنف :

...فبموضع الله من قلبه إلا رَحِمَ منه ذليلاً ضعيفاً بين الميّت والحيّ، وعبداً مملوكاً لايقدر على شيء.

أقول: واستعمال «إلاّ» في العبارة يشعرنا أن التركيب غير سليم وغير واضح، ولعل شيئاً قد عرض للنص فأبهمَه. ثم إن المحققَيْن قد همزا كلمة «شيء» وحقها إهمال الهمزة ليتم السجع الذي حرص عليه المؤلف. و«المملوك» في كلام المؤلف هو نفسه، وهذا ماجرى عليه في رسائله كلها، وهو يتوجه إلى الملك الأفضل صاحبه وولي نعمته.

١٤ ــ وجاء في الصفحة (٣٣) :

رسالة، ثم ذكر المحقّقان: «سمّاها رَدّ المظالم».

أقول: وقولهما: «سمّاها رد المظالم»، وهذا يعني أنهما أضافا هذه العبارة ليضعا اسماً للرسالة يشير إلى الغرض منها أفاداه من الرسالة نفسها. وكان عليهما أن يشيرا في الحاشية إلى صنيعهما هذا.

١٥ ــ وجاء في الصفحة (٣٥) قول المصنف :

.... بل لايعدَم من إذا سمعه استَقْصَر ونَدَّى (كذا)، وإذا استَنْزَر ماأتى به نَكَصَ ولم يجد وَزَرا....

أقول: لابد أن يكون الفعل «نَدَّى» مصحفاً بدلالة الفقرة اللاحقة التي كانت الفاصلة بالراء، وعلى هذا ينبغي أن تكون فاصلة الفقرة السابقة بالراء أيضاً وليس الدال، ليتم بذلك السجع الذي درج عليه المصنف في جميع رسائله. والذي أراه أن يَكون الفعل «نَدَّى» شيئاً من نحو الفعل «جَرَى»!!

١٦ ــ وجاء في الصفحة (٣٦) من رسالة «ردّ المظالم» قوله :

..... فهو (أي الأفضل الممدوح) سيّد أهل الأرض مذ فخَرَت البسيطة بظهوره، وسلطان هذا الخَلْق مذ استقرّ في دَسْته واستَوَى على سريره، وظلّ الله الممدود على كافّة المقرِّين بكلمة التوحيد، وصفوته الثابت علمها من جهة الاستدلال لا من جهة التقليد، فلاسبيل لعاقل أن يُنكر ذلك ويجحَده، بل الواجب على كل ناطق أن يقوم بين يَدَيه وينشده :

من شك أنك مخلوق لتملكه كمثل من شكَّ أن الله خلاّق

أقول: رُبّما أطلت في هذا النص لأشير إلى الغلو في نعت ابن الصيرفي لممدوحه، بل إن المقام يخرج عن المدح إلى شيء من إيمان هذا القائل بأن صاحبه الأفضل نمط خاص فوق البشر، ولا أقول في صفة الأنبياء لأن في معاريض الكلام مايثبت أنه فوق الأنبياء، وجماع هذا شيء يقرب من الكفر والعياذ بالله.

١٧ ــ وجاء في الصفحة (٣٩) قول المؤلف :

قال محمد بن عيسى :

مَلِكُ الوَرَى والبأس، أنصُلهُ هنديّة وعطاياهُ هُنَيْدات
وبَدْرُ سَبْع وسبع تستنير به السّبْع الأقاليمُ والسَّبْعُ السماواتُ

ومن قصد بهذين البيتين ومايجاريهما صفة مولانا فكأنّه لقول الحق إنّما تلا قُرآناً، وهما على الحقيقة كغيرهما من المدائح الشريفة لأنهما لما كان مآلهما إلى العرض بالمقام الأعظم ــ ثبَّت الله سلطانه ــ وكانا يشتملان على بعض صفاته صار كلتاهما (كذا) من خَدَم شعراء المجلس العالي وعُفاته.

أقول: أردت في هذا النص أن أؤكد ماقلت من أن ماجاء في هذه الرسائل مما يتصل بتوجّه الكاتب (ابن الصيرفي) إلى صاحبه، شيء من الكفر.

وقد علق المحققان على «كلتاهما» فقالا في الهامش: كذا في الأصل. أقول: كان عليهما إصلاح الخطأ وإثبات الصواب، والإشارة إلى التصحيح في الهامش.

١٨ ــ وجاء في الصفحة (٥٢) بيتان للصنوبريّ، قال المحققان: لم نجدهما في ديوانه المطبوع وأولهما:

من يَنْسَ لا أنسَ اتصال زماننا ويد السعود على الزمان مساعِدَه

أقول: والصواب: **إنْ أنسَ لا أنسَ** ....

وجاء البيت :

إذ نخبتي راح كوَرْدٍ ذائبٍ وتحيتي وَرْدٌ كراحٍ جامدَهْ

أقول: ودلالة «التحية» مايحمله أحدهم إلى صاحبه الذي يزوره «الورد»، وهذا مما شاع في أدب العصور المتأخرة.

١٩ ــ وجاء في الصفحة (٤٤) قول المصنف :

إن الفاتك والناسك يلقياه بالتبجيل، وقابلاه بالتقبيل ...

أقول: والصواب: لقياه، وليس كما علق المحققان في الهامش بقولهما: الصواب: يلقيانه.

٢٠ ــ وجاء في الصفحة (٥٨) البيت :

أُصَدِّقُ ظنّي أم أصيخ إلى صحبي وأُمضي عَزيمي أم أعوج عن الركبِ

أقول: والصواب: أعوج على الركب. والفعل يصل إلى مدخوله بالحرف «على»، قال أبو نواس :

عاجَ الشقيّ على رسمٍ يُسائلُهُ وعجت أسأل عن خمّارةِ البَلَدِ

٢١ ــ وجاء في الصفحة (٥٩) البيت:

وتشتاقُ عينيه الكرى وتخافه فيأتي إلى الأجفانِ وهو مُغَرِّرُ

أقول: والذي عليه أهل العربية أن «الكرى» مذكر، فالصواب: ويشتاق عينيه الكرى .....

٢٢ ــ وجاء في الصفحة (٦٦) البيت :

ما أبصَرَ الراؤون من قبلها ماءً وناراً جُمِعا في مكانِ

أقول: وضبط النون بالكسر في «مكان» يخرج عجز البيت عن الوزن، وهو «السريع»، والصواب أن تكون ساكنة.

٢٣ ــ وجاء في هامش الصفحة (٧٤) بيت الشريف الرضي من قصيدته في رثاء الصاحب بن عبّاد :

أكذا المَنونُ تقنطر الأبطالا أكذا الزمان يُضِعْضِع الأجيالا

أقول: والصواب: «تقطِّرُ» وليس تقنطر بالنون.

أما «الأجيالا» فصوابها: «الأحبالا» ولعلها من الخطأ المطبعي.

٢٤ ــ وجاء في الصفحة (١٠٤) قول المصنف :

..... وقد وُسِمَتْ بحوافر خيوله وسنابكها، ليستهم النعمة به كافة الخلق.....

ويعلم الكافّة من شريف سيرته.....

أقول: ولانملك في العربية من مادة «سهم» فعل على «افتَعَلَ»، والصواب: ساهَمَ، قال الشريف الرضي معزّياً أبا إسحاق الصابي في فقده ولده: وأنا المساهم لك في تحمُّل النائبة.

(انظر رسائل الصابي).

وأما استعمال «كافة» في فصيح العربية فترد منصوبة على الحال نحو قولهم: جاء القوم كافّةً. وليس من الصواب أن نقول: كافّة القوم، وإن «كافة» أيضاً لاتحلّى بالألف واللام.

٢٥ ــ وجاء في الصفحة (١٤٠).

قال السابق المعرّي....

أقول: وقد ترك المحققان هذا العلم الذي لايعرفه إلاّ خاص الخاصّ، وكان عليهما أن يترجماه ويُعرِّفاه تعريفاً موجزاً، حتى إذا ورد ثانيةً في الصفحة ٢٦٦، وكانا قد وقفا على شيء من ترجمته فَعَلا ماكان لهما أن يفعلاه هنا في أول موضع ورد من الكتاب.

٢٦ ــ وجاء في الصفحة نفسها :

من ذلك قول ابن نيقيا البغدادي ....

وقد علق المحققان فقالا في الهامش: هو عبدالله بن محمد بن ناقيا البغدادي...

أقول: إذا كان المترجم هو ابن ناقيا في «وفيات الأعيان ٣ /٩٨، وفي بغية الوعاة ص٢٩٢ وكذلك في إنباه الرواة ٢ /١٣٢، وميزان الاعتدال ٢ /٥٣٣.....»

أقول: إذا كان في جميع هذه المظان «ابن ناقيا» فهل يجوز أن يثبت المحققان خطأ اقترفه ناسخ ليس له شيء من العلم فأثبت «نيقيا» !!.

٢٧ ــ وجاء في الصفحة (١٦٢) قوله:

..... فقد أحسَن الناشيء (وهو أحد شعراء اليتيمة) في قوله يصف اليويو (كذا).

أقول: والصواب: «اليُويُؤ» بالهمز، وهو كذلك في المعجمات.

لقد عَلّق المحققان في الهامش فقالا: في الحاشية: (اليويو هو الباشق)

أقول: لاحاجة إلى هذا التعليق فهو معروف في أنه ضرب من الجوارح كالباشق من الطير.

وكان عليهما أن يُعرِّفا بـ «الناشيء» الذي ورد ذكره في اليتيمة كما أوضحت أنا.

٢٨ ــ وجاء في الصفحة (١٧٦) مقطوعة من أربعة أبيات، وأخرى في بيتين وهما في الغزل بالمذكر، وهي من الأدب السخيف الذي شاع كثيراً في العصور المتأخرة، غير أن المحققين أعطيا هاتين المقطوعتين وسماً لم أهتد إلى دلالته فأثبتا في وسط الصفحة بأحرف كبيرة كلمة «الإخباريات»!! وأتبعاها بأبيات أخرى فيها شيء من المصطلح النحوي فأثبتا «النحويات»، وهكذا أثبتا «الطبّيات» و«الهندسيّات» و«الفلسفيات».

٢٩ ــ وجاء في الصفحة (٢٠٩) قول المصنف :

..... امتثلت مراسمُه السامية .....

أقول: و«المراسم» هنا تعني في عصرنا: الإرادة الملكية. وقوله: «مراسمه السامية» أي «مراسم» الملك الأفضل. وهذه الكلمة من الكلمات التي استجدّت في العصور المتأخرة من عمر الدولة العباسية.

٣٠ ــ وجاء في الصفحة (٢٥٦) قوله :

ومن الشعر المستحسَن قول سيف الدولة صدقة بن مزيد....

أقول: كان على المحققين أن يُعرِّفا بـ «صدقة بن مزيد» وهو الأمير صدقة زعيم بني مزيد الذي استقل بإمارته في «الحلّة» على الفرات، وانفصل عن سلطة الدولة العباسية. انظر أخباره في «الكامل» لابن الأثير.

٣١ ــ وجاء في الصفحة (٢٦٥) قول المصنف :

..... وكَتَبَ به إلى صديق له يدعوه على «عُجّة».

أقول: والقارىء العربي غير الشامي محتاج أن يعرف دلالة «العجّة»، وهي طعام يعمل من العدس وحبوب أخرى، ولا وجود للعجّة في المعجم القديم.

٣٢ ــ وجاء في الصفحة (٢٧١) الرجز :

أنْ ليس يُغني عنكَ في المضائِقِ

أقول: والصواب: المضايق بالياء لأصالتها كالمصاير، والمصايد، والمعايش.

٣٣ ــ وجاء في الصفحة (٢٧٩) قول المصنّف:

.....وتَصرَّفَ «الغزّالي» (كذا بتشديد الزاي).

أقول: والوجه أن يقال: «الغَزالي» بتخفيف الزاي، والنسبة إلى «غزالة» من قرى طوس، وهو محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الإمام الشهير. وقد قيل في «الغزّالي» بالتشديد أنه منسوب إلى الغزل، وليس هذا القول بسديد.

وبعد، فهذا هو الكتاب في مادته ورسائله وفنّه المتكلف، وهذا هو المؤلف «المملوك» ومقامه من صاحبه الملك الأفضل شاهنشاه.....

وهذا هو الكتاب وجهد المحققين فيه. وقد أحسنا في نشره لأنه يقدّم للدارسين وثيقة يُستَدلُّ بها كما يُستَدلّ بأمثالها من الكتب الأخرى على الصفحات غير المشرقة من تاريخنا وتاريخ أدبنا القديم.

قلت: لقد أحسن المحققان صنعاً في نشر الكتاب للأسباب التي أشرنا إليها، ولكن ليس من حقهما أن يبالغا في إطرائهما لأدب الكتاب من الناحية الفنية، وليس من حقهما أن يحتفلا بهذا التراث العالي. وأعود فأقول: ينبغي لنا أن نصرف التراث إلى حقيقته فننظر فيه نظرة موضوعية، فلا تصرفنا «الإيجابية» المضللة عن النظر إلى الوجوه السلبية. والله الموفق والهادي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الهوامش

(١) «الأفضليات» مجموعة رسائل، هي رسالة العفو، ورسالة ردّ المظالم، ورسالة لُمح المُلَح، ورسالة منائح القرائح، ورسالة مناجاة شهر رمضان، ورسالة عقائل الفضائل، ورسالة التدلّي على التسلي، وهي رسالة في «الأدب» و«الأنماط البديعية» موجهة أو مهداة إلى الملك الأفضل شاهنشاه أحمد بن بدر الجمّالي أبو القاسم الملقب بالملك الأفضل، أمير الجيوش المصرية في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي ثم المستعلي ثم الآمر. مات مقتولاً سنة ٥١٥هـ انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢ /٢٤٨، واتعاظ الحنفا... للمقريزي ص ٢٨١ ــ ٢٨٤، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢ /٤٠، ٥٧، ٦٠؛ الكامل لابن الأثير ١٠ /٥٨٩.

(٢) وهو أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان التنوخي المعروف بابن الصيرفي، وهو منشيء ومؤرخ، من أعيان المصريين، كان صاحب ديوان الإنشاء في أيام الأفضل ثم في أيام الآمر الفاطمي (سنة ٤٨٧ ــ ٥١٥هـ).

انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٥ /٧٩ ــ ٨١، أخبار مصر ٢ /٨٧ ــ ٨٨، وفيات الأعيان ١ /٢٧٠، ٢ /١٧٧، ٣ /٣٣٤، ٤ /٣٧٤، ٧ /٣١.

(٣) ١٩ سورة الفجر.

ديوان السيّاب
وملاحظات ببليوجرافية

علي جواد الطاهر
أستاذ متقاعد - كلية الآداب - جامعة بغداد

السيّاب، بدر شاكر /ديوان بدر شاكر السياب ــ بيروت: دار العودة، ١٩٧١م، ٢٢٧ص.

أصدرت «دار العودة» ببيروت سلسلة من «الأعمال الكاملة، (الدواوين) لعدد من الشعراء المعاصرين لم تلبث أن صارت أقرب المراجع ــ أو المصادر ــ للقراء والدارسين لما جمعت في الديوان الواحد من دواوين صغيرة كانت متفرقة للشاعر الواحد، ولانتشارها في الأقطار العربية كلها.

وفاتت «الدار» أمور لو أخذت بها لخدمت القراء والدارسين والشعراء أنفسهم ونفعتهم بها، كأن تبين ماجرى على عدد من القصائد من تغيير أو ماجرى على الدواوين نفسها، وكأن تحتفظ دائماً بمقدمات الطبعات السابقة عليها وتواريخ صدورها.

لذا وجب تنبيه القراء والباحثين إلى شيء من «الفوات»، وحسن ذكر أمثلة توضيحية. وقد اخترت ــ هنا ــ ديوان السياب على سبيل المثال.

وواضح أن مثل هذا العمل يدخل في الشأن الذي عرفه الغرب بالببليوجرافيا، وقد أخذنا فهم اللفظة كما هي لصعوبة إيجاد مقابل، له في لغتنا، وربما تكون لفظة «الكتبية» أو «المكتبية» أقرب مايرد على البال، ولكن للفظتين دلالتيهما الثابتتين، فما العمل؟ كدت استعمل «المكتبانية» كما قلنا الشخصانية، والشكلانية، لدلالة خاصة بالشخصية والشكلية ــ فهل يمكن ذلك؟.

وفيما يأتي الملاحظات على طبعة دار العودة لديوان بدر شاكر السياب

بعد مقدمة بدر شاكر السياب بقلم ناجي علوش ص ص هـ ــ ك ك ك (٦١ ص ص) جاء على ص ص خ خ ــ ذ ذ منها:

«.... لبدر:

١ ــ أزهار ذابلة صدر سنة ١٩٤٧.

٢ ــ أساطير صدر سنة ١٩٥٠.

٣ ــ المومس العمياء صدر سنة ١٩٥٤.

٤ ــ الأسلحة والأطفال صدر سنة ١٩٥٥.

٥ ــ حفار القبور.

٦ ــ أنشودة المطر صدر سنة ١٩٦٠ عن دار مجلة شعر.

٧ ــ المعبد الغريق صدر سنة ١٩٦٢ عن دار العلم للملايين.

٨ ــ منزل الأقنان صدر سنة ١٩٦٣ عن دار العلم للملايين.

٩ ــ شناشيل ابنة الجلبي صدر سنة ١٩٦٤ عن دار الطليعة.

١٠ــ إقبال صدر سنة ١٩٦٥ عن دار الطليعة.

وقد جمعت الآن في هذا الديوان بالإضافة إلى قصائد لم تنشر بعد، وسوف تصدر في جزء آخر.

ولبدر أيضاً شعر كثير غير منشور، يعود قسم منه إلى سنوات ٤٢، ٤٣، ٥٤، ولديَّ شيء منه.

وهنالك قصيدته الطويلة «بين الروح والجسد» التي أرسلها للشاعر [إلى الشاعر] علي محمود طه، ولكنه مات قبل أن يكتب لها مقدمة. وتناهز هذه القصيدة الألف بيت. ثم هناك مجموعة من قصائده مع السيد محمد علي إسماعيل، لم نستطع الحصول عليها حتى الآن. وله قصائد نشرت في جرائد عراقية قبل سنة ١٩٥٣ ولكنها لم تنشر [بعد يقصد في ديوان]».

ثم تتوالى المجاميع (الدواوين) التي صدرت في حياة السياب

أزهار وأساطير ص ص ٥ ــ ١١٢.

المعبد الغريق ص ص ١١٧ ــ ٢٢٢.

منزل الأقنان ص ص ٢٢٩ ــ ٣١١.

أنشودة المطر ص ص ٣١٧ ــ ٥٩١ (ومن قصائدها «الدواوين»: المومس العمياء، حفار القبور، الأسلحة والأطفال).

شناشيل ابنة الجلبي ص ص ٥٩٧ ــ ٧٢٣.

ــ في العام الذي أصدرت فيه دار العودة المجلد الأول (الجزء الأول) من «ديوان بدر شاكر السياب» ١٩٧١ (ولم يذكر الشهر).. صدر للشاعر في بغداد ديوان بعنوان:

قيثارة الريح، أشرف على تحقيقه زكي الجابر وعبد الجبار داود البصري وسامي مهدي وخالد علي مصطفى، الطبعة الأولى، مطابع الجمهورية، بغداد، وزارة الإعلام ١٩٧١م، التصميم الفني للغلاف وللصور الداخلية: ضياء العزاوي ــ ١٥٤ ص متوسطة ــ وتصدرت المجموعة مقدمة مهمة في بابها من البحث عن قصائدها وجمعها.

وصدر للمجموعة نفسها (قيثارة الريح) في السنة نفسها (١٩٧١) عن الوزارة نفسها (وزارة الإعلام) طبعة ثانية ــ طبع الديوان في مطبعة الأديب البغدادية، طبع الغلاف في مؤسسة رمزي. التاريخ الدقيق للطبع ١٩٧١/٨/١٢، وعدد النسخ ٥٠٠٠.

وستدخل هذه المجموعة (قيثارة الريح) في المجلد الثاني «ديوان بدر شاكر السياب» دار العودة ــ بعد حذف مقدمتها.

وصدر في بغداد، بعد صدور المجلد الأول من طبعة دار العودة مجموعة أخرى لبدر شاكر السياب باسم: أعاصير، جمعها وأعدها للنشر: عبد الجبار العاشور، بغداد، وزارة الإعلام، طبع الديوان في مطبعة الأديب البغدادية ١٩٧٢ ــ وبمعنى أدق ٧٢/١/٣٠ وفيها ما يشير إلى أن عدد النسخ المطبوعة: ٥٠٠٠.

وستدخل هذه المجموعة (أعاصير) في المجلد الثاني من «ديوان بدر شاكر السياب» دار العودة ــ بعد حذف مقدمتها والإفادة منها في مقدمة جديدة.

ولنا على هذا المجلد (الجزء) من الديوان، وهذه المقدمة ملاحظات:

١ ــ إن الناشر لم يكتب عليه المجلد الأول (كما سيكتب على المجلد الثاني: المجلد الثاني) وإنه يتحدث عن المجلد في المقدمة باسم: الجزء.

٢ ــ لم يذكر مكان صدور أزهار ذابلة، أساطير، المومس العمياء، الأسلحة والأطفال، واسم المطبعة...الخ.

٣ ــ وزاد أن لم يذكر تاريخ طبع حفار القبور.

٤ ــ وحسن أن يذكر للأرقام ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠ مكان دور النشر: بيروت.

٥ ــ لم يذكر للشاعر مطولته المطبوعه باسم: فجر السلام.

٦ ــ لم يدل على أنه مطلع على أزهادر ذابلة ــ وهاهي ذي صفاته:
أزهار ذابلة، ديوان الشاعر بدر شاكر السياب، ١٩٤٧، مطبعة الكرنك بالفجالة بمصر ــ ٩٩ ص متوسطة، في صدره «مقدمة للأستاذ الكبير رفائيل بطي» تستغرق ثلاث صفحات مذيلة بـ«القاهرة في ٣١ تشرين الأول ١٩٤٧ ــ رفائيل بطي».

٧ ــ ولم يدل على أنه مطلع على أساطير ــ وهاهي ذي صفاته:
بدر شاكر السياب ــ أساطير. منشورات دار البيان [ببغداد]، مطبعة العزي الحديثة في النجف ١٣٦٩هـ ــ ١٩٥٠م. الإهداء إلى أخويَّ الكريمين: علي الخاقاني [وهو صاحب دار النشر] وأكرم الوتري. ثم صورة الشاعر فصفحة لمقدمة الناشر، فأربع صفحات لمقدمة الشاعر، فالديوان ص ص ٩ ــ ٩٣ ــ ٩٤ فهرست + ٢ جدول الخطأ والصواب + صفحة فيها إعلانان «انتظروا قريبا: زئير العاصفة الديوان الاجتماعي الذي سيصدر إلى الأسواق للشاعر بدر شاكر السياب» ــ ولم يصدر للشاعر بدر شاكر السياب ديوان بهذا الاسم.

وفي الإعلان الثاني: «حفار القبور. قصيدة طويلة شائقة ستصدر في كراس لشاعر الشباب الأستاذ بدر شاكر السياب نلفت إليها الأنظار» وستصدر فعلاً. وسيعاد طبعها في ديوان أنشودة المطر، بيروت دار مجلة شعر ١٩٦٠ وفي ط٢ له دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٩. ثم صفحة فيها منشورات دار البيان تأتي «أساطير» مسبوقة بالرقم (٧) في تسلسلها.

٨ ــ حين ذكر المعبد الغريق قال: صدر سنة ١٩٦٢. وهذا صحيح ولكنه للطبعة الأولى ولم يشر إلى الطبعة الثانية عن الدار نفسها سنة ١٩٦٨.

٩ ــ وعن منزل الأقنان قال: صدر سنة ١٩٦٣م والصحيح كما تشير الطبعة الثانية عن الدار نفسها: الطبعة الأولى (مارس) ١٩٦٢، الطبعة الثانية (فبراير) ١٩٦٨.

١٠ــ وعن «شناشيل ابنة الجلبي» قال: صدر سنة ١٩٦٤ والصحيح «كانون الثاني ١٩٦٥» وحين صدر لم تكن فيه قصيدة «ليلى» الموجودة هنا في ط. العودة ومصدرها ــ الذي لم تذكره ــ ما صدر عن دار الطليعة بعنوان إقبال وشناشيل ابنة الجلبي» أو «شناشيل ابنة الجلبي وإقبال».

١١ــ لم يذكر مجموعة صدرت بعد وفاته باسم إقبال، بيروت، دار الطليعة، حزيران ١٩٦٥ ــ ١١١ ص. كتب مقدمتها ناجي علوش نفسه (ص ص ٥ ــ ١٩).

١٢ــ ولم يذكر مجموعة صدرت باسم «إقبال والليل» وإن كان صدورها تجارياً فيما يبدو.

١٣ــ ولم يذكر طبعة صدرت عن دار الطليعة، بيروت بعنوان «إقبال وشناشيل ابنة الجلبي» على الغلاف الخارجي و«شناشيل ابنة الجلبي وإقبال» على الغلاف الداخلي.

كتب الناشر عليها: الطبعة الأولى، كانون الثاني ١٩٦٥ ــ وهي الطبعة التي رأيناها باسم «شناشيل ابنة الجلبي» فقط «ولم تكن فيها قصيدة ليلى» الطبعة الثانية، حزيران ١٩٦٦م ــ الطبعة الثالثة، نيسان ١٩٦٧م.

وفيه القصائد الواردة في «شناشيل ابنة الجلبي» وزيادة قصائد من «إقبال» هي: أظل من البشر. الفن والمجرة. عكاز في الجحيم. لوي مكنيس. حميد. المعول الحجري. في غابة الظلام. رسالة. ليلة انتظار. نفس وقبر. إقبال والليل. وزيادة قصيدة لم ترد في «الشناشيل» وحده ولا في «إقبال» وحده، هي قصيدة «ليلى». وترك من «إقبال» ما جاء من قصائد تحت «بعض القصائد الأولى» (ص ص ٦٥ ــ ١٠٩) وهي: يوم السفر، همسك الهاني. تحية القرية. ذكريات الريف. رثاء جدتي. خيالك. أغنية الراعي. بين الروح والجسد. رثاء القطيع. عودة الديوان. المساء الأخير. شاعر. أغنية السلوان. الوردة المنثورة. السجين. وفي الحاشية: اخترنا القصائد المنشورة في هذا القسم من دفتر يحوي قصائد مكتوبة سنة ٤٢، ٤٣، ٤٤. وسينشر هذه القصائد في المجلد الثاني في مجموعة يسميها «البواكير» ولكنه لن ينقل قصيدة بين الروح والجسد، لأنها ستدخل من المجلد في مجموعة «قيثارة الريح» ص ٣٣٤، ولكنه لم ينبه إلى ذلك .

١٤ــ المومس العمياء صدر ببغداد ١٩٥٤، مطبعة دار المعرفة، ونشر ثانية في ديوان «أنشودة المطر»، بيروت، دار مجلة شعر ١٩٦٠م، ونشر ثالثة في «أنشودة المطر»، بيروت، دار مكتبة الحياة ١٩٦٩.

١٥ــ الأسلحة والأطفال صدر ببغداد، مطبعة الرابطة ١٩٥٤ (وليس سنة ١٩٥٥ كما ذكر) ونشر ثانية في ديوان «أنشودة المطر» بيروت، دار مجلة شعر ١٩٦٠ ونشر ثالثة في «أنشودة المطر» بيروت مكتبة الحياة ١٩٦٩.

١٦ــ لأنشودة المطر طبعة ثانية، في بيروت مكتبة الحياة ١٩٦٩ ــ بمقدمة الناشر يعد في ختامها بطبع «كل دواوينه.. في طبعات جديدة حديثة» ٢٤٢ ص + ٢ للفهرس + ص إعلان: «ستصدر جميع الأعمال الشعرية للشاعر العبقري بدر شاكر السياب في مجلد واحد».

١٧ــ لم يذكر أن طبعة صدرت في بيروت، في حياة الشاعر ، عن دار مكتبة الحياة بعنوان «أزهار وأساطير» اختار لها قصائد من ديوانيه الأولين أزهار ذابلة، وأساطير. وكاتب المقدمة يعرفها ويقول: ص م «طبعت سنة ١٩٦٠م عندما كان بدر يعالج في بيروت».

إن دار العودة لن تطبع للشاعر ديوانيه الأولين كما نشرهما أول مرة أزهار ذابلة، وأساطير.

وإنما ستطبع، طبعة بيروت، مكتبة الحياة المتضمنة لمختارات من الديوانين باسم «أزهار وأساطير». ولم تشر إلى هذا. وكان المنهج ــ والدار تسعى إلى نشر مانظمه الشاعر كله ــ يقضي أن تنشر الديوانين منفصلين كما نشرا أول مرة مع الإشارة إلى الطبعة المتضمنة للمختارات في المقدمة. ولهذا وجب التفصيل في هذه النقطة:

صدر: أزهار ذابلة، ديوان الشاعر بدر شاكر السياب ١٩٤٧، مطبعة الكرنك بالفجالة بمصر ــ ٩٩ص ــ بدون فهرس، بحجم متوسط. ومقدمة للأستاذ روفائيل بطي الصحفي العراقي الذي كان يقيم في القاهرة فحمل مخطوطة الديوان إليه رسل من الشاعر ليقدمه. وقد لاحظ بطي في مقدمته: «أن الشاعر الطليق يحاول جديداً في إحدى قصائده ــ هل كان حبّاً؟ ــ فيأتي بالوزن المختلف وينوع في القافية، محاكياً الشعر الافرنجي، فعسى أن يمعن في جرأته في هذا المسلك المجدد، لعله يوفق إلى أثر في شعر اليوم، فالشكوى صارخة على أن الشعر العربي قد احتفظ بجموده في الطريقة مدة أطول مما كان ينتظر من النهضة الحديثة.

إن هذه الباكورة التي قدمها لنا صاحب الديوان تحدثنا عن موهبة فيه، وإن كانت روعتها مخبوءة في أكثر هذه البراعم ــ بحيث تضيق أبياته عن روحه المهتاجة ــ وستكشف الأيام عن قوتها... ــ القاهرة في ٣١ تشرين الأول ١٩٤٧...»

وهذه قصائد الديوان:

١ ــ ديوان شعر ٥ ــ ٨، بغداد ٢٦ ــ ٣ ــ ١٩٤٤.
٢ ــ ياهواي البكر ٨ ــ ١٠، بغداد ١١ ــ ١٢ ــ ١٩٤٥.
٣ ــ لو أراها ١١ ــ ١٢، بغداد ٢٨ ــ ١٢ ــ ١٩٤٥.
٤ ــ بعد اللقاء ١٣ ــ ١٦، بغداد ٥ ــ ١ ــ ١٩٤٦.
٥ ــ نشيد اللقاء ١٧ ــ ٢٤، بغداد ٧ ــ ٤ ــ ١٩٤٦.
٦ ــ لحن جديد ٢٤ ــ ٢٥، بغداد ١٩٤٦.
٧ ــ حب يموت ٢٦ ــ ٢٨، أبو الخصيب ١٥ ــ ٤ ــ ١٩٦٤.
٨ ــ ما مات حبي ٢٩، أبو الخصيب ١٦ ــ ٤ ــ ١٩٦٤.
٩ ــ اسم «الباب» ٣٠، أبو الخصيب ٦ ــ ٦ ــ ١٩٤٤.
١٠ــ زهرة ذاوية ٣١.
١١ــ نهر العذارى ٣٢ــ٣٥، أبو الخصيب ٢٨ ــ ٤ ــ ١٩٤٦.
١٢ــ المحبوبة المدنسة ٣٦ــ٣٧، أبو الخصيب ٢٠ ــ ٧ ــ

١٩٤٤.

١٣ـ في يوم عابس ٣٨ ـ ٤٠، أبو الخصيب ٣١ ـ ١ ـ ١٩٤٦.

١٤ـ خواطر حائرة ٤١ ـ ٤٤.

١٥ـ مريضة في الربيع ٤٥ ـ ٤٧، ١٨ ـ ٤ ـ ١٩٤٧.

١٦ـ في أخريات الربيع ٤٨ ـ ٤٩.

١٧ـ أمنيات ٥ ـ ٥٢، ٣ ـ ٢ ـ ١٩٤٧.

١٨ـ أقداح وأحلام ٥٣ ـ ٥٧، ١٤ ـ ١٢ ـ ١٩٤٦.

١٩ـ عاشق الوهم ٥٨ ـ ٥٩، بغداد ٢٦ ـ ١ ـ ١٩٤٧.

٢٠ـ اللقاء الشاحب ٦٠ ـ ٦٥، ١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٤٦.

٢١ـ عينان ٦٦ ـ ٦٧، ٢٣ ـ ١٢ ـ ١٩٤٦.

٢٢ـ هل كان حباً ٦٨ ـ ٧٢، بغداد: ٢٩ ـ ١١ ـ ١٩٤٦ مع هامش على السطر الرابع من المقطع الثالث: «في هذه القصيدة محاولة جديدة في الشعر المختلف الأوزان والقوافي، وهي كأغلب الشعر الغربي (وخاصة الانكليزي) تجمع بين بحر من البحور ومجزوآته أي أن التفاعيل ذات النوع الواحد يختلف عددها من بيت إلى آخر..»

٢٣ـ السائلة السوداء ٧٣ ـ ٧٥، بغداد ١٩٤٥.

٢٤ـ حاطم الأغلال ٧٦ ـ ٨١، ١٩٤٦.

٢٥ـ أهواء ٨٢ ـ ٩٩، بغداد ١، ٢، ١٩٤٧ (وهي رباعية الأبيات).

ثم صدر: بدر شاكر السياب ـ أساطير، منشورات دار البيان ـ ٥، مطبعة العزي الحديثة في النجف ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م. وعلى الغلاف الداخلي: منشورات دار البيان ـ ٥، أساطير لصاحبه بدر شاكر السياب..، ٩٣ ص + فهرست، جدول الخطأ والصواب، إعلانان: الأول: انتظروا قريباً: زئير العاصفة، الديوان الاجتماعي الذي سيصدر إلى الأسواق للشاعر بدر شاكر السياب. الثاني: حفار القبور، قصيدة طويلة شائقة ستصدر في كراس للشاعر الشاب الأستاذ بدر شاكر السياب، نلفت إليها الأنظار. ولم يصدر للشاعر ديوان بعنوان زئير العاصفة وصدر حفار القبور في كراس ١٩٥٢.

ولم يصدر للشاعر ديوان بعنوان زئير العاصفة، وصدر حفار القبور في كراس ١٩٥٢م.

ثم صدر أزهار وأساطير ببيروت د.ت (ينظر معجم المؤلفين لكوركيس عواد ١٧٦/١) أو «طبعت سنة ١٩٦٠ عندما كان بدر يعالج في بيروت.. إصدار مكتبة الحياة» (ينظر ديوان بدر شاكر السياب، بيروت) ويفهم من ظاهر العنوان أنه ديوان جامع للديوانين السابقين: أزهار ذابلة ١٩٤٧، وأساطير ١٩٥٠. ولكن الواقع غير ذاك، فلم يحو من الديوان الأول إلا ست قصائد هي: أقداح وأحلام. أهواء. هل كان حباً. في أخريات الربيع. ديوان شعر. نهر العذارى وأهمل من «أساطير» مقدمته وثلاث قصائد هي:

ياليالي ص ٥١ ـ ٥٦

خطاب إلى يزيد ٨٥ ـ ٨٧

إلى حسناء القصر ٨٨ ـ ٩٣

وكان المفروض بالأستاذ ناجي علوش وهو يعد الأعمال الكاملة للشاعر ليصدرها في مجلدين باسم «ديوان بدر شاكر السياب» أن يعيد الديوانين إلى سابق تفردهما، فيأتي ديوان بعنوان «أزهار ذابلة» وفيه قصائده الخمس والعشرون كلها، وديوان بعنوان «أساطير» بمقدمته وقصائده.

كان المفروض. ولكن الأستاذ علوش لم يلتزم بالمفروض، ولم يدل في مقدمته على رؤيته للديوانين أو حصوله عليهما، ولهذا فإنه أعاد في المجموعة الكاملة (ديوان السياب): أزهار وأساطير كما طبعت سنة ١٩٦٠ في بيروت، وقد حذفت منها المقدمات والقصائد..

ولهذا وجب التنبيه ـ أو كان الواجب أن ينبه القارىء ومراجع مجموعة الأعمال الكاملة (ديوان بدر...) إلى ماجرى من الأحوال ليكون على علم، وليأخذ الباحث عدته في الرجوع إلى الأصل الأبعد..

وللمقدمة التي كتبها بدر شاكر السياب لديوانه: أساطير، أهميتها في ثقافة الشاعر وتطوره وصلة تلك الثقافة الجديدة بشعره الجديد وها نحن أولاء ننشرها ـ هنا ـ تعويضاً وإفادة..مع مقدمة الناشر:

مقدمة الناشـر

العبقرية والفن ليس لهما حدود، فإذا ما قلنا إن بدر شاكر السياب فنان وأن له في مجال العبقرية باعاً لم يكن ذلك تجاوزاً، بل إن بدر شاكر مطلع لنشيد غنائي بدأ ولم ينته بعد.

والشاعر في ربيع العمر، ومع ذلك فهو كغصن ناحل لكن روحه يحلق أبداً في سماء الفن؛ والحب، والجمال، ونفسه ينبوع ثر يتفجر شعراً ويفيض سحراً.

هذا هو دائماً «السياب» في قائمة الشعراء الخالدين، وفي طليعة الشباب منهم؛ فإذا ما قدمناه إلى أصدقائنا القراء فإنما نرجو أن يقضوا معه وقتاً سعيداً.

علي الخاقاني

مقدمـــة

ليس ما أكتبه الآن مقدمة، إنما هي خواطر تتجاوب في نفسي وأنا مقدم على وضع هذه القصائد التي يحويها هذا الديوان بين أيدي

القراء. والقراء يختلفون في أذواقهم الفنية؛ وفي نظراتهم إلى الشعر وإحساسهم به؛ اختلاف شاعر عن شاعر وأديب عن أديب، أو أكثر من هذا. ولهذا كان لزاماً علي أن أسجل بعضاً من هذه الخواطر، علها تعين على فهم هذه القصائد والانفعال بما فيها من صور وأحاسيس.

وأول ما يلتقي به قارىء هذا الديوان؛ نوع من الموسيقى لا عهد به لأغلب قراء الشعر في العراق. لقد ثار أكثر من شاعر في كل بلد عربي، على تلك الموسيقى الرتيبة التي تأثر الشعر العربي بها وتناولت الثورة؛ في أول عهدها، وحدة القافية، ثم تعدتها إلى الأوزان. فهجر كثير من الشعراء المجددين البحور الطويلة، واستعاضوا عنها بالبحور القصيرة، إلا في القصائد التي تستلزم الفخامة. وقامت دعوة إلى «الشعر المهموس»، كان أول من قادها الأستاذ الكبير محمد مندور. وهناك فريق آخر من الشعراء ثار على وحدة الوزن، منهم الشاعر الكبير المرحوم إلياس أبو شبكه في [غلواء] و[إلى الأبد] وبعض القصائد من (أفاعي الفردوس) والأستاذ خليل شيبوب في قصيدته «القصر القديم والحديقة المهجورة»؛ وشعراء آخرون.

ولكن الانتقال من وزن إلى وزن سواه، كان كثيراً ما يسبب «نشازاً» في الموسيقى لا تقبله الأذن الحساسة. وللأستاذ «مصطفى عبد اللطيف السحرتي»، بحث ممتع عن الموسيقى في الشعر الحديث في كتابه القيم «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث» نود للقارىء أن يرجع إليه.

وقد لاحظت من مطالعاتي في الشعر الانكليزي، أن هناك [الضربة] وهي تقابل «التفعيلة» عندنا «مع مراعاة ما في خصائص الشعرين من اختلاف» و«السطر» أو «البيت» الذي يتألف من ضربات مماثلة في النوع للضربات الأخرى في بقية الأبيات، ولكنها تختلف عنها في العدد «في بعض القصائد» وقد رأيت أن من الإمكان أن نحافظ على انسجام الموسيقى في القصيدة، رغم اختلاف موسيقى الأبيات، وذلك باستعمال «الأبحر» ذات التفاعيل الكاملة، على أن يختلف عدد التفاعيل من بيت إلى آخر، وأول تجربة لي من هذا القبيل كانت في قصيدة «هل كان حباً» من ديواني الأول «أزهار ذابلة». وقد صادف هذا النوع من الموسيقى قبولاً عند كثير من شعرائنا الشباب، أذكر منهم الشاعرة المبدعة الآنسة «نازك الملائكة».

وهناك شيء من الغموض في بعض القصائد، ولكنني لست شاعراً رمزياً، وقد كنت مدفوعاً إلى أن أغشي بعض قصائدي بضباب خفيف وذلك لأنني كنت متكتماً، لا أريد أن يعرف الناس كل شيء عن حبي الذي كانت كل قصائد هذا الديوان صدى له، فقد كانت «موحية» هذا الديوان؛ تغضب أشد الغضب إذا أنا ذكرت شيئاً عن قبلاتنا ومواعيدنا، وكثيراً ما مزقت بعض القصائد التي كانت تشير إلى شيء تأبى هي أن يعرفه الناس، وقصيدة «أساطير» تكشف «عن العقدة» في هذا الحب، ولكنها توحشت، ببعض الغموض الذي تزيله المقدمة النثرية لهذه القصيدة، وكذلك الحال في قصيدة «اللقاء الأخير». ولولا أنها خانت هذا الذي كانت تسميه «النبي الوديع»، لظلت هاتان القصيدتان غامضتين، دون مقدمة يفهم منها القارىء ما أقصد.

* * *

وهناك ظاهرة أخرى في هذه القصائد، هي تنادي المعاني وتداعيها، ومزج الوعي باللاوعى؛ وتلوين الأمل بالذكرى، وهذا يظهر في القصائد في [القرية الظلماء] (في السوق القديم) و(نهاية)، [لقاء ولقاء]، [وأتبعيني] وغيرها.

ولابد من أن ألقي ضوءاً على موقفي من المرأة وإحساسي تجاهها، ليتم الفهم على وجهه الأكمل:

فقدت أمي ومازلت طفلاً صغيراً، فنشأت محروماً من عطف المرأة وحنانها. وكانت حياتي ومازال كلها، بحثاً عمن تسد هذا الفراغ، وكان عمري انتظاراً للمرأة المنشودة، وكان حلمي في الحياة أن يكون لي بيت أجد فيه الراحة والطمأنينة. وكنت أشعر أنني لن أعيش طويلاً. لهذا وجب على القارىء أن يربط بين [رئة تتمزق] وكثير من قصائد الديوان.

وهناك ظاهرة لعلها أهم الظواهر في هذا الديوان، تلك هي أن البيت ليس وحدة للقصيدة، فالمعنى يتسلسل من بين بيت إلى آخر سالكا عدداً من الأبيات. لهذا وجبت مراعاة [علامات الترقيم] وإلا تعذر فهم القصائد؛ ومن بعد تذوقها .

وقبل أن أختم هذه المقدمة؛ لابد من التعرض لمشكلة كثيراً ما ثار حولها الجدل، تلك هي رسالة الفنان في المجتمع. أنا من المؤمنين بأن على الفنان ديناً يجب أن يؤديه لهذا المجتمع البائس الذي يعيش فيه. ولكنني لا أرتضي أن نجعل الفنان ــ وبخاصة الشاعر ــ عبداً لهذه النظرية، والشاعر إذا كان صادقاً في التعبير عن الحياة في كل نواحيها، فلا بد من أن يعبر عن آلام المجتمع وآماله، دون أن يدفعه أحد إلى هذا. كما أنه من الناحية الأخرى يعبر عن آلامه هو وأحاسيسه الخاصة التي هي في أعمق أغوارها أحاسيس الأكثرية من أفراد هذا المجتمع، وبالإضافة إلى ديوانين من الغزل أصدرتهما أزهار ذابلة وهذا الديوان؛ لاتزال لدي مجموعة ضخمه من الشعر الاجتماعي والإنساني ستطبع في المستقبل القريب.

وبعد، فهذا قليل من كثير مما أردت أن أقوله، وأرجوا أن تسمح

الظروف فأقول في فرصة أخرى ما فاتني قوله الآن.

بدر شاكر السياب

ديوان بدر شاكر السياب ــ المجلد الثاني، دار العودة، بيروت ١٩٧٤ ــ ٥٩١ ص + ٣ للفهرس. منها ص ص ٧ ــ ٨٥ للمقدمة ــ المدخل بقلم ناجي علوش.

تليها: البواكير ــ فجر السلام ــ قيثارة الريح ــ أعاصير ــ الهدايا.

جاء في مقدمة البواكير: «تضم هذه المجموعة قصائد كتبت في السنوات ١٩٤١، ١٩٤٢، ١٩٤٣، ١٩٤٤. وقصائد بلا تواريخ، يرجح أنها تعود إلى الفترة ذاتها.

ولقد بدأت قصة هذه القصائد عندما حاولت «دار الطليعة» إصدار مجموعة «إقبال» بعد وفاة بدر مباشرة، اتصلنا بعائلته وطلبنا أن يرسلوا لنا ما توافر من قصائده، وما تيسر من معلومات عنه. وكان أن أرسلوا لنا فيما أرسلوا دفترين من قصائده الأولى. نشرنا قسماً منها في مجموعة إقبال، ولم ينشر الباقي حتى الآن.

وعليه فإن هذه المجموعة تضم:

أ ــ قصائد الدفترين المذكورين التي نشر بعض منها في مجموعة إقبال..

ب ــ قصائد نشرها الدكتور عيسى بلاطه في ملحق كتابه: «بدر شاكر السياب: حياته وشعره» (...)

هذه إذن بواكير شعر بدر. وهي تمثل شعره في السنوات الأربع الأولى من حياته الشعرية ... ــ ٧٢/١٠/١ ناجي علوش.

ليلاحظ أن «البواكير» لم تتضمن قصيدة «بين الروح والجسد» الواردة في «إقبال». ولم يشر إلى ذلك. والسبب في ذلك ــ وإن لم يذكره ــ ورود هذه القصيدة في مجموعة «قيثارة الريح».

وجاء في مقدمة «فجر السلام»: «هذه إحدى مطولات بدر التي لم تنشر في مجموعاته السابقة، وإن كانت قد نشرت مقاطع منها دون ذكر اسم الشاعر، ونشرت مرة أخرى في كراس خاص، كما نشرت مرة ثالثة في مجموعة هديل الحمام التي أصدرها باقر الموسوي، ولقد كتبت هذه القصيدة حوالي سنة ١٩٥٠، وهي لذلك تمثل شعر بدر خلال التزامه بالحزب الشيوعي..».

ويلحق بهذه المقدمة ماجاء في كتاب الدكتور إحسان عباس: بدر شاكر السياب، عن هذه القصيدة، ثم مقدمة القصيدة نفسها، ثم القصيدة ص ص ٢٤١ ــ ٢٦٧.

وحين جاء إلى «قيثارة الريح» حذف المقدمة التي كتبها لها الجامعون واكتفى بملخص لها ــ وهذه هي:

هذه المجموعة :

أصدر الشاعر الكبير المرحوم بدر السياب في حياته القصيرة الحافلة المجموعات الشعرية التالية..

أزهار ذابلة، أساطير، أنشودة المطر، المعبد الغريق، ومنزل الأقنان.

وكان الشاعر يطمح أن يرى شناشيل ابنة الجلبي مطبوعاً فتخرمته المنية قبل صدوره.

وجرت محاولة لجمع القصائد التي نظمها بعد «الشناشيل» مع إضافة ماتيسر من قصائد مرحلته الأولى، فصدرت مجموعة «إقبال والليل» وحين أعيد طبع قصائد هذه المجموعة ضمن «الشناشيل» حذفت من الطبعة الجديدة القصائد المبكرة التي تضمنها مجموعة «إقبال والليل».

وقد ظلت قصائد كثيرة للشاعر الكبير غير منشورة في هذه المجموعات، تتطلب يداً أمينة تذيعها بين الناس. وها هي الفرصة المناسبة لمثل هذا العمل تحل، فقد عزمت وزارة الإعلام أن تحتفل بالذكرى السادسة لوفاة الشاعر العظيم، وورد في الذهن، أن نشر ما لم ينشر من قصائد الشاعر، يعطي للاحتفال معنى خاصاً، قوامه: تقدير الرجل والمحافظة على تراثه، وقد شكلت الوزارة لجنة خاصة للإشراف على الاحتفال وتهيئة القصائد غير المنشورة لإصدارها في كتاب يليق بهذه المناسبة.

سافر بعض أعضاء اللجنة إلى البصرة، واتصلوا بالسيدة «أم غيلان»، زوجة الشاعر الكبير، وبالسيد فؤاد عبد الجليل، المشرف على كل مخلفات الشاعر، فحصل أعضاء اللجنة على بعض مخطوطات الشاعر القديمة في أوراق متناثرة. منها دفتر خاص بخط السياب نفسه يحتوي على قصيدة «اللعنات» ومجموعة «قيثارة الريح».

صادفت اللجنة، أثناء عملها في تحضير قصائد السياب، مصاعب جمة منها أن القصائد المكتوبة بخط السياب عملت بها يد الشطب والتحريف. ورغم هذا فقد استطاعت اللجنة أن تهيء هذه القصائد وأن تفك كثيرا من الخطوط المعماة. كما راجع أعضاء اللجنة شعر السياب المنشور لتلافي كل قصيدة منشورة من أن تظهر في هذه المجموعة «الجديدة». فكانت هذه الحصيلة.

نستطيع أن نقسم هذه المجموعة إلى قسمين:

الأول: يحتوي على قصائد مبكرة للشاعر، ويظهر من أسلوبها وصورها ومعانيها أنها تحمل طابع «أزهار ذابلة» رغم أنها أقل مستوى منها، فنلاحظ عليها ذلك القلق في التعبير، وعدم النضج في طرح التجارب العاطفية. بيد أن هذه القصائد تلقي ضوءاً على حياة الشاعر ونفسيته في تلك المرحلة.

الثاني: ويحتوي على قصيدتين، الأولى: بين «الروح الجسد» وهي بقايا قصيدة طويلة كان السياب أرسلها إلى الشاعر علي محمود طه

المهندس، وهذه البقايا، المنشورة هنا، كافية للدلالة على روح القصيدة.

والثانية: «اللعنات» وهي قصيدة طويلة تبلغ حوالي (٣٠٠) بيت تنشر للمرة الأولى بصورتها الكاملة. وهي أنضج قصائد المجموعة، وأحفلها بالمعاني والتصوير والتعبير المتقن. وهي صورة لذلك الصراع الأبدي بين الخير والشر، وتستوحي نضال الشعوب في سبيل الحرية والرفاه، وهي تندرج ضمن القصائد التي نظمها الشاعر أيام التزامه السياسي الواضح، ويبدو أن القصيدة قد نظمت في مطلع الخمسينات.

تظل كلمة لابد منها:

قد لا تضيف هذه المجموعة شيئاً جديداً إلى تراث السياب الغني، لكنها في مجملها توضح بعض الجوانب الغامضة التي تحدث الكتاب عن بعضها .. كما أن قصيدة «اللعنات» بمفردها تبرر تماماً ظهور هذه المجموعة كجانب مهم من جوانب الاحتفال بالشاعر العظيم بدر شاكر السياب.

إن وزارة الإعلام، إذ تقدم هذه المجموعة للشاعر الراحل، فهي إنما تقوم بقسط من واجبها تجاه الثقافة العربية والأدب العربي، والأدباء والمثقفين عموماً.. وهي إذ تأخذ على عاتقها مثل هذا العمل، فلأنها تدرك أن الأدب حقل يجب أن تتظافر فيه جهود العاملين لجعله عاملاً مهماً من عوامل التغيير الاجتماعي والسياسي، في هذه المرحلة التي استطاعت فيها ثورة ١٧ تموز أن تحدث الكثير من هذه التغييرات.

أما الذين أشرفوا على تحقيق «قيثارة الريح» فهم: زكي الجابر، عبد الجابر داود البصري، سامي مهدي، خالد علي مصطفى.

وحين جاء إلى «أعاصير» حذف مقدمتها، وهذه هي..

من المهم جداً أن أبين أن قصائد هذه المجموعة كلها كانت وليدة سنة ١٩٤٦، وقبل هذا التاريخ، فقد ألقاها الشاعر جميعاً في تجمعات سياسية أقيمت على وجه التحديد في قاعة المكتبة الإسلامية الواقعة في محلة السيف في البصرة، وكان بدر وقتها يعيش فترة فصله من دار المعلمين العالية.

حصلت على أغلب هذه القصائد منه شخصياً. وفي وثبة كانون سنة ١٩٤٨ كانت كل القصائد التي ألقاها في حشود المتظاهرين هي بالذات بعض قصائد هذه المجموعة دون أن أسمع منه شيئاً آخر غيرها، سألته عن إصدارها بديوان حين عاد إلى دار المعلمين وكنت أنا أحد طلابها فأكد رغبته في إصدار الأعاصير، وكان يأمل أن يتمكن من ذلك بعيد إصداره لديوانه الأول، أزهار ذابلة، ولكنه لم يكن يتوقع موافقة السلطة يومذاك على نشر هذا من النتاج، فهي تحاربه وتسد عليه المنافذ، ويلوح لي أنه حين تقدم به الزمن وابتعد عن التزامه السياسي وقت كتابتها رغب في أن يترك كل ما كان له مع ذلك الالتزام أو أنه فقدها لأنها لم تظهر في واحد من دواوينه.

وأرى أخيراً أن أشير إلى روابط صداقة جمعتني وإياه في فترات متباعدة أهمها السنوات الأخيرة من حياته في المعقل من مدينتنا البصرة، حملتني دوافع الوفاء له وللأدب العربي أن لا أدع هذه القصائد تقبع في زوايا النسيان ثم الضياع، فدفعتها إلى وزارة الإعلام فكانت هذه المجموعة.

عبد الجبار العاشور

ملاحظة:

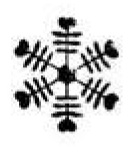
قصيدتا «عربد الثأر فاهتفي ياضحايا» و«حطمت قيداً من قيود» أضيفتا إلى المجموعة من قبل الشاعر عبد الرزاق عبدالواحد.

وبعد:

يرجو كاتب الملاحظات الببليوجرافية أن يكون قد أسهم في خدمة القارىء والدارس والناشر والشاعر، ويتمنى لو بيَّن الكتَّاب ما لهم من ملاحظات أخرى على طبعة دار العودة استكمالاً للغاية التي جاءت هذه الملاحظات من أجلها، ووفاء بحقوق الذين أسهموا في خدمة الديوان ولم تشر إليهم دار العودة.

ومن النافع أن نشير هنا إلى عمل الأستاذ حسن توفيق الذي صدر بعنوان «أزهار ذابلة وقصائد أخرى مجهولة» من شعر بدر شاكر السياب. طبع مرتين ١٩٨١، ١٩٨٥ عن المؤسسة العربية للدراسات، بيروت — بغداد.

ومن النافع كذلك أن نستدل من مجموع الحال على ضرورة طبع «ديوان بدر شاكر السياب» طبعة محققة علمية نقدية. دليل آخر على هذه الضرورة ما أخبرنيه الأستاذ حاتم الصكر إذ روى أن الأستاذ محمد صالح عبد الرضا حصل على سبع قصائد للسياب غير منشورة، حققها وأعدها للنشر، أو أن الأديب القاص وارد بدر سالم نشر للسياب قصيدة غير منشورة، في جريدة القادسية بغداد كانون الأول ١٩٨٥.



الزمن والشمس اللذيذة

لناصر العديلي

إيمان الدباغ
محررة بجريدة الرياض

العديلي، ناصر /الزمن والشمس اللذيذة ـــ الرياض: دار العلوم، ١٤٠٥هـ ـــ ١٩٨٥م، ١٦٨ص.

كلٌ منا.. يحمل فتاتات متناثرة.. وبقايا وجدانيات تتواصل معه عبر الحياة اليومية.. بكل مافيها من تفاهات وتفاصيل.. هذه الوجدانيات أو التفاعلات النفسية الشديدة التعقيد.. قد تمر على البعض دون أن يشارك فيها وعيه بأنها تحمل مسميات معينة معقدة.. تبدأ من أصول الذات، وتنتهي بما يسمى انعكاسات سلوكية.. وتصرفات.. تشف عن تلك الذات.. وذلك الوجدان.. أما البعض الآخر.. فقد يقتنص هذه المسميات ويمضي بآلاف التفسيرات الدقيقة ينسجها في كيان منظم، يدخل ضمن أحرف وكلمات.. ورومانسيات.. وأحياناً دراسات..

«الزمن والشمس الذيذة» تنتمي إلى هذه المسميات، حيث يحاول المؤلف أن يمنطق تلك التفسيرات، وينسج حولها إطاراً معيناً نستطيع القول بأنه يخلو من مفهوم البداية.. الحبكة ثم النهاية.. أي الهرَم القصصي المطلوب.. لأن هذا الهَرم في الحقيقة يعتني دائماً بانبثاق مضمون جبار وأساسي مكوناً عناية لغوية ومعنوية مكثفة، ثم مايتبع ذلك من بعض تفاصيل وجدانية تشير إلى صلة وثيقة وقوية بالقصة ككل، قد يضيف إلى العمل القصصي نكهة نضرة تحتوي هذا العمل باستنتاج قد لايختلف عليه اثنان.. ولكن أن يكون المضمون الأساسي لهذا العمل هو طرح تفاعلات نفسية يمر بها الإنسان العادي في تفاصيل حياته اليومية، فهو قطعاً لايحتمل أن تكون نقطة لإنتاج قصصي يطلق على محتوياته مجموعة قصص قصيرة.. لأنها بذلك تفقد انسيابيتها المعهودة، وتصبح هذه التفاعلات مجرد أداة تسخير، وضعت تحت المجهر وحوصرت ببعض اجتهادات لغوية وجمل طويلة تفقدها تلقائيتها وجمالها في أن توصف كما هي.. وكيفما تكون.. دون محاولات تجميل مقصودة أو خلط غير مدروس أو منسجم، لأنها قطعاً ستشوهها.. فلا هي قصة.. ولاهي أيضاً وجدانيات بحتة.. أو مجردة..

* * * * *

وبنظرة متأنية «للزمن والشمس اللذيذة» نجد أن الكاتب.. يحاول أن يوصل شيئاً ما إلى القارىء.. عبر اجتهاده ومعاناته في خلق فكرة جادة متميزة تفرض نفسها بتفردها وجودتها دون محاصرتها بتداعيات لملء الثغرات الكامنة في هيكل القصة ككل.. أما مضمون القصص بشكل عام، فالبعض منها يميل إلى التقليدية البحتة في الأسلوب والخيال والفكرة والطرح.. والبعض الآخر يشير إلى شبه محاولة في تثبيت خطوات لابأس بها في الأسلوب شبه الرمزي.. إلا أن القارىء يشعر بالفجوة المفاجئة لتباين هذين الأسلوبين، ففي بعض الأحيان عبارات يصعب أن نجد عبرها صلة محكومة في الفكرة والخاطر.. وأحياناً أخرى.. عبارات جميلة.. وتحليق لغوي ومعنوي مفاجىء.. «بدأت رحلتنا كنقطة.. تمددت النقطة.. صارت نقطتين التقتا كونت حروفاً.. كلمة.. قصة.. لوحة ذات ألوان.. ظلال وأبعاد.. سطعت شمس الحياة على اللوحة.. تبدلت اللوحة، بهتت ألوانها.. استعدت للرحيل تحولت إلى فراغ.. بقي الإطار في أيدينا نديره كيف نشاء.. نطل من خلاله على اللوحة السابقة.. نتذكر.. نفرح.. نتألم.. نرتطم على بعض.. نستيقظ..»

هذه العبارات تشير إلى رحلة زوجين معاً.. في حياة غرست آثارها على وجهيهما.. والمتحدث في تلك العبارات هو الزوج.. هنا في تلك العبارات نستطيع القول بأن هناك إشارة ملموسة في صدق هذه المعاناة.. الأمر الذي يجعلنا نتساءل: هل كاتب هذه العبارة هو نفسه الذي كتب: «نهضت غسلت وجهي.. لعنت في أعماقي كل السارقين والسارقات.. حملت سطلي بعد أن أسقيته ماء.. أخذت الخرقة الحمراء العتيقة، اتجهت إلي ميدان الصفاة.. لوح بالخرقة

الحمراء إلى السيارات.. وتسرب صوته من بين الأصوات الصاخبة: غسيل.. غسيل.. تنظيف!!»؟

أو نفسه الذي كتب: «تعالت أبواق السيارات خلفي.. رفعت نظري إلى الإشارة تلفت يمنة ويسرة.. عبرت الشارع.. أومأ إلي أحد الركاب.. لم أتوقف له.. أسمعته صوت البوق واصلت سيري شارع الشميسي الجديد.. شارع العصارات.. لالزوم اليوم للعصير أنا في حاجة إلى لبن.. أشرب لبن وأتجول وحدي بلا ركاب ودوشة ووقف ياسواق.. على جنب.. هات الباقي.. مامعي فكة...»!؟

* * * * *

روح القرية.. وعذاب الانتقال إلى المدينة بكل زينتها وتكنولوجيتها.. وإشراقها الحضاري المطلوب.. عنصر محرك وأساسي لمضمون أغلب القصص في المجموعة.. فالكاتب إنما قصد أن يشير إلى روح البساطة والفطرة والتلقائية البحتة في التعامل والذي تقتضيه طبيعة الحياة في القرية لإبراز العيوب التي تتفاقم في المدينة، وقصد الكاتب أيضاً أن يشير إلى اعتقادات أهل القرية ورأيهم فيمن يلتحق بالمدينة ويعيش فيها، فتأتي المفاهيم محملة بالمهانة والازدراء.. لأن المدينة تأخذ من الإنسان أكثر مما تعطيه.. كما يرى المؤلف..

«يقول صديقي عيسى عندما زارني وشاهد تصرفي مع الركاب:

ــ واوه ياخلف طارت حمامة وجهك في المدينة

ويضيف بانفعال:

ــ وجهك لم يعد هو وجهك الأول عندما كنت تدق النجر وتقتل وقتك في حمص البن ودلق القهوة للضيوف والجماعة.

يصيح بوجهي ملتاعاً

ــ وجهك ياخسارة.. وجهك مغسول مرق.. تباً للمدينة يرحمك الله ياسعيد لو يدري بك وبتصرفاتك لتململ في قبره..»!!!

أما في إطار العلاقات الاجتماعية الإنسانية، فيعمد الكاتب إلى إبرار مدى قوة هذه العلاقات في القرية، وعن مدى التحول الرهيب المفاجيء غير المتوقع، والذي يحدث كنتيجة تلقائية في المدينة. لتلك العلاقات سواء بين الأخ وأخيه أو بين الإنسان والمجتمع، أو بين الزوج وزوجه..

«في المدينة فقد الإنسان قيمه وشهامته.. الأخلاق تضمحل.. والناس كل يسير في طريق معاكس للآخر..»

«الجيران لم أعرفهم حتى الآن رغم مرور شهور وسنوات علينا ونحن في هذا المكان.. لم يزرنا أحد منهم حتى هذه الساعة.. خجلت أن أخرج إلى أحد منهم وأستعين به عندما توفيت أمي لغسلها.. تذكرت جيراننا في القرية.. منذ سنوات كانوا يشاركون بعضهم البعض في الأفراح والأتراح..»

كل تلك العبارات السابقة تقيم مقارنة واضحة بين القرية والمدينة التي ظلمها الكاتب بعض الشيء. فالمدينة التي يتحدث عنها، تلك الموحشة التي ليس فيها ضمائر أو أخلاق، أو ارتباط، تذكرنا بإحصائيات اجتماعية عن حياة المجتمع الأمريكي مثلاً!!!!

هناك قياس قائم بلاشك ولكن بفارق شديد.. فقياس حياة المدينة بالقرية واقع حقيقي وملموس، ولكن بالتالي فإن حياة المدينة تشمل واقع الإنسان وحياته وبحثه عن لقمة العيش والكفاح لتأمين المستقبل وتحقيق الطماح.. ومواصلة العلم، ولست أرى في ذلك أي مانع في الاحتفاظ بالضمير والأخلاق والتكافل الاجتماعي والترابط الإنساني المطلوب، وكون انشغال الإنسان بتحقيق هذه الأشياء لضمان حياة أسرة أو حتى لهدف شخصي، فتلك جميعها علامات بارزة على تطور الشخصية الإنسانية ولحاقها بضرورات العصر في إطار قيمنا وأخلاقنا وروابطنا الاجتماعية، شاملة في ذلك أدق التفاصيل أو حتى أتفهها..

لقد صور لنا الكاتب المدينة على أنها مكان مهجور.. موحش.. لأن انخراط الأفراد في الحياة وتطورهم بشكل لائق ولبق وملحوظ، يشوه صورة الإنسان الفطري الذي يحصد زرعه.. ويحلب ناقته.. ثم يجلس ليرقب الغروب.. ويوفق بين اثنين.. ويحل نزاعاً.. ويقوّم عاصياً..

كل هذه المعطيات في مجموعها جميلة.. ولكن في عصر معين.. وزمن محدد.. يأخذ وقته ثم ينتهي.. يبقى بعد ذلك كله كخلاصة نهائية، احتفاظ الإنسان بدواخله الشفافة وقيمه العليا مع اجتهاد مطلوب للتمسك بمسميات المدينة من عمل.. وتطور.. وخدمة للمجتمع والوطن.. طماح.. علم.. شهادات.. ثقافة..تواصل..

* * * * *

مجموعة الزمن والشمس اللذيذة .. هي خطوة أولى للتفكير بصوت عال لمحاكاة صدى يتأجج في نفوس القراء.. وجدانهم.. فهي تقرب إلى كونها وجدانيات وأحياناً.. وفي بعض المقاطع.. مذكرات شخصية لم يهتم كاتبها بتصحيح أو مراجعة بعض ماكتب.. كإنجاز شخصي ذاتي.. لن يطلع عليه الغير.. إلا أن المحاولة في حد ذاتها.. قد تجر إلى محاولات أخرى تطرح فيها قضايا واقعية ملموسة.. إنسانية بشرية.. معاناة حقيقية.. شيء يخص القارىء والمجتمع وعصرهم الحقيقي الذي ينتمون إليه ويحيون فيه.. دقيقة بدقيقة.. ومعاناة بمعاناة ولعل.. الانطلاقة الأخرى.. تشير إلى عكس ونقيض كل ماكتب أو أشير إليه.. عن مجموعة «الزمن والشمس اللذيذة».

عالم على حدة لهيرلنج

حماده إبراهيم
أستاذ في معهد تعليم اللغة العربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

Herling, Gustav/Un Monde à Part.
Paris: Denoël, 1985

هيرلينج، غوستاف/عالم على حدة.ــ باريس: دينوئيل، ١٩٨٥م

[بالنسبة لمئات الآلاف من أمثال (غورتسيف) فإن البلشفية كانت هي الدين الفريد والوضع الوحيد الممكن في هذا العالم، ذلك أنهم قد أرضعوا هذا الدين منذ نعومة أظفارهم وطوال طفولتهم ومراهقتهم...]

تعود قصة هذا الكتاب إلى عام ١٩٤٠م حينما حاول المؤلف ــ وكان حينئذ ضمن قوات المقاومة الفرنسية ــ أن يجتاز حدود إحدى الولايات الروسية لينضم إلى الجيش البولندي في الأرض الفرنسية، ولكن لم ينجح في محاولته، وألقي القبض عليه وأرسل فيمن أرسل إلى أحد معسكرات (الشمال الكبير) فقضى هناك سنتين، وكان كتاب «**عالم على حدة**» هو محصلة هذه الفترة العصيبة، وهو الشهادة الدامغة على ذلك الأسر وذلك السجن الذي كان على الكاتب أن يواجهه خلاله الفزع الأكبر، أو على حد قوله (الرعب المطلق).

ففي هذا الكتاب النادر يحاول غوستاف هيرلنج بأسلوب بسيط، بعيداً عن الخطابة والمبالغات، أن يروي لنا قصة الجوع والبرد والقسوة، حيث يفقد الإنسان كل معنى للكرامة، وحيث تضيع القيم وتختفي المثل أمام ضرورة الحياة والاستمرار فيها، في هذا الكتاب أو على حدّ تعبير الكاتب (بيت الأموات) نتعرف على عدة وجوه أو عدة أنماط من البشر: «البوب» أو الكاهن الروسي المسئول عن المعسكر، ومأمور الشرطة الذي حكم عليه بالإعدام بتهمة إطلاق النار على صورة الزعيم (ستالين)، والسجين (كوستيليف) الذي عمد إلى إحراق ذراعه لكي يُعفى من العمل المميت.

إن ومضات النور الوحيدة في هذا العالم المظلم تتمثل في المستشفى الذي يستطيع من يصل إليه أن يغتسل وينام على فراش، ودار الملتقى، حيث يمكن للمساجين بعد طول المعاناة والتعذيب أن يلتقوا بأحد أفراد أسرتهم، وغالباً مايكون ذلك من أجل الاتفاق على الانفصال أو الطلاق. ويوم الراحة الذي يحل كل شهرين وما يحمل من سراب الحرية، راحة مؤقتة تزيد من الإحساس باليأس والقنوط.

إن الكاتب خلال صفحات هذا الكتاب يرصد ويحصي ويحلل على شاكلة كبار الكتاب، ثم يعرض لنا الحقيقة المرة، الواقع المأسوي، باختصار يضعنا أمام صورة من صور الحضيض الذي تردى إليه الوضع الإنساني في العصر الحديث. صحيح أن المؤلف لم يكن هو الشاهد الوحيد على فظائع ستالين وعصبته، ولكنه بلاشك كان واحداً من الأوائل الذين اطلعوا على هذا الوجه القبيح للعالم.

* * * * *

إن مهمتنا، أو بالأصح كما أصبحت في أيدي الذين أرادوا تحويلها إلى أداة للتعذيب، هذه المهمة لايمكن شرحها أفضل ولا أوضح من عرضها من خلال قصة ذلك الرجل الذي لقي حتفه في شتاء ١٩٤١م، من فرط العمل في إحدى فرق الحطابين، وبأسلوب شرعي تماماً يعكس مدى القسوة والوحشية في لوائح المعسكرات الشيوعية.

بعد وصولي إلى المعسكر بشهر تقريباً، وصل المعسكر قافلة جديدة تتألف من حوالي مائة سجين سياسي وعشرين من الخطرين على الأمن، وقد بقي هؤلاء العشرون في مدينة (بيرتسيفو) PERTSEVO، أما السجناء السياسيون فقد تم توزيعهم على عدة أقسام في معسكر (كارغوبول) وذلك باستثناء سجين شاب، متين

البنية، يدعى (غورتسيف) GORTSEV بقي في (بيرتسيفو) وتم إلحاقه بالغابات.

ومن الغريب أن كل ماكان يقع في المعسكر من شغب وضوضاء كان بسبب ذلك الشاب الذي رفض أن يخضع للتقاليد المعمول بها بين السجناء. كما رفض الإفصاح عن ماضيه ولو بكلمة واحدة، هذا الموقف من جانبه كان كافياً ليثير ضده أحقاد الآخرين، ذلك أن الاعتقاد السائد بين السجناء هو أن السجين الذي لايطلع الآخرين على أسباب إدانته وسجنه هو أحد اثنين لاثالث لهما: فإما أن يكون من المتعالين المتكبرين الذين يرون أنهم أرفع من أن يندمجوا مع بقية السجناء، وإما أن يكون جاسوساً أو مخبراً دسه المسئولون بين صفوفهم، والحقيقة أن وجود جاسوس أو مخبر بين السجناء كان من الأمور الطبيعية، غير أن ما أثار الأحقاد ضد (غورتسيف) بالدرجة الأولى كان سلوكه. كان تصرفه في المعسكر يوحي بأنه جاء إلى السجن بمحض المصادفة وأنه يستحق بعض الامتيازات، وأن هناك أملاً كبيراً في خروجه من المعسكر، وكانت الشائعات تتردد بأن هذا الشاب كان ضابطاً قبل أن يتم القبض عليه.

ومن الغريب أن (غورتسيف) كان، وبلا وعي منه أو عن غباء، يعمل كل مايؤكد شكوكنا نحوه، فحينما كنا نوقد بعض النار في الغابة ونجلس حولها طلباً للراحة، لم يكن (غورتسيف) يفتح فمه إلاّ ليلقي خطبة قصيرة وعنيفة ضد «أعداء الشعب» المسجونين في المعسكر، ويدافع عن قرار الحزب والحكومة اللذين أحسنا صنعاً إذ أودعا هؤلاء المذنبين غياهب السجن ليحولوا بينهم وبين إيذاء الشعب والإضرار بالمصالح العليا.

كان وجهه الشؤم البغيض بعينيه الخبيثتين، عيني الخادم الذليل، والندبة التي تظهر على خده الأيمن، كان وجهه هذا يلوح لنا في ضوء ابتسامة غريزية تنم عن الذلة والمسكنة وتعكس المهانة والعبودية، في كل مرة ينطق فيها بهذه العبارة السحرية «الحزب والحكومة».

وذات يوم صرح بصورة خرقاء أن وجوده في هذا الحجز عن طريق الخطأ، وأنه لن يلبث أن يعود إلى موقعه القديم «موقع المسئولية».

حينئذ، بدأ المساجين الآخرون يعاملونه بحقد دفين، يحاولون إخفاءه يوماً بعد يوم.

ولقد حاولت من جانبي عدة مرات أن أكسب ثقته، ليس حباً منه أو استلطافاً له، وإنما بدافع الفضول، وكنت أشكر الظروف التي أتاحت لي أن أتحدث إلى رجل مسجون في معسكر عمل، ومع ذلك فهو يرى الأشياء بعيني شيوعي طليق، إلاّ أن (غورتسيف) كان يتجنبني كما كان يتجنب الآخرين، ويزوغ مني كلما وجهت إليه سؤالاً، حتى محاولات السخرية منه والاستهزاء به من أجل إثارته كانت تضيع هباء، ولكنني نجحت مرة واحدة في استدراجه إلى حديث طويل، وكانت هذه المناقشة كافية لإقناعي أن من الخطأ أن نتصور أن الشباب الشيوعي السوفييتي ماهو إلاّ عصابة من المغامرين الذين يطيعون رؤسائهم، ولكنهم على أتمّ الاستعداد للانصراف عنهم في أول فرصة تسنح لهم، والسبب في ذلك أنه بالنسبة لمئات الآلاف من أمثال (غورتسيف)، فإن البلشفية كانت هي الدين الفريد والوضع الوحيد الممكن في هذا العالم، ذلك أنهم قد أُرضعوا هذا المذهب منذ نعومة أظفارهم وطوال طفولتهم ومراهقتهم، أما من هم أكبر سناً، فلعلهم قد اعتبروا انحرافهم الأيديولوجي هزيمة شخصية كبرى سلبت حياتهم كل معنى، ولعلهم عانوا وتعذبوا لأن نصيبهم كان الخيانة والغدر، ولعلهم قد تحطموا نفسياً إلى درجة يستحيل معها العلاج. ولكن على الرغم من ذلك كله فقد ظلوا يحتفظون بعقليتهم النقدية وبروحهم الانتقادية، بحيث يستطيعون تقدير مأأصابهم وما يدور حولهم، وذلك في اللحظات التي تستنير فيها بصائرهم وتتضح فيها نظرتهم للأشياء.

أما فيما يتعلق بـ (غورتسيف) وأمثاله، فإن فقدهم للإيمان بالشيوعية، الإيمان الوحيد الذي اصطبغت به حياتهم وتشكلت، يكون أشبه بفقدهم لحواسهم الخمس الأساسية التي تتيح لهم تحديد الواقع المحيط بهم وتقديره وتقويمه، حتى السجن لايمكن أن يجعلهم يحنثون بالأيمان التي قطعوها على أنفسهم، لأنهم يعتبرون السجن كنوع من العزل المؤقت بسبب ارتكابهم مخالفة للنسك الرهبانية أو الكهنوتية، وهم ينتظرون بفارغ الصبر يوم حريتهم بقلوب أكثر طاعة وخضوعاً من ذي قبل.

إن فترة العزل والتأمل التي يمثلها جحيم السجن لاتغير شيئاً من واقعهم أو حقيقتهم، أو بالأحرى فهي دليل قاطع يثبت لهم أن الجحيم موجود فعلاً، ولعلهم يحدثون أنفسهم بصوت خفيض مرددين: «اللعنة على من طردوا من الفردوس بسبب دعوتهم ضد النظام الأعلى».

> **[أيها الإخوان، هذا هو قاضي التحقيق في سجن خاركوف، كان ينهال ضرباً على الرجال حتى تتغير ملامحهم تماماً فلا تستطيع أمهاتهم اللائي ولدنهم التعرف عليهم...]**

ذات مساء أزيح الستار قليلاً عن ماضي (غورتسيف) فقد تورط لسبب تافه في شجار مع مجموعة من المساجين المنغوليين في أحد أركان المعسكر، انفجر على إثرها في ثورة عارمة لم تصدر عنه قبل

ذلك، جذب أحدهم من ياقة ثوبه وراح يهزه في عنف وغيظ معلناً وهو يضغط على أسنانه بكل ازدراء واحتقار: «فيما مضى كنت أسحق الدستة من المخلطين الآسيويين أمثالك كما تسحق الصراصير في جحورها»!، فما كان من الآخر، وكان يجلس القرفصاء فوق تخشيبة سفلى، إلاّ أن زمجر ببعض عبارات مكتومة بلغته الأم، ثم مالبث تعبير وجهه أن تبدل بحيث صار من المستحيل أن نتعرف عليه.

ومن فتحتي جفنيه الضيقتين، كانت عيناه تطلقان بريقاً بارداً من الصلب، وإذا بشفته السفلى ترتعد في عصبية تحت شاربه الدقيق المتدلي وتكشف عن صف من الأسنان البيضاء، وعلى حين فجأة، وفي حركة سريعة أشبه بالصاعقة، تخلص من قبضة (غورتسيف)، ومال عليه، وبكل ما أوتي من قوة بصق في وجهه، وحاول (غورتسيف) أن ينقض على العجوز، غير أن شابين منغوليين منعاه من ذلك، إذ قفزا من فوق تخشيبة عليا، وقبضا على ذراعيه قبضة من حديد، وكانا أثناء الشجار يلاحظان مايجري دون أن يتحرك أحدهما من مكانه.

وهكذا فقد تبين أن (غورتسيف) كان قد أسهم في إخماد التمرد الوطني الكبير الذي ظهر في وسط آسيا، ومن المعروف أن مثل هذه المهمة توكل عادة لمن تثق فيهم السلطة ثقة كاملة، أي إلى الصفوة من الحزب والحكومة، بعد ذلك الحادث الذي وقع في السجن ذهب (غورتسيف) ليشكو الأمر للفرقة الثالثة، إلاّ أنهم حتى لم يستدعوا الرجل العجوز الذي اعتدى عليه ليفسر ما وقع منه، ولعلّهم بذلك أرادوا عقاب (غورتسيف) الذي عمل دون قصد منه على تأكيد حقيقة التمرد الشهير الذي كان من المحظور التحدث عنه داخل روسيا. أو ربما لأنه على الرغم من المظاهر الخارجية، إلاّ أنه لم يكن يتمتع بحماية أية شخصية قوية خارج المعسكر. إذ لم تكن علاقاته القديمة كافية لمساعدته في هذه المحنة، وها هو ذا يجد نفسه وحيداً أعزل أمام الضربة الشرسة التي تتأهب للقضاء عليه، على أية حال، لقد اعتبر الرجل العجوز وعصابته من المغول فشله هذا بمثابة ضوء أخضر لهم، ولم تكن العصابة تريد إلاّ شيئاً واحداً، وهو ألا تتدخل الفرقة الثالثة في هذا الموضوع وأن تقذف أحد رجالها طعاماً إلى الذئاب وأن تتركه لانتقام السجناء.

مع دخول أعياد الميلاد، حدث أن قافلة أخرى من السجناء مرت في طريقها إلى معسكر (بتشورا) PETCHORA بمعسكر (بيرتسيفو)، أي معسكرنا، وذات مساء مر أحد هؤلاء السجناء أمام تخشيبة (غورتسيف) ثم توقف فجأة وقد شحب وجهه وصاح قائلاً:

«أنت هنا!؟»

فرفع (غورتسيف) رأسه، وشحب بدوره، ثم أشاح بوجهه ناحية الجدار. فما كان من السجين الجديد إلاّ أن اقترب منه في هوادة مردداً سؤاله:

ــ هنا !؟ أنت هنا !؟.

وعلى حين فجأة، انقض السجين على رقبة (غورتسيف) وألقاه على ظهره داخل التخشيبة. وراح يضغط بكتفه الأيمن على صدره، ثم بدأ يرطم رأسه في حنق وثورة في ألواح التخشيبة وهو يصيح بأعلى عقيرته :

ــ وهكذا، قبضوا عليك أنت أيضاً؟

قال وهو يضغط على كل كلمة ويدق رأس (غورتسيف):

ــ قبضوا عليك أنت أيضاً، هيه! كنت تحطم أصابعنا في مزالج الأبواب، وتدس الإبر تحت أظافرنا، وتصفعنا على وجوهنا وتركلنا بأقدامك في بطوننا وصدورنا، أليس كذلك؟ ولكن أظافري نبتت وسأخنقك بها، سأخنقك بها...!

ومع أن (غورتسيف) كان أكثر شباباً، وفي الظاهر أكبر قوة من خصمه، إلاّ أنه كان يتصرف كأنما فقد كل حيلة، ولم يحاول أن يدافع عن نفسه، ولم يتمكن من استعادة وعيه إلاّ بعد لحظات. فوجّه للآخر ضربة في ركبته وسقط معه فوق الأرض، ثم اعتمد على أقرب كرسي ونهض، وأخذ يركض نحو مدخل المعسكر، وما إن بلغ المدخل حتى اصطدم بجدار من السجناء الجدد الذين تركوا أماكنهم ليمنعوه من الهرب، فدار نصف دائرة باحثاً عن ثغرة ينفذ منها، إلاّ أن العصابة كانت في انتظاره، وهي ترمقه بكل كراهية وحقد، حينئذ توجه خصمه نحوه وهو يمسك بيديه قضيباً من الحديد ألقاه إليه زميل آخر من تخشيبة عليا، وراحت الحلقة تستحكم من حول (غورتسيف) وفتح الرجل فمه لكي يصيح، ولكن في هذه اللحظة بالذات فاجأه واحد من العصابة بضربة على أم رأسه بغطاء الدلو الخشبي، فسقط صاحبنا على الأرض وهو يقطر دماً، وحاول بما تبقّى لديه من قوة أن ينهض على ركبتيه، وراح يزعق بصوت رهيب: «أيها الحراس! سيقتلونني! سيقتلونني!».

وخلال السكون المطبق الذي ساد على إثر ذلك، زحف أحدهم إلى خارج تخشيبته، وتسلل إلى باب المعسكر وأوصده. عندئذ ألقى آخر بنطلوناً من أعلى تخشيبة فسقط فوق (غورتسيف) وراحت ضربات القضيب الحديدي تنهال فوق رأسه كالمطر، ثم تخلّص من البنطلون، وترنح كالمخمور متوجهاً ناحية العصابة، فتلقته ضربة من قبضة أحدهم فارتد ككرة من المطاط وهو يتقيأ دماً، بينما راحت ساقاه تتأرجحان وتختفيان تحته، وتقاذفته الأيدي حتى طاح على الأرض فاقد القوة وهو يحمي وجهه بذراعيه وبطنه بركبتيه بصورة تلقائية، ومكث على هذه الحال منكمشاً على نفسه، متقلصاً والدماء تنزف منه أشبه بخرقة بالية مبللة، واقترب منه بعض السجناء يداعبونه بأحذيتهم، ولكنه لم يحرك ساكناً.

وتساءل الرجل الذي كشف أمره قائلاً :

ــ هل مات؟

ثم أردف قائلاً :

ــ أيها الإخوان، هذا هو قاضي التحقيق في سجن (خاركوف) كان ينهال ضرباً على الرجال حتى تتغير ملامحهم تماماً، فلا تستطيع أمهاتهم اللائي ولدنهم التعرف عليهم، ياله من وغد! ياله من وغد!

وتقدم أحدهم حاملاً دلو من الماء فصبه على رأس (غورتسيف) فتحرك القاضي القديم و أطلق زفرة عميقة ثم عاد إلى سابق وضعه، وهنا سمع صوت نقيب الحطابين يقول :

ــ إنه على قيد الحياة، ولكن لن يستمر طويلاً.

* * * * *

[إن الثورة قلبت الأوضاع رأساً على عقب: ففي الماضي كانوا يلقون العبيد إلى الأسود، أما الآن، فإن الأسود هي التي تلقى إلى العبيد].

وفي صباح اليوم التالي، غسل (غورتسيف) وجهه من قشور الدماء التي جفت عليه، وذهب بكل صعوبة وعناء إلى الوحدة الطبية حيث منح يوم راحة، ثم ذهب أيضاً ليشكو للفرقة الثالثة، ولكنه عاد صفر اليدين، وبالنسبة لنا، صار واضحاً أن السلطة أوكلت للسجناء أمر واحد من عملائها القدامى. لعبة عجيبة! تتم وفقاً لقواعد اتفاق صامت بين الضحية والجلادين، بدأت في المعسكر.

ما إن كشف ماضي (غورتسيف) حتى كلف بأقسى الأعمال في عصبة الحطابين، وهي نشر أشجار الصنوبر بالمنشار الصغير، فبالنسبة لرجل لم يتعود على العمل الجسدي الشاق، وبالذات في الغابات، فإن هذه المهمة تعني الموت البطيء الأكيد، اللهم إلاّ إذا كان له الحق في راحة يومية، يشعل خلالها النار في الأغصان المقطوعة، غير أن (غورتسيف) لم يكن يعفى من العمل على الإطلاق، فقد كان عليه أن ينشر إحدى عشرة ساعة في اليوم، حتى إنه كان في أغلب الأحيان يسقط من الإعياء ليلتقط أنفاسه في صعوبة أشبه بالغريق، يبصق دماً، ويحاول أن يدلك جبينه المحموم بقطع الثلج، وفي كل مرة كان يثور فيها ويلقي المنشار، كان النقيب يقبل نحوه ويقول له بكل هدوء :

ــ إلى العمل يا (غورتسيف) أو نجهز عليك في القشلاق.

فيعود إلى العمل، وكان السجناء يشهدون احتضاره بكل متعة وسرور، وكان بإمكانهم أن يجهزوا عليه في ليلة واحدة، خاصة وهم يعلمون أنهم لن يتعرضوا لأي عقاب من السلطات العليا، ولكنهم كانوا يريدون أن يطيلوا فترة هذا الاحتضار، أن يجعلوه إلى الأبد، إذا كان بإمكانهم، لكي يتعذب ويعاني نفس الآلام التي فرضها في الماضي على آلاف الرجال.

حاول (غورتسيف) أن يقاوم، مع أنه لابد وقد أدرك أن صراعه لا أمل من ورائه، تماماً كالمقاومة التي كان يجدها في الماضي عند ضحاياه أثناء استجوابهم، وذهب إلى الطبيب للحصول على راحة أخرى. غير أن المشرف رفض أن يسجل اسمه في قائمة المرضى، ومرة أخرى رفض أن يذهب للعمل، فأودع الحبس المنفرد دون طعام لمدة يومين ثم أعيد للعمل في اليوم الثالث، لقد فهم الدرس. وأصبح (غورتسيف) يزحف كل يوم منقاداً لفريق العمل، يتقدم تُغَطِّيه الأوساخ وهو في حالة غيبوبة. كان دائماً محموماً يئن ويتوجع، يبصق دماً، ويبكي كالطفل الرضيع أثناء الليل، ويتوسل للعفو عنه خلال النهار، وفي أواخر شهر يناير فقد وعيه أثناء العمل، فخشي السجناء أن يضطروا هذه المرة لحمله إلى المستشفى. فاتفقوا فيما بينهم ومع حامل المياه الذي كان يحضر لهم حصتهم الإضافية من الماء، أن يحمله فوق زحّافته في آخر النهار بعد العمل، فكان فريق العمل يعود في المساء بطيئاً إلى المعسكر، في حين تتبعهم الزحافة على بعد عدة مئات من الأمتار تحمل جسد (غورتسيف) فاقد الوعي، لكنه لم يصل إلى حدود المعسكر، ففي موقع الحراسة تبين أن الزحافة خالية، وبسؤال حامل الماء، قال إنه كان يجلس على كرسيه، كرسي القيادة، في مقدمة الزحافة، ولابد أن البرد الذي كان يتساقط كثيفاً قد كتم صوت سقوط جسد (غورتسيف) حينما هوى من فوق الزحافة، وكان لابد من الانتظار حتى التاسعة مساء، أي حتى ينتهي فريق العمل من تناول العشاء، لكي يتم تشكيل حملة مزودة بمشعل كبير للبحث عن السجين المفقود، وقبيل منتصف الليل، شاهدنا من خلال نوافذ القشلاق نقطة ضوء تتراقص على طريق الغابة؛ ولكن الزحافة بدلاً من أن تعود مباشرة إلى المعسكر تحولت إلى طريق المدينة.

لقد تم العثور على جثة (غورتسيف) في كومة من البَرَد تغطي جدول ماء متجمد، كان غائصاً فيها لمسافة مترين، فلعل ساقيه اللتين كانتا تتدليان من الزحافة قد ارتطمتا بسور الجسر الخشبي الموجود على الطريق. كانت الجثة جامدة تماماً، فنقلت مباشرة إلى معرض الجثث المجهولة في المدينة.

لقد ظل السجناء زمناً طويلاً بعد موت المحقق، يتلذذون بذكرى انتقامهم منه، ولقد رويتُ ماحدث لأحد أصدقائي في طاقم الفنيين، فأطلق ضحكة عالية، وهو يقول :

> «عظيم، لقد أدركنا الآن أن الثورة قلبت الأوضاع القديمة رأساً على عقب، ففي الماضي كانوا يلقون بالعبيد إلى الأسود، أما الآن، فإن الأسود هي التي أصبحت تُلقَى إلى العبيد».

في عروض الشعر العربي
قضايا ومناقشات لمحمد الطويل

أحمد محمد عبد الدايم عبدالله

أستاذ مشارك في كلية اللغة العربية
بجامعة أم القرى

الطويل، محمد عبد المجيد /في عروض الشعر العربي قضايا ومناقشات.ـــ أبها: نادى أبها الأدبي، ١٤٠٥هـ.

نشطت الدراسات العروضية في السنوات الأخيرة نشاطاً ملحوظاً، وبدأ كثير من الدارسين يوجهون اهتماماتهم صوبها، ولقد سلكوا في دراساتهم، التي قاموا بها، مسالك جديدة، خرجوا فيها عن اتباع نظام الدائرة الخليلية، التي سار عليها سلفنا الصالح قبلهم، حيث كانوا يبدءون بالطويل فالمديد فالبسيط ــ بحور الدائرة الأولى ــ ثم ببحري الدائرة الثانية ــ الوافر والكامل ــ ثم بحور الدائرة الثالثة والرابعة، ويختمون تآليفهم العروضية ببحري الدائرة الخامسة، المتقارب فالمتدارك.

أما الدارسون المعاصرون فقد بدءوا يتخذون في مؤلفاتهم نمطاً جديداً فيه نوع من التيسير على الدارسين المبتدئين، حيث يبدءون بالبحور ذات التفعيلة الواحدة (الوافر والهزج والكامل والرجز والرمل والمتقارب والمتدارك) ثم البحور ذات التفعيلتين المختلفتين (الطويل والخفيف والسريع، والمديد، والمنسرح والبسيط والمجتث والمقتضب والمضارع).

والدكتور محمد الطويل، ممن اتخذوا هذا المسلك منهجاً، سبقه في هذا النهج دارسون آخرون، منهم على سبيل المثال أستاذنا الدكتور أمين السيد والزميل الدكتور شعبان صلاح.

إضافة إلى ذلك بدأ الدارسون المعاصرون الغوص في بطون دواوين الشعر قديمها وحديثها، ولم يكتفوا بالبيت أو البيتين للاستشهاد على صور أضرب البحور المختلفة، بل أكثروا من الاستشهاد ونوعوا فيه، وتخيروا نماذجهم بحس الأديب المرهف وأذن الشاعر اللاّقطة.

لم يقفوا عند قول القدماء ــ هذا ضرب نادر ــ مستسلمين، ولكنهم استطاعوا أن يضيفوا إلى أمثلة القدماء مقطوعات عدة وإن كانت في إجمالها لا تخرج عن حد الندرة، إلا أنها تثبت مدى معاناتهم في التَّقَصِّي والحصر والتتَبُّع.

ومن هؤلاء الدارسين الزميل الفاضل الدكتور محمد الطويل، الذي أخرج لنا ثمرة جهد طويل من التتبع والدراسة والتحليل والتقصي متمثلاً في كتابه الفتيِّ «في عروض الشعر العربي قضايا ومناقشات».

ويرجع اهتمام الدكتور الزميل بقضايا العروض العربي إلى زمن طويل نشر فيه كثيراً من المقالات والدِّراسات، ونحن وإن كنا لا نوافقه على كثير مما جاء فيها ــ إلا أننا لا ننكر جدِّيَّته. ولا نقلل من جهده، فجهده على أي حال مشكور، وعلمه محمود موفور.

وسوف أتناول في تحليلي للكتاب ونقدي له ثلاثة أمور:

أولاً : موضوعات أوافقه عليها.

ثانياً : مواقف أخالف رأيه فيها.

ثالثاً : مآخذ نأخذها عليه ولا نقره عليها.

أولاً: ما أوافقه عليه :

(١) ذكر الزميل في مقدمة الكتاب «أن العروضيين القدماء، استكمالاً للبحث حيناً، وخضوعاً لأمر الدوائر العروضية حيناً آخر، قالوا بوجود صور لاوجود لها في الشعر العربي، وما كان أغناهم عن الحديث عنها والاكتفاء بما هو موجود فعلاً، وهو كثير...»[١].

نعم .. هذه مقالةُ صدْقٍ .. يجب الاكتفاء بما هو موجود فِعْلاً، وهو كثير، ولا مجال للادِّعاء كل يوم باكتشاف بحور جديدة وصور لم يتكلم عنها عروضيو العرب !!.

أوافقه أيضاً في قوله «والخليل بعمله هذا ــ استقراء الشعر العربي ــ لم يترك شاردة أو واردة لمن بعده، ولم نجد من يقول إن هناك شعراً لا يندرج تحت أوزان الخليل، أو أن هناك من أضاف أوزاناً جديدة، لم يكتشفها الخليل، اللهم إلا ما استحدث زمن العباسيين من أوزان مهملة، لم يكتب لها البقاء، وأحس الناس بُنُبُوٍّ في موسيقاه وظَلَّ هذا العلم هكذا كاملاً غير منقوص، يتدارسه عن السلف»[٢].

ومعنى هذا القول بوضوح شديد، أن الخليل لم يترك فرصة لأن يستدرك عليه أحد، بحراً جديداً، تحت اسم المتدارك كما يدعون[٣]، أو حتى «مخلع البسيط بحر لم يلتفت إليه العروضيون»[٤].

(٢) ضرورة الاعتماد على الإحصاءات في تقرير حقيقة شيوع وزن دون غيره، لذلك أوافقه على ما ذهب إليه في قوله «ولهذا فنحن لا نكاد نتفق مع ما ذهب إليه الدكتور أمين السيد حيث يقول: وقد وردت الاستعمالات الثلاثة ــ للبحر الطويل ــ في الشعر العربي فأكثرها شيوعاً القصائد التي تنتهي أبياتها بالوزن «مفاعلن» والذي يليها من القصائد التي تنتهي أبياتها بالوزن «مفاعي» وأقل الثلاثة وروداً القصائد التي تنتهي أبياتها بالوزن «مفاعيلن»[٥]. ولا ندري على أي أساس بنى كلامه هذا وما هي الأسس التي أوصلته إلى هذا الحكم! وخاصة أنه لم يقدم بين يدي كلامه أية دراسات إحصائية، والحديث عن الكثرة والقلة لا يجدي بدونها»[٦].

هكذا يقرر الزميل ــ وأنا معه في ذلك ــ بأن الحديث عن الكثرة والقلة دون دراسات إحصائية كافية لا يجدي.

ولقد جاء رده على الدكتور أمين السيد باهتاً ضعيفاً لسببين:

الأول : لأن الزميل رجع إلى ديوان سقط الزند للمعري حيث وجد به:

(١) الأبيات التي تنتهي بالوزن مفاعي عدتها ٣٧٦.

(٢) الأبيات التي تنتهي بالوزن مفاعيلن عدتها ٣٧١.

(٣) الأبيات التي تنتهي بالوزن مفاعي عدتها ٢٣٦[٧].

فكيف ــ بالله ــ يقرر هو الآخر حقائق بالرجوع إلى ديوان واحد فرد، قد يكون صاحبة لسبب أو لآخر مغرماً بوزن دون غيره.

الثاني : لأنه رفض إحصائية قام بها الدكتور عبد الرحمن السيد يوضح بها ــ من خلال استقرائه لكتاب الأمالي ــ الشائع من البحور وغير الشائع قائلاً: «ونحن بدورنا لنا على هذا المشروع جملة من التحفظات»[٨] التي ذكر منها: «بداهة هذا المشروع يفتقر إلى المنهج، فليس من المعقول أن نحكم على نتاج خمسة عشر قرناً من الشعر الإسلامي وقبلها على الأقل قرنان في الجاهلية بهذه الطريقة المبتسرة (هكذا) سبعة عشر قرناً، قيل فيها مئات الآلاف من الأبيات، يحكم عليها بكتاب كل ما ورد به سبعة آلاف بيت»[٩].

وإني لأعجب لهذا الأسلوب في تناول الموضوعات أشد العَجَب، فبينما الزميل يبيح لنفسه أن يقرر حقائق بإحصائيات من واقع كتاب واحد من خلال (٩٨٣ بيتاً) وردت فيه على بحر الطويل، ليقرر بها الوزن الشائع من أوزانه الثلاثة لمجرد أنه جاء مناقضاً لما ذكره أستاذنا الدكتور أمين السيد إلا أنه لا يقر الأسلوب نفسه حينما سلكه أستاذنا الدكتور عبد الرحمن السيد، ويحكم على طريقته هذه بأنها «مبتسرة»!!.

(٣) أما بخصوص موقفه المعارض من محاولة جعل المديد صورة من الرمل، ورفضه لكل ما قيل بهذا الخصوص، فإني أوافقه لأن الإيقاع مختلف جداً بينهما[١٠].

(٤) وإني لسعيدٌ جداً أن أراه قد عاد إلى الحق، فوافقني في رأيي حيال قضية الشعر الحر، حيث هاجمني بشدة في مقال نشره بمجلة عالم الكتب الغراء العدد الرابع من المجلد الرابع (ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/يناير ١٩٨٤) وذلك حينما أوردت نصاً للأخفش (سعيد ابن مسعدة ت ٢١٥هـ) يرفض فيه الخروج على أبنية العرب وبحورها، وعقبت عليه بقولي «أعتقد أن قول الأخفش أبلغ ردٍّ على دعاة الشعر ــ الذي يسمونه بالحر ــ في عصرنا الحديث، نعم إن مانسمعه من شعر حديث، كما يدعون ــ ما هو إلا لون من القصور الفكري واللغوي، وضعف عروضي واضح لا نقرهم عليه، بل نرفض كل نماذج تخرج عن البناء التقليدي لأشعار العرب»[١١].

لقد رد الزميل على هذا القول قائلاً: «هذا كلام في غاية الخطورة» ثم قال: «فضلاً عن ذلك فليس مقبولاً أن نقول برفض كل نماذج تخرج عن البناء التقليدى لأشعار العرب، هذه المبالغة لم يعد وقتها»[١٢].

الآن، غَيَّر الزميل رأيه، واقتنع برأيي، يقول رداً على «نازك الملائكة» حينما ادَّعَتْ أن الشعر العربي لحقت به خسائر فادحة بسبب القافية الموحدة، يقول: «والمؤكد أن الشعر العربي مني بخسارة فادحة حقاً، حين أصيب بدعواها هي وغيرها عن الذي يسمونه الشعر الحر»[١٣].

ويضيف بعد ذلك بسطرين «ويعجب الدارس حين يجد أن معظم من هاجموا القافية في العصر الحديث، ينتمون إلى مذاهب بعيدة عن الثقافة العربية والأدب العربي، وأن لهم أهدافاً دون ذلك هم لها عاملون»[١٤].

(٥) الكتاب بعد ذلك، وقبل ذلك، حافل بشتى موضوعات البحور الشعرية والقافية، مكتظ بعدد هائل من نماذج شعرية قديمة وحديثة لكل صور البحور، تدعو كثرتها إلى الملل، فقد أحصيت له ما أورده شواهد للبحور ذات التفعيلة المفردة في إحدى وستين صفحة حيث وجدتها (٩٨٠) بيتاً، وبحسبة بسيطة، يصير نصيب الصفحة الواحدة (خمسة عشر بيتاً) تقريباً، بل قد نتصفح عشر

صفحات ــ مثلاً ــ متتاليات، لا تكاد تظفر خلالها إلا بالسطر أو السطرين بين كل قصيدة وأخرى»[١٥].

وليت الأمر وقف عند هذا الحد، لكن الزميل العزيز رأى إيماناً منه بأهمية الصور التي عثر عليها، ووفاء للوقت الطويل الذي قضاه في البحث عنها، رأى ــ كما يقول[١٦] ــ أن يضيف مجموعة متنوعة منذ العصر الجاهلي حتى اليوم ويضيفها إلى الصفحات من ص ١٤٧ إلى ص ١٦٩، لا يقل نصيب كل صفحة منها عن خمسة وعشرين بيتاً من الشعر.

لقد نظر الزميل ــ بعد هذا الحشد، الذي لم يَهُنْ عليه تركه ــ إلى القارىء من عل، ولم يحاول مساعدته، بالإشارة إلى نوعية الصورة التي عليها الأبيات، حيث كان يجب عليه أن يقول مثلاً «ويقول كثير عزة على الصورة الثانية من بحر كذا ووزنها..» وكأنه يفترض في الجميع تخصصاً دقيقاً في عروض الشعر وقوافيه!!.

ثانياً ــ مواقف أخالف رأيه فيها:

هي مجموعة من القضايا أثار الزميل العزيز نقاشاً حولها، وأوضح فيها رأيه، ولكنا ــ مع احترامنا الشديد لما أبداه من آراء ــ نخالفه رأيه فيها، واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

(١) : قضية الندرة والشيوع في الاستعمال:

لقد وصف الدكتور أنيس بعض صور الشعر العربي بالندرة من حيث الاستعمال، إلا أن هذا الوصف أثار زميلنا العزيز، وجعله يستشيط غضباً، ومن ثم اتهم الدكتور أنيس بالتسرع والخلط والتخبط والغفلة إلى آخر ما يحتفظ به في قاموسه من ألفاظ قاسية عجيبة، ثم يأتي لنا بمجوعة أبيات تثبت أن الشعراء كتبوا على هذه الصور النادرة.. لكني أذكر الزميل العزيز بأن قضية الندرة لا ينفيها حتى توفر مائة بيت أو أكثر قليلاً أو أقل، ثم إن وقوعه على مثل هذا العدد لا يبيح له اتهام الآخرين بالتسرع والغفلة، لأن الندرة مازالت قائمة.

من ذلك ما ذكره الزميل عن الهزج قائلاً: «وهو قديم جداً نظم عليه الجاهليون كالفند الزماني والمهلهل وعدي بن زيد وغيرهم لكنا مع هذا نجد المرحوم الدكتور أنيس يقول: ويظهر أن الهزج تطور لمجزوء الوافر، جاءت به عصور الغناء أيام العباسيين ولم يكن معروفاً أيام الجاهليين..

ويضيف الزميل «وهذ كلام غاية في الخلط والتسرع، فهناك قصائد جاهلية كما قلت للمهلهل والفند الزماني وعدي بن زيد وغيرهم من شعراء الجاهلية على الهزج»[١٨].

وكنت أظن الزميل بعد هذا الاتهام «الفضفاض» للدكتور أنيس، سوف يغمرنا بسيل من قصائد الجاهليين والمخضرمين ــ كما ذكر ــ إلا أنه استشهد على الصورة الأولى من صورتي الهزج بمقطوعة للفند الزماني وأخرى لكمال عبد الحليم مجهولة المصدر والعصر، إلا أنني أعلم أنه شاعر معاصر وليس جاهلياً!!.

والعجيب في الأمر أن الدكتور أنيس ذكر في هامش كتابه موسيقا الشعر (ص ١١١) هامش رقم (١) بعد أن ذكر مقولته عن الهزج ولم يكن معروفاً أيام الجاهليين قال بالنص: «تروى عدة أبيات للفند الزماني مطلعها:

أيا طعنة ماشيخ كبير يفن بالي»

وهو نفس الشاعر الذي استشهد بشعره الزميل العزيز.

أما الصورة الثانية فقد ذكر الدكتور الطويل عنها ما نصه: «أما الصورة الثانية فما أندر ما ورد لها من شعر، فيما وقع تحت يدي من مصادر التراث العربي، ولم أجد عليها إلا ثلاثة أبيات»[١٩]. وهو مع هذا يعترف بعدم صحة خبرها وكذبه واختلاقه.

والسؤال الآن: هل ذكرت يازميل إلا ما ذكره الدكتور أنيس من ندرة صور الهزج قديماً؛ فعلام يكون الاتهام بأن كلامه غاية في الخلط والتسرع؟!!.

(٢): الإقواء خطأ موسيقى:

الإقواء «اختلاف حركة الروي بكسر وضم»[٢٠] وبصورة أوضح «أن يأتي الشاعر بالضم مع الكسر، أو بالكسر مع الضم، ولا يكادون يأتون إقواء بالنصب»[٢١].

مثل ذلك قول الشاعر:

كأن بيوتهم شجر صغار ... بقيعان تقيل بها النعام
حراميون لا يقرون ضيفاً ... ولا يدرون ما خلق الكرام

البيت الأول وقعت فيه كلمة «النعام» فاعلاً مرفوعاً بالضمة.

والبيت الثاني وقعت فيه كلمة «الكرام» مضافاً إليه مجروراً بالكسرة، واختلف العلماء في الرأي أمام ظاهرة الإقواء:

فريق يرى أن الشاعر مرتكبها أخطأ في النحو.

وفريق آخر لا يرى خطأ نحوياً وإنما هو عيب موسيقي.

وفي مقدمة أصحاب الرأي الأول الدكتور أنيس، يقول: «وعندى أنه لو صحت مثل هذه الروايات، يجب أن تعد خطأ نحوياً لا خطأ شعرياً»[٢٢]

ولقد رأى الدكتور رمضان عبد التواب نفس الرأي حينما قال في كتابه «فصول في فقه العربية» قال: «ويمكننا أن نعد من اللحن كذلك، ما يسمى لدى العروضيين بالإقواء، والإقواء في رأي اللغويين المحدثين، ليس في الحقيقة من الخطأ الموسيقي، كما يريد أصحاب العروض أن يحملوه على هذا الفهم، بل هو في الواقع خطأ نحوي»[٢٣].

وسار في نفس الاتجاه زميلنا الدكتور أحمد كشك، حيث عقد

فصلاً في كتابه «القافية تاج الإيقاع الشعري» تحت عنوان: «الوصل والترخص في العلامة» تناول فيه هذه القضية بإسهاب بالغ ومثل لها بأمثلة ضافية، انتهى بعدها إلى أن ما ورد عن الإقواء «يُنبِّىء عن أن الشاعر لم يلتفت في أبياته إلى وجود خطأ نحوي، ومعنى ذلك أن الإيقاع كان محفوظاً لا مساس به فلم ينطق الشاعر في قافيته وصلاً مرفوعاً ليقابله في بيت آخر بوصل مجرور، ولم ينطق وصلاً سمته النصب مع وصل سمته الرفع أو الجر»(٢٤).

هذا ما قاله الزميل الدكتور أحمد كشك في كتابه القيم «القافية تاج الإيقاع الشعري» المنشور بالقاهرة سنة ١٩٨٣م والذي لدى الزميل الطويل منه نسخة بالتأكيد، ومع ذلك لم يُحَاول مناقشته أو الإشارة إليه.

ولقد تناول الزميل العزيز الدكتور شعبان صلاح القضية بإسهاب أيضاً في كتابه القيم «موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع» سرد فيه وجهتي النظر ــ من يرى أنه خطأ نحوي، ومن يرى أنه خطأ موسيقي(٢٥).

وبعد أن ناقش هذين الرأيين قال «وإني لأميل ميل أصحاب الرأي القائل بأن الإقواء عيب نحوي لا عروضي. وأن الشاعر كان يراعي موسيقى الشعر التي هي أوضح في أذنيه من حركات النحو»(٢٦). ودلل على رأيه بحديث واف وشواهد عدة.

كل هذه الدراسة أوردها الزميل الدكتور شعبان صلاح في كتابه «موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع» المنشور في القاهرة (عام ١٩٨٢)، ولم يعلق زميلنا الدكتور محمد الطويل أو يناقشه خلال عرضه للقضية في كتابه «في عروض الشعر العربي» ولا يستطيع الزميل أن ينكر معرفته بالكتاب، وقد قام بنقده وتحليله في مقال نشر في مجلة الدارة.

يرى الدكتور الطويل أن الإقواء من قبيل الخطأ الموسيقى، ولقد أورد في كتابه ــ موضوع التحليل ــ رأي الدكتور أنيس والدكتور رمضان عبد التواب، الذي سبق أن ذكرنا أنهما يعتبران الإقواء من قبيل الخطأ النحوي وعقب عليهما قائلاً: «والحقيقة أنني لا أكاد أفهم إصرار أستاذينا على أنه من الممكن أن يخطىء الشاعر في اللغة ولا يخطىء في الموسيقى»(٢٧).

ونحن أيضاً لا نكاد نفهم إصرار الزميل على أن الشاعر يخطىء في الموسيقى ولا يخطىء في النحو؟!.

والحقيقة ــ كل الحقيقة ــ أن الشعراء، وخاصة الفحول منهم لا يمكن تصورهم جهلاء بالنحو، كما لا يمكن تصورهم جهلاء بموسيقى الشعر، الذي هو صنعتهم.

ولقد ناقشت الزميل أحمد كشك، في رأيه الذي ذكرناه حينما حللت كتابه «القافية تاج الإيقاع الشعري» والذي نشر بمجلة عالم الكتب المجلد الخامس العدد الرابع ربيع الآخرة ١٤٠٥ ــ يناير ١٩٨٥م ذكرت فيه، أن الإقواء لم يكن من قبيل الخطأ النحوي ولا الخطأ الموسيقي، والأقرب في نظري أحد أمرين:

١ ــ إما أن الشاعر كان يسكن الرَّوِيَّ، مثال ذلك ما أورده ابن القطاع في الكتاب البارع في علم العروض قال: «وذكر الزجاج أنه جاء في ضرب الوافر المقطوف القصر، وأنشد في ذلك عن عبدالله ابن مسلم بن قتيبة، قول العلاء بن المنهال الغنوي في شريك بن عبد الله القاضي قاضي الكوفة:

فليت أبا شريك كان حَياً ... فيقصر حين يُبْصِرُهُ شريكْ
ويترك من تَدَرُّبِهِ علينا ... إذا قلنا له هذا أبُوكْ

لأنه لو أطلق القافية، لأقوى بالمنصوب، وهذا لا يجوز إلا في قول ضعيف»(٢٨).

وهكذا جاء الضرب على (فَعُولْ) بتسكين اللَّام، وخلص الشعر من تهمة الإقواء. ويشير الدكتور شعبان إلى هذا الرأى فيقول: «ولا ننسى أن نشير أيضاً إلى وجاهة الرأي الثالث الذي يمكن أن يحل كثيراً من المواقف، التي وقعت فيها أمثال هذه الظاهرة، فمن المعقول جداً أن يكون الحارث بن حلزة قد نطق معلقته بسكون حرف الروي فقال:

آذنتنا ببينهــا أسمــاء ... رُبَّ ثَاوٍ يمل منه الثواءْ

ثم قال:

فملكنا بذاك الناس حتى ... ملك المنذر بن ماء السماءْ

إلى آخر ما استشهد به»(٢٩).

٢ ــ وإما أن الشاعر ــ كما يقول الزميل العزيز ــ كان ينشد القصيدة بيتاً بيتاً، ولذا شاع في الشعر الجاهلي وحدة البيت.

قال ذلك وهو لا يدري أنَّ هذا القول ضد قضيته، حيث قال بالحرف الواحد: «ولعل في هذا النص للأخفش إفادة في هذه القضية، يقول: وقد سمعت مثل هذا من العرب كثيراً.. قل قصيدة ينشدونها إلا وفيها الإقواء، وكل بيت منها شعر على حياله»(٣٠).

ويعقب الزميل «فهذه الجملة الأخيرة قد تفيدنا في هذه النقطة ــ يقصد «هذا الموضوع» ــ فقد كانوا ينشدون القصيدة بيتاً بيتاً، وكل بيت منها شعر على حياله(٣١).

نعم.. لقد أفادنا قول الأخفش في هذا الموضوع إفادة جعلتني أمسك عن الاسترسال، فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب. فقد وصى الأخفش بأنه يجب أن ينظر إلى كل بيت على حدة فلا علاقة للبيت بما قبله أو بعده، فكل بيت قصيدة مستقلة.

وعلى كل، فإن ماذكرته هو مجرد اجتهاد بالرأي، يدعم بآراء أخرى في نفس المجال، وفي الوقت نفسه أعتقد بأن خلافنا في هذه

القضية يثريها.

ثالثاً ــ مآخذ نأخذها على الزميل:

(١): لم يسلم أحد من أساتذتنا الكبار من تجريح وتوبيخ، وما منهم إلا وقد طاله سوط التخطئة والاتهام بالمبالغة والتسرع والخلط، أذكر من هؤلاء الأجلاء أساتذتنا الدكتور إبراهيم أنيس، الدكتور أمين السيد، الدكتور عبد الرحمن السيد، الدكتور شوقي ضيف، الدكتور شكري عياد، الدكتورة بنت الشاطىء، الدكتور المختون، الدكتور أحمد علم الدين الجندي، الدكتور سيد غازي وكذلك الأخوة الزملاء الدكتور أحمد كشك والدكتور محمد عامر والدكتور عبد اللطيف عبد الحليم.

ولقد حصرت له هذه الألفاظ التي شاعت في الكتاب مثل:

«التسرعات» ص ٣٤، «آراء وروايات غريبة» هامش ص ٧ «المبالغة الممقوتة» ص ٩، «دراسة قاصرة» وهذا المشروع يفتقر إلى المنهج ص ١١، «كلام غاية في الخلط والتسرع» ص ٢٨، «لا عذر للدكتور أنيس» ص ٣٨، و«المبالغة» ص ٦٢، و«كلام عجيب» ص ٦٣، و«لا نكاد نتفق» ص ٧٦، و«ليس صحيحاً ما يقوله» ص ٨٢ و«خطورة الآراء المتسرعة» ص ٨٩، و«كلام غاية في الخلط والاضطراب» ص ٩٤، ص ١٣٢، ١٩١، ص ١٩٢ و«إطلاق أحكام دون دليل» ص ٩٧، و«أغرب تعليل» ص ١٨٥ وتعليلات «بلقاء» ص ١٨٦ و«مولع بتعليق القضايا على مجهول» ص ٩٧، و«هذا كلام غير دقيق» هامش ص ١٠٥، و«لا أفهم هذا الكلام» ص ١١٠، وعن كلام أحدهم بأنه «يهذي» ص ١١٢ و«أنا أقول للدكتور أنيس كلا» ص ١٢٧، و«للأسف هذا كلام غير صحيح» ص ١٤٠ و«هكذا نجد أحكاماً عامة، تعوزها الدقة والرجوع إلى الإحصاءات» ص ١٢٨، و«ثم تبلغ مبالغة الدكتور أنيس ذروتها» ص ١٣٢.

والغريب حقاً، أن كثيراً من القضايا، التي اتهم فيها أساتذته وزملاءه بالتسرع والخلط والمبالغة ولاحقهم بالاستنكار، جانب التوفيق فيها زميلنا العزيز، بينما كان الحق مع من تهجم عليهم، فكيف يكون موقفه أمامهم وأمام دارسي العروض؟.

سوف نوضح ذلك في النقاط التالية:

(٢): في دراسته لبحر المقارب ذكر له ست صور[٣٢]، منها «الصورة الرابعة» وهي:

«فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فع»

ويعقب الزميل العزيز[٣٣] «هذه صور المتقارب كما نص عليها العروضيون، وكما وردت في الشعر القديم، ولكنا نجد المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس يقول عن الصورة الرابعة: لا نكاد نظفر بمثل واحد لهذا النوع من الشعر الحديث، ويظهر أن شعراءنا المحدثين لم يستسيغوه، أو لم يألفوه، فليس بينهم من طرقه في شعره، بل لا نكاد نظفر بقصيدة واحدة لشاعر قديم جاءت من هذا النوع، وكل الذي عثرت عليه في أثناء جولاتي في دواوين الشعر قديمها وحديثها هو مثل واحد لا يزيد على عدة أبيات جاءت في الأغاني للسيد الحميري وهي:

أتتنا تزف على بغلة	**وفوق رحالتها قُبَّة**
زبيرية من بناتِ الذي	**أحلَّ الحرام من الكعبة**
تزف إلى ملك ماجد	**فلا اجتمعا وبها الوجبة**

ثم يعقب الزميل قائلاً: «ثم ينتهي سيادته إلى أن هذا النوع الرابع إن صحت روايته قد انقرض، ولم يعد مما يطرقه الشعراء المحدثون وواجبنا الآن ألا ننظم عليه» وقبل أن أسترسل في بقية الموضوع، أنبه إلى شيئين:

١ ــ أن كلمة «المحدثون» في الكلام السابق لم ترد في كتاب الدكتور أنيس «موسيقا الشعر» راجع ص ٨٩.

٢ ــ أن هذه الأبيات التي ساقها الدكتور أنيس وزنها هو:

فعولن فعولن فعولن «فعو» فعولن فعولن فعولن «فع»

أي لم يأت العروض فيها على «فعولن».

وعلى الرغم مما نبهنا إليه، فإن الزميل يعلق على قول الدكتور أنيس قائلاً:

«هذا ما يقوله المرحوم الدكتور أنيس، وكلامه هذا يحمل دعويين: أما الأولى: فهي إنكار وجود هذا النوع من الشعر القديم، **وهي مبالغة بلا شك، وإن كنا لم نعد ندهش لادعاءاته بالندرة في صور البحور، لأننا قد تعودنا على ذلك منه، موهماً القارىء أنه قد أحاط بالتراث وقرأ ما لم يقرأه أحد»**.

وبعد ذلك يقول: «فإن معظم ما وقع إلينا في المرجع الذي رجع إليه الدكتور أنيس، ووجد فيه النموذج الوحيد على حد قوله»[٣٣] وأورد الزميل الشواهد الآتية ليدلل على مبالغة الدكتور أنيس الشديدة من جهة، وعلى عدم ندرة الصورة المذكورة، فقال: «ففي الأغاني ٢١٨/١٢ وردت هذه الأبيات:

ورد شاعر إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فأنشده[٣٤]:

رأيت أبا جعفر في المنام	**كساني من الخز ذراعة**
شكوت إلى صاحبي أمرها	**فقال ستؤتى بها الساعة**
سيكسوكها الماجد الجعفري	**ومن كفه الدهر نفاعة**
ومن قال للجود لا تعدني	**فقال لك السمع والطاعة**

والمتأمل لهذه الأبيات يجد البيت الثاني والرابع جاء عروضها

على «فعو».

فعولن فعولن فعولن فعو فعولن فعولن فعولن فَعْ

ولكي لا أكون متجنياً على الزميل الذي اتهم الدكتور أنيس بالمبالغة وأنه يوهم القارىء بأنه قد أحاط بالتراث، بينما الأبيات وقعت للزميل عفواً دون قصد أو تتبع، سوف أسوق نماذج أخرى مما استشهد به لترى مدى تجنيه على أساتذته. يقول الزميل[٣٥]:

«وفي المرجع نفسه ١٠١/٢٠ وردت الأبيات: قال ابن أبي عيينة: محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة:

هنيئاً لدُنْيا هنيئاً لَهَا قدوم أبيها على البَصْرَهْ

على أنها أظهرت نخوةً وقالت لي الملك والقُدْرَهْ

فيا نور عيني كذا عاجلاً عَلَيَّ تَطَاوَلْتِ بالإمْـرَهْ

وهي أبيات، كما نرى، جاء ضربها على «فع» والعروض على «فعو» وهي على خلاف الضرب الرابع من المتقارب الذي يأتي كما نعلم على:

فعولن. فعولن. فعولن. فعولن فعولن. فعولن. فعولن. فع

ولم يكتف الزميل الفاضل بهذا النموذج فأضاف مستشهداً بنص لابن عيينة أيضاً هو:

«ألا ما لعينك معتلة وما لدمـوعك منهلـه

وكيف بجرجان صبر أمري وحيد بها غير ذي خله»[٣٦]

وهي أيضاً جاء ضربها على «فع» وعروضها على «فعو» !!

ومثل لنا الزميل العزيز — إضافة إلى ما سبق — بأبيات أربعة لابن الرومي[٣٧] وببيتين منسوبين إلى الخليل[٣٨] وخمسة أبيات للبحتري وأربعة أبيات وردت في نوادر القالي[٣٩] وجميعها جاء الضرب فيها على «فع» والعروض على «فعو» إلا البيت الثاني من أبيات البحتري[٤٠] والثالث من الأبيات التي وردت في نوارد القالي.

ولا أدري: لماذا أباح الزميل لنفسه السخرية من عالم من أفضل علمائنا المعاصرين، وأستاذ الأساتذة أجمعين؟

هل هذه الأبيات، على الصورة الرابعة للمتقارب التي أنكرها الدكتور أنيس؟ وعلى فرض أنها على الصورة الرابعة فهل لأجل إنكارها يستحق أن يصب على رأسه جام غضب زميلنا العزيز؟

أي مبالغة فيما قال؟ ومن الذي يحاول إيهامنا بأنه قد أحاط بالتراث وقرأ ما لم يقرأه أحد؟!

والعجيب حقاً، أن الأخ الزميل يستنكر على الدكتور أنيس دعوته إلى الشعراء بعدم النظم على هذه الصورة الرابعة، بينما هو نفسه، لم يجد من الشعر الحديث ما يمثل به لهذه الصورة!!

لذا نراه يتركها هملاً دون تمثيل في كتابه، بينما قد مثل للصورة الأولى والثانية والثالثة والخامسة[٤١].

فما الخطيئة التي ارتكبها الدكتور أنيس، حتى يقابل بأقوال الزميل «وهي مبالغة بلا شك» و«وإن كنا لم نعد ندهش لادعائه بالندرة في صور البحور» و«لأننا قد تعودنا ذلك منه» و«موهماً القارىء أنه قد أحاط بالتراث وقرأ مالم يقرأه أحد»[٤٢]؟!.

هكذا بكل تعسف وظلم يحكم على الدكتور أنيس، رائد حقل علم اللغة في العصر الحديث، بأنه قد عودنا الخلط والتسرع في كل أفكاره!!.

(٣): ادعاء الزميل بأنه قد عثر على صورة جديدة للبحر المديد غير الصور الست التي له.. مدعياً بأنه لم يشر إليها أحد من القدماء.

يقول الزميل بالنص: «ولكن اللافت للنظر أني عثرت أثناء قراءاتي في التراث العربي على صورة أخرى للمديد لم يشر إليها أحد من القدماء — فيما أعلم — إذ جاءت العروض على فاعلن والضرب على فاعلاتن ، وجدت عليها بيتين للمهلهل بن ربيعة، وردا في كتاب الأغاني ٥٦/٥، يقول:

لست أرجو لذة العيش ما أزمت أجلاد قد بساقي

جللوني جلد حوب فقد جعلوا نفسي عند التراقي[٤٣]

وهذا محض افتراء، وادعاء بما لايليق، لسببين:

الأول: أورد ابن القطاع في «الكتاب البارع في علم العروض»[٤٤] ما نصه: «وحكى الأخفش ضرباً تاماً للعروض المحذوفة. شاهده:

لم يكن لي غيرها خلة ولها ما كان غيري خليلا

لم تزل للعين كل ما غبطة حتى رأتني قتيلا

والضرب في البيتين — كما هو واضح — على «فاعلاتن» والعروض فيهما على «فاعلن».

ولا يستطيع الزميل العزيز أن ينكر معرفته بالكتاب البارع أو قراءته له، وهو الذي تكرم علينا بتحليله ونقده على صفحات مجلة — عالم الكتب الغراء.

ثانياً: أن من يدعي أن له قراءات في التراث العربي، لا يمكن أن يجزم بأن القدماء لم يلتفتوا إلى ما قد التفت إليه.

وهذا هو زميلنا الدكتور شعبان صلاح يشير — بتواضع العلماء — بعد أن جعل هذه الصورة ضرباً سابعاً للمديد في كتابه «موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع». يشير قائلاً: «لكن الإنصاف يقتضينا أن نذكر للصديق الدكتور محمد الطويل، أنه استطاع العثور على أبيات لهذه الصورة، سوى البيتين السابقين»[٤٥].

ولكنه بعد أن أورد النماذج قال بصراحة:

«لكن النماذج على أية حال أمثلة غير كافية لنفي الشذوذ عن هذه الصورة، وإن كانت إمكانة من الإمكانات المتعددة لبحر المديد»[٤٦].

(٤): وتسببت أحكامه التي يطلقها على أساتذته دون تحقق، في ذلك المطب الهائل الذي وقع فيه.

في هامش رقم (١) من الصفحة الثلاثين من كتابه يقول: «أنكر الدكتور أمين السيد الصورتين الثالثة والتاسعة ــ يقصد من صور الكامل ــ ولم يشر إليهما في كتابه، راجع ص ٤٨، ص ٥٢ من كتابه «في علمي العروض والقافية»».

هذا ما قاله الزميل العزيز.

لكنا برجوعنا إلى كتاب أستاذنا الدكتور أمين السيد (ص ١٢٢ و ١٢٣، وص١٢٤، وص ١٢٥) وجدناه قد ذكر للكامل التام خمسة أضرب، وفيها طبعاً الصورة الثالثة وهي للتأكيد على:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن فُعْلُن

وشاهدها عنده:

لمن الديار برامتين فعاقل درست وغير آيها القَطْرُ

ووجدناه قد ذكر للكامل المجزوء أربعة أضرب، والصورة الرابعة هنا، هي التاسعة التي يقصدها الزميل والتي ادَّعى إنكار أستاذنا الدكتور أمين لها، وصورتها على:

متفاعلــن متفاعلــن متفاعلــن مُتَفَاعِــلْ

وشاهدها عنده :

وإذا همو ذكروا الإسا (م) ءَةَ أكثروا الحَسَنَاتِ

ومجموع الأضرب هكذا تسعة أضرب.

فمتى كان الإنكار؟ وكيف؟

أجبنا وقاك الله السوء!

(٥): اكتشاف بحر جديد (مخلع البسيط):

في دراسة الزميل الدكتور الطويل للبحر البسيط، وقف طويلا أمام الصورة الرابعة منه ــ وهي الثانية من مجزوء البسيط ــ والتي تسمى «مُخَلَّعَ البَسِيطِ» ذكر فيها أن للمخلع عنده صوراً كثيرة، قال:

«ولكن هذا المخلع له عندنا صور كثيرة، لقد ورد في التراث الشعري بالصور التالية:

(١)	مستفعلن	فاعلن	فعولن	مستفعلن	فاعلن	فعولن
(٢)	مستفعلن	فاعلن	فعـل	مستفعلن	فاعلن	فعولن
(٣)	مستفعلن	فاعلن	فعولن	مستفعلن	فاعلن	فعـل
(٤)	مستفعلن	فاعـل	فعـل	مستفعلن	فاعلن	فعـل
(٥)	مستفعلن	فاعلن	فعـل	مستفعلن	فاعلن	فعولْ
(٦)	مستفعلن	فاعلن	فعولن	مستفعلن	فاعلن	فعولْ

ولقد مثل لنا بشواهد عدة على هذه الصور المختلفة[٤٦]. قال في نهايتها: «أعتقد أننا بذلك نكشف بحراً جديداً (كذا ببساطة) ونضعه في إطاره الصحيح»[٤٧].

ولقد فوجئت ــ وسوف يفاجأ مثلي كثيرون ــ بأن زميلنا الطويل لم يكن له فضل سبق في اكتشاف هذا البحر، إن جاز لنا أن نسميه بحراً ــ بل سبقه إلى هذا زميلنا الفاضل الدكتور شعبان صلاح، في كتابه (موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع) الذي تجاهله الزميل، ولم يورده حتى في مصادره ولم يشر إليه حتى بكلمة واحدة. وكأنه لا يعرف كتاباً بهذا العنوان لهذا الزميل، ولكني أؤكد أن الزميل الدكتور الطويل يمتلك نسخة من الكتاب المذكور، بل إنه ــ كما سبق أن ذكرت ــ كتب عنه مقالاً، نشره في مجلة الدَّارة.

وإن القارىء ليكاد يعجب معي حين يرى شدة التطابق بين الزميلين في تناولهما للموضوع، أسلوباً وشواهد ومصادر وكدت أتهم الدكتور شعبان، إلا أن كتابه صدر في عام ١٩٨٢م بينما كتاب الزميل الطويل لم يصدر إلا عام ١٩٨٥م، بل منذ شهور لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة على وجه التحديد.

ولكي أكون منصفاً، سوف أسوق الدليل التالي:

(١): يقول الدكتور شعبان: «أما ما اشتهر من مجزوء البسيط، حتى كاد من شهرته يصبح بحراً بمفرده، فهو مايسمى بالمخلع، وهو عبارة عن الصورة الرابعة التي سبق ذكرها، وقد حذف من كل من عروضها وضربها ــ بعد القطع ــ الثاني الساكن، وهو الخبن، وقد عرفت هذه الصورة بين دارسي العروض ومبدعي الشعر باسم مخلع البسيط»[٤٩].

أما عن صور مخلع البسيط فإننا نرى الدكتور شعبان يمثل لها بالشواهد الآتية:

(١): يقول عن الصورة الأولى منه:«وعلى هذه الصورة ورد قول أبي العتاهية...»

الله أعلى يداً وأكبر والحق فيما قضى وقَدَّر[٤٩]

وهي كما ترى على الصورة الأولى (مستفعلن فاعلن فعولن ... مرتين).

(٢): ويقول عن الصورة الثانية:

«وأما الضرب في الصورة الثانية، فيكون مقطوعاً مخبوناً، كالصورة المشهورة، فتصير مستفعلن إلى (متفعل) وتنقل إلى (فعولن)»[٥٠] علماً بأن العروض على وزن فعل (فعو).

«وبيته: **إن شواء وتشوة وخبب البازل الأمون الأمون**»

ويضيف الدكتور شعبان: وتكملة القصيدة التي أولها البيت السابق كما وردت في شرح الحماسة:

يَجْشِمها المَرْءُ في الهوى مسافة الغائط البطين
والبيض يرفلن في الدمى في الرَّيْطِ والمُذْهَبِ المَصُون[٥١]

إلى آخر المقطوعة التي عدتها ثمانية أبيات:

وهي هي نفس القطعة التي يستشهد بها الزميل الدكتور الطويل، وقد استشهد بستة أبيات فقط منها، وقد أورد المصدر على أنه شرح الحماسة ١١٣٧/٣[٥٢]

(٣): وعلى الصورة الثالثة يقول الدكتور شعبان: «ومن الصور المستحدثة كذلك، أن يأتي للعروض السابقة ــ يقصد التي وزنها فعولن ــ ضرب أحذ مخبون (فعو)، ويمثل ذلك قصيدة للعقاد تحت عنوان (عيش العصفور) في أربعة وعشرين بيتاً ختامها:

لم يخف عن أعين الليالي ولا توارى من الصغر
حبائل الدهر قانصات من طار أو غاص أو خطر[٥٣]

إلى آخر ما استشهد به وعدده أربعة أبيات.

ويستشهد الدكتور الطويل بالقصيدة نفسها إلا أنه بدأها من أولها فقال: «وعليها أيضاً وردت قصيدة (عيش العصفور) للعقاد، يقول فيها:

حط على الغصن وانحدر أقل من لمحة البصر
مفرداً قط ما توانى مرفرفاً قط ما استقر[٥٤]

الخ ما استشهد به وعدده أربعة أبيات أيضاً.

والعجيب أن الدكتور شعبان استشهد بأبيات لحفصة بنت الحاج (من شواعر القرن السادس الهجري) عدتها خمسة أبيات، ومنها:

ياأظرف الناس قبل حال أوقعه نحوه القدر
عشقت سوداء مثل ليل بدائع الحسن قد ستر[٥٥]

الخ...

وقد استشهد بها الدكتور الطويل أيضاً، وبنفس الأبيات والعدد[٥٦]

(٤): أما الصورة الرابعة، فهي التي يقول عنها الدكتور شعبان «ولكن بعض العروضيين استدرك للمخلع صورتين أخريين، تكون في كلتيهما العروض حذاء مخبونه (فعو) بدلاً من مستفعلن، فحذف منها الوتد المجموع، وهو الحذذ، ثم الثاني الساكن، وله ضربان: الضرب الأول، مثل العروض (فعو) وبيته:

عجبت، ما أقرب الأجل منا، وما أبعد الأمل[٥٧]

وطبعاً هي الصورة الرابعة، عند الدكتور الطويل، وهي التي يقول عنها (ضربها وعروضها على فعل)[٥٨].

ولقد استشهد الدكتور شعبان لهذه الصورة أيضاً بأبيات من قصيدة العقاد «الموت في الكرى» تخير منها:

أبصرت بالموت في الكرى عميان لا يخطىء العدد
عميان حتى لما ترى عيناه ما اغتال أو رصد[٥٩]

ولقد أورد الدكتور الطويل نفس الأبيات من نفس القصيدة شاهداً على نفس الصورة، بزيادة بيت واحد على ما تخيره الدكتور شعبان[٦٠].

(٥): والصورة الخامسة: وهي التي يقول عنها الدكتور شعبان: «أما العروض الحذاء المخبونة، فورد لها ضرب على وزن فعول» ويعني بذلك أن العروض على «فعو» والضرب على «فعول» ــ و«فعو» هي التي يعني بها الدكتور الطويل «فعل» ــ ويضيف الدكتور شعبان «ويمثل ذلك قول العقاد تحت عنوان «سنة جديدة»:

أدركنا موكب السنين في موكب الحب سائرين
والحب من يغش ركبه يُساير النجم كل حين

إلى آخرها، وأورد منها سبعة أبيات[٦١].

وأوردها الدكتور الطويل نفسها واستشهد منها بنفس الأبيات ما عدا البيت الرابع فقد اختزله[٦٢].

(٦): وعلى الصورة السادسة وهي ذات الضرب «فعول» والعروض «فعولن» قد أورد الدكتور شعبان قصيدة للعقاد عنوانها «أيعشقون» أورد منها:

أيعشق الناس يا حبيبي هيهات بل تكذب العيون
إن لم يحيوك ياحبيبي واعجباً كيف يعشقون

وقد أورد منها أربعة أبيات[٦٣] أوردها الدكتور هي نفسها بعددها شاهداً على نفس الصورة، وقد أضاف شاهداً آخر لابن زمرك[٦٤].

ولعلي أطلت في عرض هذه القضية، ولكني أردت وضع الأمور في نصابها، فليس لزميلنا الدكتور من فضل إلا أنه عرض القضية بشكل مرتب منسق، دون أن يشير لصاحب الفضل والجهد بشيء.

بل إنه يعترف صراحة في كتابه بأن الأستاذ الحساني عبدالله قد أحس بأن مخلع البسيط بحر مستقل حيث يقول: «وأشار الحساني إلى ذلك أيضاً، إشارة عابرة في مقدمة ديوانه حيث يقول: وأضفنا مخلع البسيط لأنه في الحقيقة بحر مستقل، وإن ألحق بالبسيط»[٦٥]. والسؤال له الآن : هل مازلت تعتقد بأنك تكشف بحراً جديداً. وتضعه في إطاره الصحيح؟!.

(٦): وصف أساتذته بأن كلامهم غير دقيق والحقيقة غير ذلك:

كثرت هذه الأوصاف لكثير من أساتذتنا، والحقيقة أنهم ظُلِمُوا بهذا الوصف، وسوف أسوق لذلك مثالاً واحداً فقط لأبين للزميل أن كل إنسان قد يخطىء لكن الخَطأ أنْ نَفْهَمَ كلامهم خطأ، ثم نحكم بناء على هذا الفهم بأن كلامهم غير دقيق.

يقول الزميل العزيز ص ١٠٥: «ويقول زميلنا الدكتور أحمد كشك ــ وقد دَرَّسَ له الدكتور كشك سنتين دراسيتين في كلية دار العلوم

ـ عن السريع: إنه متماثل النغم، حيث إن تفعيلاته واحدة مكرره، وتلك صوره:

الصورة الأولى:

أزمان سلمى لا يرى مثلها (م) الراؤن في شام ولا في عراق

وتقطيعه هكذا:

مستفعلن مستفعلن تفعلن مستفعلن مستفعلن تفعلان

فنحن بصدد تفعيلة واحدة مكررة، وإن أصابها الحذف عند نهاية الإطار عروضاً وضرباً».

ولكن الزميل الدكتور الطويل يعلق على هذا القول في الهامش قائلا: «هذا الكلام غير دقيق، العروض أصابها الحذف حقاً، لكن الضرب أصابه الحذف والزيادة معاً».

وأنا أسأله: هل فهمت كلام الدكتور كشك حتى تصفه بأنه غير دقيق؟ ثم أليست، تفعلان هذه (مفعلات) وأصلها «مفعولات» إحدى مكونات البحر السريع، حيث يتكون أساساً من (مستفعلن مستفعلن مفعولات) مرتين، ومفعولات هذه تتحوّل في الصورة الأولى إلى فاعلن في العروض وإلى (فاعلان) في الضرب، وهي كما ترى داخلها الحذف، وليس فيها زيادة كما يرى الدكتور الطويل.

هذا بالإضافة إلى كثير جداً من الأخطاء المطبعية والإملائية وترك وضع علامة (م) في وسط البيت المدور، ما يضيق المجال عن سرده وذكره. ولكن في الحقيقة بالرغم من وقوع معظمها من الناسخ إلا أن الزميل مسئول معه مسئولية تضامنية، لأن المفروض فيه أنه قد راجع الكتاب قبل أن يأذن بالطبع النهائي.

وأخيراً.. فأرجو أن يتسع صدر زميلنا الكريم لنا، فكل ما أردناه، أن نقنعه بأن كل إنسان معرض للخطأ، ومن الفضل أن نجد للمخطىء عذراً، غير متخذين ذلك وسيلة للتجريح والتوبيخ والسخرية، ثم إن التطاول على أساتذتنا ومحاولة هدمهم، لن يجعل منا كباراً.

ورغم كل هذا يجب أن نسجل للزميل العزيز جهده الضّخم في تأليف وجمع هذا السفر النفيس، ولقد كان موضوعياً في قضايا عدة، أما هذه الهنات فما أندر من ينجو منها، فتحية للزميل العزيز، وتهنئة، فقد كان كتابه مؤذناً بمولد نهج جديد لا يركن إلى التقليد، وإنما إلى التمحيص والتدقيق والمناقشة الدقيقة الجادة.

وبقدر قيمة العمل، تكون المناقشات التي يثيرها، وأقول له كما قال لي قبلاً :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب**﴾ «صدق الله العظيم».

الهوامش

(١) في عروض الشعر العربي ص١.

(٢) المصدر السابق ص ٨.

(٣) فندنا هذا الزعم وأثبتنا أن الخليل يعرف بأمر المتدارك في مقدمة تحقيقنا لكتاب العروض للأخفش (تحت الطبع).

(٤) زوبعة حاول إثارتها صديقنا الدكتور محمد الطويل حيث نشر مقالاً تحت العنوان السابق في مجلة الفيصل.
ولقد أعد الدكتور أحمد كشك مقالاً سوف ينشر فند فيه دعواه.

(٥) في علمي العروض والقافية د. أمين السيد ص ٧٠.

(٦) في عروض الشعر العربي ص ٧٦.

(٧) المصدر السابق ص ٧٦.

(٨) المصدر السابق ص ١٠.

(٩) المصدر السابق ص ١١.

(١٠) المصدر السابق ص ١١٧.

(١١) البارع في علم العروض ص ٤٧.

(١٢) مجلة عالم الكتب المجلد الرابع.

(١٣) في عروض الشعر العربي ص ١٩٢.

(١٤) المصدر السابق ص ١٩٢.

(١٥) انظر مثلاً من ص ٦٢ إلى ص ٧٢.

(١٦) انظر ص ١٤٧ السطر الخامس.

(١٧) انظر عروض الشعر العربي ص ١٤٧ وما بعدها حتى ص ١٦٩.

(١٨) في عروض الشعر العربي ص ٢٨.

(١٩) المصدر السابق ص ٢٩.

(٢٠) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع ص ٣٢٢.

(٢١) القافية تاج الايقاع الشعري ص ١٠٣.

(٢٢) موسيقى الشعر ٢٦١.

(٢٣) فصول في فقه العربية ص ٧٥.

(٢٤) القافية تاج الإيقاع الشعري ص ١٠٦.

(٢٥) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع ٣٢٢.

(٢٦) المصدر السابق ص ٣٢٤.

(٢٧) في عروض الشعر العربى ص ١٩٧.

(٢٨) كتاب البارع لابن القطاع ت: أحمد عبد الدايم ص ١١٧.
(٢٩) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع ص ٣٢٤.
(٣٠) في عروض الشعر العربي ص ٢٠٢.
(٣١) المصدر السابق.
(٣٢) في عروض الشعر العربي ص ٦١.
(٣٣) المصدر السابق ص ٦١.
(٣٤) المصدر السابق ص ٦٢.
(٣٥) المصدر السابق ص ٦٢.
(٣٦) المصدر السابق ص ٦٢.
(٣٧) المصدر السابق ص ٦٢.
(٣٨) المصدر السابق ص ٦٣.
(٣٩) المصدر السابق ص ٦٣.
(٤٠) المصدر السابق ص ٦٣.
(٤١) المصدر السابق ص ٦٣ ومابعدها.
(٤٢) المصدر السابق ص ٦٢.
(٤٣) المصدر السابق ص ١٠٩.
(٤٤) كتاب البارع في علم العروض ط٢ ص١٠٩.
(٤٥) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع ص ٢٦٦.
(٤٦) المصدر السابق ص ٢٦٧.
(٤٧) في عروض الشعر العربي ص ١٣٣.
(٤٨) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع ص ١٥٨.
(٤٩) المصدر السابق ص ١٥٨.
(٥٠) المصدر السابق ص ١٦١.
(٥١) المصدر السابق ص ١٦١.
(٥٢) في عروض الشعر العربي ص ١٣٤.
(٥٣) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع ص ١٦٦.
(٥٤) في عروض الشعر العربي ص ١٣٤.
(٥٥) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع ص ١٦٨.
(٥٦) في عروض الشعر العربي ص ١٣٤.
(٥٧) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع ص ١٦٠.
(٥٨) في عروض الشعر العربي ص ١٣٣.
(٥٩) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع ص ١٦.
(٦٠) في عروض الشعر العربي ص ١٣٥.
(٦١) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع ص ١٦٨.
(٦٢) في عروض الشعر العربي ص ١٣٥.
(٦٣) موسيقى الشعر العربي بين الاتباع والابتداع ص ١٦٢.
(٦٤) في عروض الشعر العربي ص ١٣٦.
(٦٥) المصدر السابق ص ١٣٨.

تصحيح واعتذار

تعتذر مجلة عالم الكتب إلى قرائها الكرام عن الخطأ الذي وقع في ص ٤٦٣ من العدد الرابع ــ المجلد السابع، حيث ورد العنوان على النحو التالي :

الشعر الجاهلي لمحمد عبد المطلب

في حين أن الصواب هو

اتجاهات النقد الأدبي في القرنين السادس والسابع الهجريين لمحمد مصطفى

كما نأمل تصحيح المدخل على الشكل التالي :

مصطفى، محمد عبدالمطلب /اتجاهات النقد الأدبي في القرنين السادس والسابع الهجريين.ــ بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٤م.

ونشكر الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع الذي نبّه إلى هذا الخطأ.

قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى

ناصر محمد السويدان
أستاذ مساعد في قسم المكتبات والمعلومات
كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تمهيـــد :

حتى أواخر السبعينات الميلادية (التسعينات الهجرية) لم تظهر قوائم رؤوس موضوعات عربية مكتملة. وكان غياب القوائم إحدى الصعوبات في سبيل تطور المكتبات ومراكز المعلومات العربية وإعداد الأعمال الببليوجرافية مثل الفهارس والكشافات. وكانت قوائم رؤوس الموضوعات إحدى القضايا الهامة التي بحثت في المؤتمرات الببليوجرافية العربية.

ففي مؤتمر الإعداد الببليوجرافي للكتاب العربي الذي عقد في الرياض عام ١٣٩٣هـ الموافق ١٩٧٣م درست هذه القضية بعناية، وصدرت المجموعة الثالثة من التوصيات خاصة برؤوس الموضوعات (التوصيات ٨ ــ ١١) وكانت التوصية الثامنة بالنص التالي: «يوصي المؤتمر بضرورة إصدار ونشر قائمة رؤوس موضوعات عربية مقننة لسد احتياجات المكتبات العربية والأعمال الببليوجرافية في موعد أقصاه نهاية سنة ١٩٧٥م»(١).

إلا أن هذه التوصيات لم تنفذ، بمعنى أنه لم تصدر قائمة عربية لرؤوس الموضوعات. وهذا ماجعل هذه القضية يعاد بحثها في المؤتمر الثاني للإعداد الببليوجرافي للكتاب العربي الذي عقد في بغداد عام ١٩٧٧م حيث صدرت توصية موجهة إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للقيام بإعداد القائمة العربية، وكانت بالنص التالي: يدعو المؤتمر المنظمة لتكوين لجنة من المتخصصين العرب لإعداد ومتابعة قائمة رؤوس موضوعات عربية شاملة ومقننة تفي باحتياجات المكتبات ومراكز المعلومات في الوطن العربي، وكذلك في الأعمال الببليوجرافية(٢).

وقد بدأت إدارة التوثيق والمعلومات بالمنظمة العربية حينما كانت في القاهرة بالعمل في مشروع قائمة رؤوس موضوعات، لكنه لم يكتمل ولم ينشر. وحينما انتقلت المنظمة إلى تونس جعلت إدارة التوثيق والمعلومات قائمة رؤوس الموضوعات ضمن مجموعة من المشاريع إلا إنه لم يكتمل إعداد القائمة ألتي كلفت بها المنظمة.

هذا يعنى خلو الساحة من عمل عربي جماعي يتمثل في إصدار قائمة رؤوس موضوعات عربية مقننة. وهذه النتيجة دفعت مجموعة من الأفراد والهيئات العلمية مثل الجامعات لإصدار قوائم رؤوس موضوعات عربية. وقد شهد النصف الثاني من التسعينات الهجرية (السبعينات الميلادية) انطلاقة في إعداد قوائم رؤوس موضوعات عربية، حيث أثمرت الجهود عن إصدار عدة قوائم عربية أبرزها القائمتان التاليتان:

١ ــ قائمة رؤوس الموضوعات العربية / إعداد إبراهيم الخازندار .ــ الكويت، ١٩٧٧(٣).

٢ ــ رؤوس الموضوعات العربية / إعداد قسم الفهرسة والتصنيف بإشراف ناصر محمد السويدان.ــ الرياض: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.ــ ٦٠٠ص.

وبعد صدور هاتين القائمتين أصبح من السهل أن تصدر قوائم أخرى. وذلك بالاقتباس والنقل من القوائم المنشورة وإضافة رؤوس موضوعات أخرى. لذا فقد ظهرت تباعاً قوائم رؤوس موضوعات جديدة. ففي عام ١٩٨١م صدرت قائمة بعنوان: السعودية قائمة رؤوس موضوعات للمكتبات ومراكز المعلومات / إعداد شعبان عبد العزيز خليفة ومحمد العايدي. ولقد اقتبست عشرات من رؤوس الموضوعات المسجلة في قائمة رؤوس موضوعات الجامعة بإشراف ناصر محمد السويدان التي تحتوى على أكثر من مائة رأس موضوع عن السعودية، وعند النقل منها استبدل اسم «السعودية» بالاسم الكامل «المملكة العربية السعودية» يتبعه التقسيمات الشكلية والوجهية والجغرافية والزمنية. وحينما ننظر إلى قائمة المصادر(٤) لا نجد قائمة الجامعة ضمن هذه المصادر. كما ظهرت قوائم رؤوس موضوعات أخرى أهمها:

١ ــ قائمة رؤوس الموضوعات / الإدارة العامة للمكتبات.ــ

الرياض: معهد الإدارة العامة، ١٤٠٥هـ. ورغم استفادة هذه القائمة من قائمة رؤوس موضوعات الجامعة واقتباس رؤوس موضوعات منها فلم تذكر على الأقل ضمن المصادر.

٢ ــ قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى / د. شعبان عبد العزيز خليفة ومحمد العايدي.ــ الرياض: دار المريخ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.ــ ٢جـ.

هذه القوائم تعتبر جهوداً تستحق التقدير، لكن هذا لا يعني خلوها من بعض جوانب الضعف أو القصور. وقد حظيت العديد من القوائم بدراسات نقدية نشرت في الدوريات والكتب المتخصصة. فقد نشرت مجلة عالم الكتب في العدد الأول من المجلد الثاني ملفاً خاصاً برؤوس الموضوعات العربية. نشرت فيه دراسات نقدية لثلاث قوائم وتجميع للتوصيات الصادرة بهذا الشأن[٥]. وبما أن القائمة التي نحن بصددها لم ينشر عنها دراسة حتى تاريخ كتابة هذه الأسطر لأنها صدرت حديثاً فقد رأيت إعداد دراسة نقدية لها، وأبدأ أولاً بالتعريف بالقائمة وأهميتها.

فالقائمة عمل يستحق التقدير لأنه يعتبر إضافة هامة ومساهمة قوية في سبيل توفير أدوات العمل للمكتبيين العرب. فهي تعتبر أوسع قائمة عربية لرؤوس الموضوعات ظهرت حتى تاريخ نشرها. وقد تولى إعدادها اثنان من المكتبيين العرب المعروفين في حقل المكتبات والمعلومات بصفة عامة والفهرسة بصفة خاصة. فالدكتور شعبان خليفة أستاذ في علم المكتبات والمعلومات وله نشاطات واهتمامات عديدة، أما الأستاذ محمد العايدي فقد مارس العمل في الفهرسة والتصنيف وله خبرة في هذا المجال.

ورغم الميزات الحسنة لهذه القائمة فهي كأي عمل آخر لا يخلو من عيوب أو جوانب نقص. وبما أننا جميعاً نحرص على أن تكون مسيرة النمو والتطور في حقل المكتبات والمعلومات مبنية على أسس قوية ومتينة فقد رأيت من واجبي كأحد العاملين في هذا الميدان أن أقوم بعرض ونقد هذه القائمة. وقد دفعني أكثر لإعداد هذه الدراسة العوامل التالية:

١ ــ طغى على القائمة الاهتمام بالكم دون الكيف. فالهدف الواضح المراد تحقيقه هو أن تشمل القائمة ٢٥ ألف رأس موضوع وإحالة، وترتب على ذلك اتباع منهجية تخالف بعض الأسس المعروفة في الفهرسة الموضوعية سواء في صياغة رؤوس الموضوعات أو في تكرارها أو غير ذلك من الجوانب التي تدل على الاهتمام بالشكل أو المظهر دون الجوهر.

٢ ــ المبالغة في مدح وإطراء القائمة. ويظهر ذلك في عنوانها ومقدمتها وعلى الصفحة الأخيرة من الغلاف الخارجي. حيث تم إضفاء صفات الشمول والصلاحية لكل أنواع المكتبات ومراكز المعلومات على اختلاف أنواعها ومشاربها. وادعاء أنها تقف على قدم المساواة مع قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس. وفي نفس الوقت التقليل من شأن القوائم العربية الأخرى.

تتكون القائمة من جزأين في ١٣٧٢ صفحة. الجزء الأول يضم المقدمة ورؤوس الموضوعات من الألف إلى السين. والجزء الثاني يضم بقية رؤوس الموضوعات حسب ترتيبها الهجائي. وقد رأيت أن تكون الدراسة النقدية من قسمين رئيسيين:

أولاً : دراسة المقدمة العلمية «التوطئة» وتشمل:
- الهدف من المقدمة
- الجوانب العلمية
- المقارنة بين التصنيف ورؤوس الموضوعات
- نقد قوائم رؤوس الموضوعات
- الأسـلوب

ثانياً : دراسة رؤوس الموضوعات من الجوانب التالية:
- صياغة رؤوس الموضوعات
- رؤوس الموضوعات غير المناسبة
- التكـرار
- الأسماء في القائمة
- التقسيمات الشكلية والوجهية والجغرافية
- التوازن بين الموضوعات
- الإحالات
- جوانب أخـرى

أولاً : دراسة المقدمة

في المجلد الأول مقدمة من ٧٠ صفحة جاءت بعنوان «توطئة» شملت مجالات عديدة في الفهرسة الموضوعية والتصنيف، لكن لا يعرف بالضبط الهدف من هذه المقدمة، ولمن كتبت؟ فهل هي دراسة عامة للتنظيم الموضوعي للمعرفة أم أنها مقدمة لهذه القائمة تشرح أسس تكوينها وكيفية استخدامها؟! وهل كتبت للطلاب في أقسام المكتبات والمعلومات أو للمفهرسين والمكتبيين بصفة عامة؟!.

في مقدمة أي عمل لابد من تحديد الهدف وتحديد المخاطبين لأن هذا يترتب عليه حجم المعلومات المراد تقديمها وأسلوب العرض لهذه المعلومات، لكن الذي حصل أن هذه المقدمة أرادت أن تجمع أكثر من هدف على حساب الهدف الأساسي وهي أن تكون مقدمة لقائمة رؤوس موضوعات. فهي بوضعها الحالي أريد بها أن تكون

كتاباً عاماً في الفهرسة الموضوعية، كما أريد بها أن تكون مقدمة لهذه القائمة، لكن الجمع بين الهدفين في عمل واحد غير ممكن بالشكل الملائم.

فالمفهرس الذي يريد استخدام القائمة لن يستطيع الصبر على قراءة كل هذه الصفحات، ويكفي أن نوجز له الأمر في صفحات قليلة. أما المكتبي المتخصص فليس بحاجة إلى كل هذه البديهيات أو (الفذلكات) التي تفترض أنه لا يعرف شيئاً عن الفهرسة الموضوعية. فالأجدى أن توضع مقدمة في صفحات قليلة في حدود عشرين أو ثلاثين صفحة. تقتصر على ما يتعلق باستخدام هذه القائمة فقط. فالإطالة أضاعت الهدف الذي توضع من أجله المقدمات دائماً. فقد اختلط المهم مع قليل الأهمية وأصبح من الصعب الوصول إلى نقطة مهمة تتعلق باستخدام القائمة، لأن المقدمة تجمع بين المعلومات النظرية وتلك المطبقة في القائمة مثل الترتيب الهجائي، ويؤكد صحة القول بأنها خرجت عن كونها مقدمة عمل لأنها نشرت أيضاً في كتيب مستقل.

قسمت محتويات المقدمة إلى عشرين موضوعاً سمي كل قسم فذلكة وظهر بيان بها في الصفحتين السابعة والثامنة، وتنقلت هذه الفذلكات من موضوع إلى آخر بدون وضع عنوان لكل موضوع حتى يسهل متابعته والتعرف على محتوياته، فهي بهذا الشكل يصعب استخدامها. والدافع لهذا الأسلوب كما جاء في المقدمة أنه نهج جديد يؤدي إلى دفع الملل والتأني في القراءة والدرس، وهذا في نظري أسلوب يفترض أن يقضي المفهرس الساعات الطوال لقراءة كل هذا الكلام سواء كان بحاجة إليه أم لا. وهذا يتناقض مع الهدف من الفهرسة الموضوعية التي وضعت هذه القائمة من أجلها فمن باب أولى أن تبدأ بنفسها وتضع لمقدمتها رؤوس موضوعات تجعل الباحث يقصد الموضوع الذي يرغب الاطلاع عليه. هذا من حيث الشكل، أما المضمون فسوف نقف عند هذه المقدمة لدراستها وإبداء الرأي حول الموضوعات التي وردت بها وتشمل الجوانب التالية:

الجوانب العلمية :

تعرضت المقدمة لمناقشة قضايا علمية تتعلق بالفهرسة الموضوعية والتصنيف. وقد لاحظت عدم توخي الدقة لتقديم المعلومات الصحيحة عند مناقشة بعض الجوانب العلمية. ومنها الحالات التالية:

١ ــ جاء في صفحة ١٥ أن التصنيف ورؤوس الموضوعات يندرجان معاً تحت اصطلاح «الفهرسة الموضوعية»، وهذا غير صحيح فالتصنيف ليس من الفهرسة في شيء. فهناك صلة قوية وارتباط بين التصنيف والفهرسة الموضوعية لأنهما وسيلتان تمكنان الباحث من الوصول إلى الموضوع المطلوب مع اختلاف الطريقة المتبعة، لذا فإن التصنيف ورؤوس الموضوعات يجتمعان معاً تحت مظلة التنظيم الموضوعي للمعرفة Subject organization أو Subject approach to information.

٢ ــ في الصفحات ٣٥ ــ ٣٧ تعرض لشرح الحواشي المتصله برأس الموضوع، وفسرت بأنها الكلمة أو الكلمات بين قوسين التالية لرأس الموضوع مثل السرطان (البرج). والواقع أن مايوضع بين قوسين يعتبر جزءاً من رأس الموضوع وليس حاشية لأن الحاشية هي مايوضع من تفسيرات تحت رأس الموضوع. فالكلمة أو الكلمات بين قوسين جعلت لتخصيص رأس الموضوع وتمييز موضوع عن آخر، وتظهر في الفهرس الموضوعي وتدخل في الترتيب الهجائي مثل الحدود (شريعة إسلامية). بينما الحواشي لا تظهر في الفهرس ولا تدخل في الترتيب الهجائي.

٣ ــ في الصفحة ١٧ ذكر أنه يمكن إعطاء الكتاب الواحد أكثر من رأس موضوع إلا أنه بالغ في ذلك قائلاً حتى ولو بلغت عشرين موضوعاً. فهذا خلط بين الفهرسة الموضوعية والتكشيف، ففي الفهرس الموضوعي عادة لا تسجل رؤوس موضوعات كثيرة في حين أن الكشافات تستخدم فيها رؤوس موضوعات أكثر من الفهرس الموضوعي، وكلما زاد العمق في التكشيف زادت المداخل، وقد أشار wynar إلى مجموعة من العوامل يتم في ضوئها زيادة أو نقص عدد رؤوس الموضوعات في الفهرس الموضوعي[٦].

المقارنة بين التصنيف ورؤوس الموضوعات :

في الفذلكة الثالثة الواردة في الصفحة ١٧ مقارنة لم تكن دقيقة وتفتقر إلى استخدام مصطلحات معروفة بدلاً من الكلمات العامة. وإلى عدم الإجحاف أو الميل إلى جانب رؤوس الموضوعات على حساب التصنيف. وهذه أمثلة على أوجه المقارنة مقتبسة بالنص الذي وردت به.

١ ــ «يؤدي التصنيف في المكتبات ومراكز المعلومات إلى أداة استرجاع معقدة هي الفهرس المصنف وتؤدي رؤوس الموضوعات.. إلى اداة استرجاع سهلة وبسيطة نسبياً هي الفهرسة الموضوعية».

في هذه المفاضلة بين التصنيف ورؤوس الموضوعات ميل إلى ترجيح كفة رؤوس الموضوعات. مع أن لكل منهما دوره في خدمة الباحث، فلا يقتصر دور التصنيف على إنتاج الفهرس المصنف بل نجد رقم التصنيف على البطاقات في

كل أنواع الفهارس بما فيها الفهرس الموضوعي، وهو الجسر الذي يوصل القارىء من الفهرس إلى الرف.

٢ ــ يقارن بين أمور بديهية مثل الفقرة الخامسة ومضمونها «أن التصنيف يحتاج إلى خطة تصنيف جاهزة ورؤوس الموضوعات تحتاج إلى قائمة رؤوس موضوعات».

٣ ــ من التعبيرات غير الدقيقة ما جاء في الفقرة الثالثة «التصنيف يحتاج لاسترجاع عناصره إلى خبرة وألفة .. الخ ورؤوس الموضوعات لا تحتاج إلا إلى التمرس بالترتيب الهجائي وبالتالي يسهل استخدامها».

فالتحيز إلى جانب رؤوس الموضوعات واضح. كما أن المعنى المقصود لم يكن واضحاً وهو أن التصنيف أكثر صعوبة في الاستخدام مقارنة برؤوس الموضوعات التي تتميز بسهولة الاستخدام، إلا أنه بالغ في هذه السهولة التي تقتصر على التمرس بالترتيب الهجائي. لأن معرفة الترتيب الهجائي ليست كافية فلابد من معرفة أسس بناء القائمة وكيفية استخدامها.

نقد قوائم رؤوس الموضوعات :

في الصفحات ٤٣ ــ ٤٨ عرض لقوائم رؤوس الموضوعات الأجنبية، خاصة قائمة مكتبة الكونجرس وقائمة سيرز، وهذا العرض عبارة عن وصف للأسس العامة المعروفة عن هاتين القائمتين، لكن الصورة اختلفت حينما تم عرض قوائم رؤوس الموضوعات العربية في الصفحات ٤٨ ــ ٥٥ فقد تضمن هذا العرض التقليل من شأن القوائم الأخرى التي صدرت من قبل خاصة قائمة مكتبة جامعة الرياض، بهدف الإيحاء إلى القارىء بأن القوائم والأعمال السابقة سيئة جداً وأن هذه القائمة التي يطلق عليها «قائمتنا الكبرى» هي الملائمة لاحتياج المكتبات ومراكز المعلومات العربية التي قدمت لهم كما يقال أشمل وأعمق وأكبر قائمة رؤوس موضوعات عربية، تقف على قدم المساواة مع قائمة مكتبة الكونجرس الدولية الشهيرة. هذه المبالغة في المدح والإطراء يناقضها واقع القائمة. فلا يمكن المقارنة بينها وبين قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس، فالفرق شاسع بينهما.

نعود إلى الأسلوب والطريقة المتبعة لدراسة القوائم العربية: فهي لم تكن دراسة مبنية على أسس علمية في النقد، ولم يكلف الناقد نفسه بجمع معلومات عن القوائم العربية، فقد اكتفى بظواهر الأمور وأعطى أحكاماً غير دقيقة على بعض القوائم العربية. وتركز النقد حول قائمتين عربيتين هما قائمة إبراهيم الخازندار وقائمة مكتبة جامعة الرياض بإشراف ناصر السويدان. ويمكن تسجيل خلاصة ما قيل عنهما والتعليق عليها في النقاط التالية:

١ ــ صدرت الأحكام على هاتين القائمتين ارتجالاً أو جزافاً بدون أن تبنى على حقائق علمية أو دراسة وافية لأي قائمة، وكأن الأمر لا يعدو أن يكون مزاجاً شخصياً. فقد فضل مثلاً قائمة الخازندار على قائمة جامعة الرياض واعتبر أن الأخيرة لم تأت بأي إضافة وأنها جهد مكرر. فهذا الكلام يحتاج إلى دراسة وافية للقائمتين والمنهجية التي بنيت عليها كل منهما وبعد ذلك تصدر الأحكام.

٢ ــ اعتمد في المقارنة والمفاضلة على الشكليات مثل عدد رؤوس الموضوعات في كل قائمة. حيث قال إن قائمة الخازندار بها ٦٠٠٠ رأس موضوع وقائمة جامعة الرياض بها ٥٠٠٠ رأس موضوع. ولم يدرك حجم التكرار في قائمة الخازندار الذي لو تم استبعاده لنقصت المداخل إلى حد كبير بالإضافة إلى تكرار التقسيمات الوجهية والشكلية.

٣ ــ أظهر الكثير من الرضى والتحيز لقائمة الخازندار ربما عن جهل بهذه القائمة أو عدم فهم للأسس السليمة لبناء قوائم رؤوس الموضوعات حيث قال:

(*) سارت القائمة من أولها إلى آخرها على مستوى واحد وسياسة واحدة وفكر واحد على عكس القوائم التي تعتمد على جهود متنوعة (والمقصود قائمة جامعة الرياض).

(*) ويبدو من الفلسفة العامة للقائمة أنها وضعت لتخدم المكتبات العربية في كل الدول العربية وليس لدولة معينة بصرف النظر عن جنسية واضعها.

فهذا الكلام غير دقيق، فالقائمة لم تكن على مستوى واحد بدليل عدم التوازن في تغطية الموضوعات، إلا إذا كان المقصود أن العمل الفردي ينتج عنه دائماً سياسة واحدة وفكر واحد وأنه أفضل من العمل الجماعي، وهذا غير صحيح، فالأعمال التي ظهرت في الغرب ومنها قائمة مكتبة الكونجرس خير مثال. أما القول بأن جنسية واضعها لم تؤثر عليها فهذا غير صحيح، فقائمة الخازندار توجد بها الألفاظ العامية المحلية المصرية وتركز بشكل كبير على الأوضاع المحلية في مصر مما يجعل الطابع المحلي يغلب عليها.

انتقدت بشكل مرير قائمة الجامعة. وأقتبس في الأسطر التالية بعض ما قيل عن هذه القائمة في الصفحة ٥٢ بالنص التالي:

واشتراك عدد كبير من المفهرسين في إعداد هذه القائمة كان ينبغي أن يعد حسنة وميزة لهذه القائمة لو أنها خضعت لعملية تحرير قوية ومستفيضة والحقيقة أن قائمة جامعة الرياض تضعنا في موقف مربك ومحير، فلا هي قائمة تطبيقية تبز قائمة الخازندار من حيث أسلوب الإعداد ولا هي أوسع وأشمل وأكبر منها بحيث يكون لها

استخدام آخر في أنواع أخرى من المكتبات، حيث لا تصلح بدورها إلا للمكتبات العامة والمدرسية الصغيرة وبالتالي فإنها لايمكن أن تعتبر إضافة.

والتعليق على ما قيل عن القائمة ينحصر في التماس العذر لهذه الآراء لأنها صادرة نتيجة التسرع في الحكم وناتجة عن عدم دراسة وفهم دقيق لهذه القائمة، والعذر الثاني الاعتماد على الشكليات في إصدار الحكم مثل عدد رؤوس الموضوعات في القائمة. فما يقال عن التحرير غير صحيح لأن أكثر ما تفتخر به قائمة الجامعة هو المنهجية الجيدة والأسس الحديثة التي اعتمدت عليها في بناء وتكوين رؤوس الموضوعات وخضعت لخطة جيدة للبناء والتحرير. ولم يُلتفت أساساً إلى عدد رؤوس الموضوعات كما تفعل بعض القوائم. والجهد الجماعي الذي ظهر فيها كان ضمن خطة تم تنفيذها بدقة، والعمل الجماعي كان فرصة لتبادل الآراء واختيار أفضل السبل، أما القول إنها كانت مفاجأة فهذا لا يعيبها بل يشرفها، فهذا يدل على قوة العزيمة والإصرار على تقديم جهد طيب في وقت قصير نسبياً. أما القول أنها تضعنا في موقف محير، فهذا ينطبق على من لا يدرسها بعمق وعناية، فقد يجد نفسه مضطراً أن يقول شيئاً خلاف الحقيقة.

وفي صفحة (٥٢) أيضاً جاءت العبارة التالية: «أما قائمة جامعة الرياض فهي جهد مكرور وأقل مستوى من قائمة الخازندار. وحسن أنه ليس هناك اتجاه نحو إعادة طبع أو تطوير هذه القائمة» فهذا الترحيب وإبداء السرور لعدم إصدار طبعة جديدة من قائمة جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً) يعبر في الواقع عن الرغبة في عدم وجود قوائم أخرى جيدة منافسة ولكن جاءت الأحداث بغير هذا فأعيد طبع القائمة من قبل عمادة شؤون المكتبات بالجامعة تلبية للاحتياج المتزايد من قبل من يطلبها من جهات علمية عديدة في الوطن العربي وخارجه حيث نفدت النسخ المطبوعة. أما مراجعة القائمة وتطويرها فهو موضع اهتمام، فقد طلب عميد شؤون المكتبات بالجامعة من المشرف على إعدادها أن تتم مراجعة للقائمة تمهيداً لإصدار طبعة جديدة. وإن شاء الله يكون ذلك قريباً.

الأسلوب :

لكل كاتب الحق في اختيار أسلوب الكتابة، إلا أن هناك معايير يتطلب مراعاتها. منها على سبيل المثال احترام القارىء وعدم الاستخفاف به والتعالي عليه. كما يجب أن يعرف الكاتب لمن يوجه كتابته، فإذا كان لطلاب يقوم بتدرسهم فهذا أسلوب تعليمي يختلف عن مخاطبة عامة المكتبيين الذين انخرطوا في هذه المهنة وهضموا الكثير من البديهيات في هذا التخصص.

ويمكن الإشارة إلى مايتعلق بالأسلوب في النقاط التالية:

(أ) الأسلوب المستخدم لكتابة التوطئة فيه بعض العبارات والألفاظ غير المناسبة التي لا توجه لعامة المكتبيين. ولتأكيد هذا الاتجاه أشير إلى بعض هذه العبارات:

١ — ورد في السطر الأول من الصفحة (٦٢) العبارة التالية «وإمعاناً في خدمة المفهرسين وتوجيههم نسجل فيما يلي أهم رؤوس الموضوعات التي تفرع جغرافياً» لاحظوا كلمتي إمعاناً وتوجيههم. فلا أرى مبرراً لمخاطبة المفهرسين بهذا الأسلوب الذي يفترض جهلهم بهذه الحقائق. ويظهر أن مهنة التدريس التي يمارسها المؤلف غلبت عليه فجعلته يفترض أن كل المكتبيين والمفهرسين تلاميذ يتعلمون للمرة الأولى، فلو حذفت الخمس الكلمات الأولى من العبارة فلن ينقص من الأمر شيئاً والمعنى مفهوم ومكتمل.

٢ — جاء السطر الأول من صفحة ٤٣ بالنص التالي «ألمحنا لماماً من قبل وبحق إلى أن مهنة المكتبات هي مهنة التوحيد والتقنين».

فهذا القول معروف لعامة المكتبيين، وليس هناك مبرر لتأكيد التلميح بهذه الحقيقة الذي جاء بإدخال كلمة «وبحق» كجملة اعتراضية.

٣ — في صفحة ٢١ تكررت عبارة «لنتذكر دائماً» مرتين في الفقرتين (هـ، و) كما يلي:

هـ — لنتذكر دائماً أن قوائم رؤوس الموضوعات لا تضم أسماء الأعلام. الخ.

و — لنتذكر دائماً أنه لا يجوز تفريع رأس موضوع من رأس موضوع آخر..الخ.

فهذه بديهيات معروفة للمفهرسين. وإذا كان هناك حاجة لذكرها فلتكن بأسلوب آخر.

٤ — جاء في السطر ١٣ من الصفحة ٨ عبارة «حذار ثم حذار من التسرع والاكتفاء بالرقم الموجود في كشاف التصنيف».

فهل يناسب هذا الأسلوب لمخاطبة عامة المكتبيين وكأن الأمر مجهول لهذه الدرجة، فهذه بديهيات معروفة لكل من درس التصنيف.

(ب) استخدمت عبارات وألفاظ غير دقيقة في التعبير، منها على سبيل المثال ما ورد:

١ — عند وصف الفهرس البطاقي (ص ١٣) جاءت بعض ألفاظ غير دقيقة في النص التالي «من الممكن تغليف البطاقات بالبلاستيك أو على الأقل الجزء العلوي منها فتصمد آماد طويلة للاستخدام العنيف المتواصل من جانب القراء كذلك فإنه مرن يتحمل الإضافة والاستبعاد دون مجهود يذكر... الخ».

فلم يوفق في اختيار لفظ «العنيف» لأنه فعلاً لن يتحمل

الاستخدام العنيف من قبل أشخاص لا يدركون أهميته، وإنما قد يتحمل الاستخدام الكثيف. أما القول بأنه مرن يتحمل الإضافة والاستبعاد فهذا صحيح ولكن ليس بدون مجهود يذكر، فهذا يشمل مداخل البطاقات الجديدة في موقعها الصحيح من الترتيب الهجائي واستخراج البطاقات المستبعدة بدقة بحيث تشمل كل المداخل الإضافية، وهذه عمليات فنية دقيقة لا يقوم بها إلا المؤهل ذو الخبرة في هذا المجال، فلا يمكن التساهل في هذا الشأن.

(جـ) استخدام بعض ألفاظ أو مصطلحات غير فصيحة مع وجود كلمات عربية سهلة. فعند الإشارة إلى الفهرس المحزوم (ص ١٢) جاءت كلمة «الكلاسيرات» وهو تعبير محلي يقصد به الملفات.

(د) المقدمة اقتبست الكثير من المعلومات من مصادر عديدة عربية وأجنبية لكن لم يراع الطرق المعروفة للاقتباس، حيث تجاهل الإشارة إلى الاقتباس في موقعه من المصدر. واكتفى بوضع قائمة بالمصادر.

(هـ) وجدت بعض أخطاء لغوية محدودة فكلمة جذاذات كتبت «جزازات» ص ١٢.

ثانياً : رؤوس الموضوعات في القائمة

طرقت القائمة كل فروع المعرفة البشرية. ووضعت رؤوس موضوعات لكافة التخصصات ودخلت في تفريعات دقيقة لبعض الموضوعات. ولذا فهي أكثر شمولاً من قوائم رؤوس الموضوعات العربية الأخرى. ولكن ليست العبرة في كثرة عدد رؤوس الموضوعات. بل إن نقطة الضعف الأساسية في هذه القائمة هي المنهجية التي اتبعت في بناء القائمة، سواء من حيث صياغة رؤوس الموضوعات أو التفريع لهذه الموضوعات. وقد لوحظ اهتمام المؤلفين بالكم في عدد رؤوس الموضوعات على حساب الكيف مما نتج عنه جوانب ضعف لا يمكن تجاهلها. .

ومن واقع اهتمامي بالفهرسة الموضوعية وبالقوائم العربية لرؤوس الموضوعات تتبعت رؤوس الموضوعات في القائمة وسجلت ما استطعت حصره من حالات لا أعتقد أنها ملائمة، وقسمت هذه الأوضاع في مجموعات، منها ما يتعلق بالصياغة أو الإحالات أو غير ذلك. وكان الهدف الأساسي هو الحرص على سلامة مسار إعداد القوائم العربية بحيث لا نجعل الشكليات والمظاهر هي التي تأخذ كل الاهتمام بل الجوهر هو الأساس. فليس المهم هو كثرة عدد رؤوس الموضوعات والمباهاة بها ولكن المهم أن نعطي الأهمية للمنهجية ودقة وسلامة الأساليب المستخدمة في بناء قوائم رؤوس الموضوعات، ومع أنني أعتبر هذا العمل جهداً كبيراً لكن هذا لا يتنافى مع إظهار جوانب الضعف فيه حتى يمكن العمل على تلافيها في طبعات قادمة وعدم تكرار هذا السلبيات في قوائم أخرى يتم إعدادها مستقبلاً. ومهما يكن فهذه اجتهادات وآراء فردية خاصة قد يتفق معي آخرون جزئياً أو كلياً وقد يختلف معي آخرون. وتشمل الدراسة لهذه القائمة الجوانب التالية:

أ ـــ صياغة رؤوس الموضوعات

رغم حرص القائمة على اختيار الصيغ المناسبة فقد وجدت بعض جوانب ضعف تتعلق بالصياغة وتشمل الجوانب التالية:

- تخصيص وتحديد رأس الموضوع
- الرأس المباشر
- مبدأ القلب
- الثبات في الصيغ المستخدمة
- صيغتا المفرد والجمع
- استخدام الصيغ العامية المحلية

من خلال دراسة وتتبع رؤوس الموضوعات القائمة يمكن إجمال ما يتصل بالصياغة في النقاط التالية :

١ ـــ تفتقر كثير من رؤوس الموضوعات في القائمة إلى التخصيص وتحديد مجالها الموضوعي بدقة ووضوح، ويتحقق هذا الهدف باتباع الأساليب المعروفة في بناء القوائم ومنها:

(أ) استخدام المخصصات بين الأقواس، وهي إضافة كلمة أو عدة كلمات لرؤوس الموضوعات المتجانسة (المتفقة في الشكل والمختلفة في المعنى) أو بإضافة كلمة إلى الكلمة الأولى بهدف التخصيص، وقد استخدم هذا الأسلوب في هذه القائمة ولكن مع عدد قليل من الموضوعات مثل الحدود(فقه إسلامي) الحدود السياسية، ولكن الكثير من رؤوس الموضوعات الأخرى بقيت بدون تخصيص أو تحديد فهي غير واضحة المدلول، والأمثلة كثيرة.

فرأس الموضوع «الاعتدال» ص ٢١٢ لا يمكن قبوله بهذه الصيغة بدون تحديد مجاله الموضوعي، لأن المفردات والمصطلحات في حقل معين تكون معروفة بسهولة للعاملين في هذا المجال أو التخصص، لكن إذا دخلت هذه المفردات في الترتيب الهجائي للقائمة والفهرس الموضوعي مع المفردات والمصطلحات الخاصة بحقول أخرى يصبح من الضروري تخصيصها وتحديد المجالات أو الاستخدام الخاص في كل حقل أو مجال.

(ب) تتطلب بعض رؤوس موضوعات تزويدها بحاشية تدون تحت رأس الموضوع لشرح مجال استخدامه Scope note وهذه الحاشية لا تظهر مع رأس الموضوع في الفهرس

الموضوعي ولا تدخل في الترتيب الهجائي للقائمة بل تدون فقط في القائمة لتوجيه المفهرس إلى الاستخدام السليم لرأس الموضوع وتمييزه عن رأس موضوع آخر.

فلم توجه القائمة عناية لإضافة حواش لرؤوس الموضوعات التي تتطلب ذلك، باستثناء حالات قليلة، ونتج عن ذلك وجود كثير من رؤوس الموضوعات غير واضحة المدلول، والأمثلة في القائمة كثيرة، اقتبست منها الحالات التالية وتشمل بعض رؤوس موضوعات تحتاج إلى تخصيص أو حاشية، منها رؤوس موضوعات من كلمة واحدة ورؤوس موضوعات مركبة. وقد ظهر مع بعضها تعليقات تؤكد غموض أو عدم وضوح المدلول أو المجال الموضوعي لهذه الصيغ وتركت بعض الصيغ بدون تعليق لأنها لا تحتاج إلى تعليق.

ــ الاستقرار :

الصيغة بهذا الشكل غير واضحة المدلول، فقد تعني الاستقرار السياسي مثلاً وقد تعني الاستقرار الاقتصادي أو غير ذلك من المجالات.

ــ الأرضيات :

يفترض أن المقصود بها الرسوم على بقاء البضائع على أرض الميناء وهذا غير واضح.

ــ الأبعاد :

يفضل تحديدها كالأبعاد الهندسية.

ــ الأساسات :

من الضروري التحديد مثل (أساسات البناء).

ــ الاستدلال :

على ماذا؟

ــ الاعتدال:

في ماذا؟

ــ الأطقم؟

ــ التكوين:

التكوين لأي شيء؟

ــ الحمام

قد يكون بمعنى طائر الحمام وربما يكون الحمّام الماء.

ــ الجنس

يحتمل أكثر من معنى، أولها الجنس البشري وجمعه أجناس والمعنى الآخر هو غريزة الجنس.

ــ الخط

هل المراد مجرد خط Line أو بمعنى الكتابة.

ــ القذف

هل المقصود القذف بالحجارة أو بالتهم أو بماذا؟

ــ التعميد

ــ التشغيل: فهل المقصود تشغيل الآلات مثلاً أم تشغيل العمال والموظفين.

الأعمال الاستفزازية

الأعمال العدائية

أعمال السيادة

هذه صيغ تصلح للخطب، لكنها من الناحية الموضوعية جمل زئبقية ليس لها مجال محدد، حيث يمكن أن تضيق أو تتسع حسب مفاهيم مختلفة.

ــ الآلات ذات الحركة

هل توجد آلات لا تتحرك؟.

ــ البدل

المقصود بها الملابس الرجالية أو بمعنى أدق نوع معين من الملابس الرجالية، لكنها بهذا الشكل تحتاج إلى تخصيص وتمييز عن الكلمات الأخرى المتجانسه أو المتساوية معها في الحروف الهجائية مثل البدل في اللغة، أو يكتفى برأس موضوع الملابس الرجالية.

٢ ــ مع أن القائمة تفتقر إلى التخصيص أو التحديد لبعض رؤوس الموضوعات، نجد استخداماً غير مناسب للتخصيص بواسطة الأقواس، مثل :

القرش (سمك)

الفائدة (بنوك)

الغلاة (الشيعة)

فلا حاجة لاستخدام الأقواس في هذه وغيرها من الموضوعات المشابهة. ففي المثال الأول تكون الصيغة بالشكل الطبيعي المعروف «سمك القرش» ولا داعي لقلب رأس الموضوع ثم تخصيصه باستخدام الأقواس. أما المثال الثاني فإن الصيغة الملائمة هي «الفوائد البنكية» أما الصيغة المناسبة للمثال الثالث فهي «غلاة الشيعة».

٣ ــ من الجوانب الهامة في الصياغة أن يكون رأس الموضوع مباشراً، وتؤكد ذلك القاعدة رقم ١٦١ من قواعد كتر بالنص التالي: «أدخل العمل تحت رأس موضوعه وليس تحت رأس القسم الذي يشتمل على ذلك الموضوع»[٧] فإذا كان المراد وضع رأس موضوع عن التفاح مثلاً فلا نجعله متفرعاً عن الموضوع الأكبر وهو الفواكه. بل يكون الرأس مباشراً «التفاح» ولكن هذه القائمة تخالف هذه الأسس فتبدأ بالموضوع الشامل يأتي بعده الموضوع الفرعي. والأمثلة

عديدة، منها:
(العالم العربي ــ الملوك والحكام) والأفضل (الملوك والحكام العرب) (المدارس ــ مناهج) والأفضل منها (المناهج المدرسية).

٤ ــ أسلوب القلب لرأس الموضوع يستخدم عندما يوجد هناك مبرر قوي، مثل كون الكلمة الأولى مبهمة أو أن الكلمة الأخرى هي الأهم. وهو بصفة عامة غير مستحب إلا عند الضرورة. وقد وجد أن أسلوب القلب مستخدم مع رؤوس موضوعات كان من الأفضل أن تكون بصيغتها الطبيعية مثل (الإسلام ــ الدعوة) والأفضل (الدعوة الإسلامية) المواد غير المطبوعة ــ فهرسة) والأفضل (فهرسة المواد غير المطبوعة).

٥ ــ استخدمت في بعض حالات صيغتا المفرد والجمع معاً بدون وضوح الرؤيا أو تحديد مجال استخدام كل منهما إذا كانت الحاجة تستدعي وجود الصيغتين معاً. ومن الأمثلة التي ظهرت في القائمة:

الاقــــرار

الاقــــرارات

٦ ــ من الجوانب المتعلقة بالصياغة عدم الثبات على صيغ محددة لرؤوس الموضوعات المتشابهة. فمثلاً أسماء الفرق الإسلامية تظهر أحياناً مخصصة بين قوسين بعبارة فرقة إسلامية مثل الإمامية (فرقة إسلامية) في حين أن فرقاً أخرى تحدد تسميتها مثل الإسماعيلية (الشيعة). وهذا يعتبر تناقضاً في المنهجية، فالمعروف أن الإمامية مثل الإسماعيلية فرقة من الشيعة، كما لوحظ عدم الثبات في صيغ أخرى منها التقسيمات الجغرافية.

٧ ــ ظهرت بعض رؤوس موضوعات في جمل طويلة جداً. وهذا أمر غير مرغوب في الفهرسة الموضوعية، منها الأمثلة التالية:
ــ اشتراك الموظفين والعمال في الإدارة.
ــ السيرة النبوية ــ عصر الجهاد في سبيل نشر الدعوة.
ــ الأسماء والكنى والألقاب والأنساب في الحديث.

٨ ــ استخدمت بعض صيغ معروفة محلياً في مصر مع أنها مشهورة في دول عربية بصيغ أخرى. فإذا كانت هذه القائمة تهدف إلى أن تستخدم على نظام أوسع فيجب أن تأخذ في الاعتبار الاستخدام الشائع ثم البلاد العربية. ومن الأمثلة على هذه الصيغ الجيلاتي وهو معروف أكثر باسم آيس كريم.

ب ــ استخدام صيغ غير مناسبة

من خلال استعراض محتويات القائمة تبين وجود كثير من رؤوس الموضوعات غير مناسبة وبعضها غير صحيحة سواء من حيث الصياغة أو من حيث الموضوع نفسه. وأعتقد أن من الأسباب القوية لظهور هذه الصيغ غير الملائمة هو الخوض في الفروع الدقيقة لكل العلوم من قبل شخصين اثنين فقط، وهذا غير ممكن أن يتم بالصورة المثلى بدون الاستعانة بعدد من المتخصصين في بعض حقول المعرفة مثل العلوم والتكنولوجيا والفنون والعلوم العسكرية والعلوم الاجتماعية والعلوم الدينية وغيرها.

وقد جمعت أمثلة من القائمة أعتقد أنها غير مناسبة، وأشرت مع بعضها إلى السبب الذي جعل الرأس غير مناسب، وتركت رؤوس موضوعات أخرى بدون تعليق لأنني أشك في صحتها. وليست هذه الأمثلة القليلة هي كل شيء لأنني أشك في صحة رؤوس موضوعات أخرى، لكنني لم أقطع الشك باليقين، خاصة أنني لا أدعي المعرفة بكل الموضوعات ومصطلحاتها، ولذا فإنني أترك تقصي صحتها وملاءمتها إلى عامة المفهرسين والمتخصصين في فروع المعرفة وفيما يلي بعض الأمثلة:

ــ إزالة ملوحة مياه البحر انظر (مياه البحر، ازالة ملوحة) والأفضل (تحلية المياه المالحة).

ــ استحلال المعاصي
استحلال المعاصي كفر ويجب أن يكون رأس الموضوع واضحاً ومحدداً، ويعبر عن هذا الموضوع عادة بصيغ محددة منها:

العقوبات الشرعية

الحلال والحــرام

ــ الآباء (علم نفس)
ليس للآباء علم نفس وإنما هناك (علم نفس الطفل) وهو يؤدي نفس الغرض.

ــ آداب كتابة الحديث.
انظر الحديث، آداب كتابة.
إذا كان المقصود الحديث النبوي فهو يعرف اصطلاحاً بـ«تدوين الحديث» وإذا كان المراد الأحاديث والخطب فيمكن إدخالها باسم الأسلوب الأدبي أو مع الموضوع مباشرة مثل الخطابة.

ــ فن القتال
القتال ليس فناً حتى ولو قيل فهو مجاز.

ــ الكنائس ــ مباني
فمن المعروف أن الكنيسة مبنى، فهل يقال أيضاً المساجد ــ مباني.

ــ الأرباح الزائدة
فالأرباح دائماً تزيد عن رأس المال وإلا فما هو المقصود.

ــ الإيمان، الاصول التي تعتبر في
جملة طويلة ركيكة.

ــ البدع في الإسلام:

ليس في الإسلام بدع، بل الإسلام يحارب البدع. ويمكن تصحيح صياغة رأس الموضوع بجعلها (الإسلام والبدع).

ـ الإدارة، تدقيق

المعروف أن التدقيق في الشؤون المالية خاصة الحسابات.

ـ إدارة قضايا الحكومة

موضوع غير محدد، فأعمال الحكومة من أولها إلى آخرها إدارة.

ـ التوكيل (قانون مدني)

إن تحديد أو حصر التوكيل في القانون المدني يدل على عدم إلمام بأوجه التوكيل. فهناك أيضاً «توكيل شرعي» وليس له رأس موضوع في القائمة.

ـ ثلج السماء

نتج هذا من النقل من القوائم الأخرى بدون تمحيص، فقد نقلت هذه الصيغة غير المناسبة من قائمة الخازندار. فالمعروف أن الثلج الذي ينزل من السحاب يسمى بَرَداً. وقد حذف هذا الرأس من قائمة الخازندار في الطبعة الأخيرة.

ـ الثورة الزراعية:

يظهر أن إطلاق الثورات على كل علم أصبح مستساغاً من قبل البعض على قياس الثورة الصناعية وثورة المعلومات فماذا عن «الثورة الزراعية» هل يمكن تحديد مدلول هذه العبارة بوضوح.

ـ النساء في الحياة العامة.؟

ـ التقدمية

هذه الكلمة من الشعارات التي ليس لها مفهوم محدد، ولا تصلح كرأس موضوع.

ـ تكاليف ومستويات المعيشة

تكاليف المعيشة شيء ومستويات المعيشة شيء آخر. فينبغي وضع رأسي موضوع بدلاً من جمعهما في جملة واحدة.

ـ الإعلانات بالتليفزيون

بما أنه وضعت صيغ أخرى تتعلق بالتلفزيون مثل (الإخراج التليفزيوني) فالأفضل أن تكون الصيغ موحدة ويكون هذا الموضوع بصيغة «الإعلان التليفزيوني».

ـ التمثيل في المسرح

ـ التمثيل في السينما

استخدام حرف الجر في رأس الموضوع غير مستحب إلا عند الضرورة القصوى. وليس هنا ضرورة في مثل هذه الحالات، والأفضل منها:

ـ التمثيل المسرحي.

ـ التمثيل السينمائي.

ـ التعليم الأخلاقي

هل هناك تعليم خاص بالأخلاق، والصيغة المناسبة «التربية الأخلاقية».

ـ الجرح (الطهارة)

المعنى المقصود حسب اعتقادي هو «طهارة الجرح» خاصة في الفقه الإسلامي ومن الناحية الصحية.

ـ الجماجم

صيغة المفرد «الجمجمة» أفضل كأي جزء من أجزاء جسم الإنسان مثل العين أو الأذن.

ـ الحلف الإسلامي

ليس هناك حلف إسلامي. وقد بذل جلالة الملك فيصل رحمه الله جهوداً في جمع كلمة المسلمين ودعا إلى التضامن الإسلامي، فعارضت هذه الجهود أطراف عربية وناصبتها العداء ووصفت هذه المساعي بأنها لتكوين حلف إسلامي.

ـ الحيوانات قليلات الأشواك

الحيوانات كثيرات الأشواك

الملاحظة هنا لغوية فلا يجوز جمع الصفة، والصيغة الصحيحة (الحيوانات قليلة الأشواك)و(الحيوانات كثيرة الأشواك).

ـ الخصومات، عامل؟

ـ الخلوة (الزواج)

الخلوة المحرمة في الشرع هي مع أجنبية أما في حالة الزواج فهي مباحة ولا تسمى في هذه الحالة خلوة.

ـ الرافضية (فرقة إسلامية)

الاسم الصحيح هو الرافضة

ـ المدارس ـ جولات

هذا الموضوع غير محدد ولا يصلح بهذه الصيغة أن يكون رأس موضوع إلا إذا كان المقصود الجولات التي يقوم بها الموجهون التربويون على المدارس فتوضع بصيغة أخرى.

ـ الحج ـ زمن

الصيغة الصحيحة مواقيت الحج

ـ الحج ـ الخروج إلى منى والوقوف بعرفة

هذه جملة طويلة والموضوع نفسه يستحق التفصيل فالأفضل جعلها رأس موضوع.

الحج ـ الخروج إلى منى

الحج ـ الوقوف بعرفة

ـ الحجوزات

ماذا تعني؟ هل المقصود الحجز للسفر في الطائرات مثلاً، ويمكن التخصيص بإضافة كلمة بين قوسين.

ـ الحضارة والعرب

لا حاجة لمثل هذه الصيغة، خاصة أنه يوجد رأس موضوع «الحضارة العربية» ولو بقى فإنه يعتبر تكراراً.

ــ شحن السفن

هناك مدخل آخر باسم الشحن البحري

ــ زيارة مدينة الرسول (ﷺ)

الصحيح زيارة المسجد النبوي

ــ الزواج الداخلي

الزواج الخارجي

ما هو المقصود؟

ــ القسمة بين الزوجات

الاصطلاح المعروف شرعاً هو «العدل بين الزوجات»

ــ الرحالة ــ السعودية

التقسيم الجغرافي في مثل هذه الموضوع يكون بإضافة الصفة الدالة على البلد أو الجنس فيكون في مثل هذه الحالة «الرحالة السعوديون» مثل «التجار السعوديون» و«الرسامون السعوديون»، وهي صيغ مستخدمة مع موضوعات أخرى في نفس القائمة. فلماذا لا تثبت هذه القائمة على سياسة واحدة.

ــ الرؤيا

ــ الأحلام

ــ الأبصار

وجود هذه الصيغ الثلاث بالقائمة يثير شكوكاً أو تداخلاً واحتمالاً للتكرار، فالموضوع الأول يحتمل أن يكون بمعنى الحلم ويحتمل أن يكون بمعنى النظر أو الإبصار.

ــ الثقافة الجماهيرية

هذه من العبارات التي نسمعها تتردد في وسائل الإعلام ولكن مدلولها غير واضح وغير محدد، ومع هذا نجد هذه القائمة تقسم هذا الموضوع جغرافياً «الرياض ــ ثقافة جماهيرية».

ــ السيرة النبوية ــ من الميلاد حتى زواجه من خديجة. هذه صيغة في شكل جملة طويلة غير مستحبة في رؤوس الموضوعات. وهذا الموضوع معروف عند علماء التاريخ والدين الإسلامي باسم (ما قبل البعثة) أما إذا أريد به التفصيل فيمكن وضع عدد من رؤوس الموضعات مثل:

السيرة النبوية ــ الولادة

السيرة النبوية ــ الطفولة

السيرة النبوية ــ الصبا

ــ مكتبات الشباب

على هذا الأساس يمكن وضع مكتبات أخرى حسب العمر مثل مكتبات الكهول وهذا غير مستحب، فالمكتبة يمكن أن تخدم الجميع شباباً وكهولاً. أما الأطفال فلهم مكتبات خاصة تقوم في نفس الوقت بخدمة الشباب الصغار في السن، أما الشباب من سن المراهقة فتتم خدماتهم في مكتبات الكبار.

ــ الشهادات، الرجوع؟

ــ الصلاة ــ قضاء الفوائدة

الاعتراض على الكلمة الأخيرة لأن صحتها الفوائت وقد تكون خطأ مطبعياً.

ــ ضبط الأشغال انظر الأشغال ضبط؟

ــ الطابع القومي

هل يمكن تحديد مجال هذا الطابع.

ــ طب المجتمع

كل تخصصات الطب هدفها خدمة الإنسان في المجتمع. أما إذا كان المقصود هو الصحة العامة الوقائية أوصحة البيئة فيعبر عنها بالصيغ المناسبة. ويلاحظ وجود رؤوس موضوعات كافية مثل:

الصحة العامة

الصحة الاجتماعية

ــ الطلاب انظر الطلبة

الصيغة الأولى أفضل، خاصة إذا رغبنا في التذكير والتأنيث «طلاب» و«طالبات».

ــ العاطفية

الصحيح العاطفة

ــ علم التوحيد

انظر علم الكلام

ــ علم أصول الدين

انظر علم الكلام

فالتوحيد ليس هو علم الكلام وكذلك دراسة أصول الدين ليست هي علم الكلام، فأهل الكلام تكلموا عن الدين من منطلق فلسفي. أما التوحيد فهو توحيد الله ضده الشرك بالله. فالإحالات هنا خاطئة (انظر أيضاً الحاشية مع علم الكلام)

ــ الفقه الإسلامي، علم

لا حاجة لإطلاق لفظ علم على الفقه الإسلامي فهو معروف بدونه.

ــ علم المواعظ

من خلال الحاشية لهذا الرأس عرفت أنه يتصل بالمواعظ المقتبسة من السنة النبوية وهو بهذه الصيغة غير واضح. فالأفضل صيغة المواعظ الدينية.

ــ علم النفس الصيدلي

المعروف علم النفس العلاجي
ــ العلوم ــ البحوث
المعروف أن هناك بحوثاً علمية
ــ القانون (مهنة)
من يجعل القانون مهنة هم المحامون ولذا فان الصيغة فالصيغة الصحيحة هي «المحاماة» وهي موجودة في القائمة كرأس موضوع. ولذا فإن هذه الصيغة لا داعي لها خاصة مع وجود رأس موضوع آخر هو المحامون .
ــ القرآن ــ أحكام
ــ القرآن ــ أحكام (المعاني المتعلقة بالأحكام)
ــ القرآن ــ الأحكام التي اشتمل عليها
التكرار واضح والموضوع لايحتاج إلى إدخال إضافات، سواء بين قوسين أو بدون.
ــ القرآن ــ أقسام
ما هو المقصود بأقسام القرآن. هل المقصود الأجزاء أم الأيمان؟.
ــ قصر الأبصار
لماذا لا نلتزم بالمصطلحات الشائعة التي يستخدمها أطباء العيون وهو «قصر النظر».
ــ المآتم ــ ذبح الذبائح وعمل الأطعمة؟.
ــ المبانى ــ محاسبة
المباني نفسها ليس لها محاسبة أما المحاسبة للنشاطات داخل المباني فتدخل حسب موضوعها، أما إذا كان المقصود إيجارات المباني فتدخل حسب صيغتها المناسبة.
ــ المكتبات القومية
لا أعلم لماذا تحاول هذه القائمة أن تغير المصطلحات الشائعة المعروفة، فالمكتبة الوطنية معروفة في علم المكتبات بهذه الصيغة.
ــ المصاحف العثمانية
صيغة المفرد «المصحف العثماني» أعم وأفضل
ــ النباتات الخشبية
كل النباتات خشبية، أما إذا كان المقصود الأشجار الكبيرة فهي تدخل برأس موضوع الأخشاب وهو موجود بالقائمة.
ــ نظرية التعسف (فقه إسلامي)
ــ نظرية الضمان (فقه إسلامي)
ــ نظرية العقد (فقه إسلامي)
ليس في الإسلام نظريات
ــ السلع ــ تصريف
تصريف السلع يعني (التسويق) و(البيع) وهي صيغ موجودة في القائمة.

جـ ــ الأسماء في القائمة

إذا نظرنا إلى القائمة نجد أن نسبة كبيرة من محتوياتها ليست رؤوس موضوعات حقيقية. فهي أما تكرار لرؤوس موضوعات أخرى بضيغ مختلفة أو تسجيل لأسماء أشخاص أو حيوانات أو نبات أو أسماء جغرافية أو أسماء هيئات أو منظمات أو غير ذلك. ومن الأسس المعروفة لبناء قوائم رؤوس الموضوعات أن يتم اختيار اسم واحد من كل فئة كمثال قياسي، بحيث تضاف الأسماء من قبل المفهرس عند الاحتياج أثناء الفهرسة الموضوعية، إلا أن هذه القائمة أخذت اتجاهاً مختلفاً تماماً وذلك بحشر مئات من الأسماء، بل نجد كثيراً من الأسماء، خاصة الأسماء الجغرافية لكل منهما إحالة وتفريعات، وهذا يعني أن العدد يصل إلى الآلاف من رؤوس الموضوعات والإحالات. وعند استعراض السياسة المتبعة لبناء هذه القائمة جاء في صفحة ٥٤ من المقدمة العبارة التالية: «وككل القوائم استبعدت أسماء الأعلام عموماً وكنا في بعض الأحيان نحاول الحصر لظروف قومية ومصرية ونغرق في هذه الأمثلة وهو أمر محمود غير مذموم».

وفي هذا القول تناقض واضح في المنهجية. فإغراق القائمة بالأسماء ليس أمراً محموداً ويتعارض مع الأسس الحديثة لبناء قوائم رؤوس الموضوعات إلا إذا كان الهدف هو زيادة عدد رؤوس الموضوعات في هذه القائمة حتى تصل إلى ٢٥٫٠٠٠ رأس موضوع فإن الأسماء وسيلة سهلة لتكوين عشرات الآلاف من رؤوس الموضوعات. وتمثل كتب التراجم مثل الأعلام اللزركلي مصدراً لآلاف الأسماء. ويمكن بهذا الأسلوب تسجيل أسماء لا حصر لها واعتبارها رؤوس موضوعات في القائمة كأسماء الحيوانات والطيور والفواكه والخضار وأسماء الهيئات والمنظمات وغيرها كثير. ومن المجموعات التي شملتها القائمة الأسماء التالية:

١ ــ أسماء الأشخاص
لم يقتصر الأمر على مثال واحد بل شمل عدداً من الأسماء بعضها جاء مع تقسيمات شكلية ووجهية وهم طه حسين، جمال عبد الناصر، محمود مختار، وشكسبير
كما سجلت الكثير من أسماء الأعلام، خاصة أعلام التراث مثل البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه والشافعي وغيرهم.

٢ ــ أسماء البلدان والمناطق الجغرافية
لم تكتف القائمة بمثال واحد للدول بل أخذت كل من مصر والسعودية وكذلك أسماء المدن أخذت كل من القاهرة والرياض. ويتبع كل اسم تقسيمات جغرافية كاملة للموضوعات. وهذا يبين تضخم رؤوس الموضوعات في

القائمة. هذا عن الأمثلة التي تعتبر قياسية بموجب التفريعات المرافقة لها. أما الأسماء الجغرافية الأخرى فقد سجل في القائمة أسماء جغرافية أكثرها غير معروف لعامة المفهرسين وخاصة الأسماء الجغرافية في مصر (انظر ص ١١٧٧ ــ ١٢٠٥) مثل هيها، المراغة، قويسنا، اشمون، اسنا.

٣ ــ أسماء الأحزاب

٤ ــ أسماء الهيئات والمنظمات.

ولم يقتصر الأمر على مجرد ذكر الأسماء، بل نجد مجموعة كبيرة من الأسماء تقسم شكلياً ووجهياً وجغرافياً وزمانياً. (انظر تفصيل ذلك في القسم الخاص بتفريع رؤوس الموضوعات). وللدلالة على هذا الاتجاه الذي تسير عليه هذه القائمة في حشد الأسماء أشير إلى ما ظهر في الطبعة التاسعة لقائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس من اتجاهات حديثة، منها الاتجاه إلى حذف معظم أسماء المؤلفين وأسماء مجموعات الأعمال الفنية المرتبطة بأسماء الأشخاص وحذف أسماء مناطق مدن وعواصم. والهدف من هذا الحذف هو إضافة رؤوس موضوعات جديدة تكون الحاجة لها أكثر بدون تضخم حجم القائمة.

د ــ التكرار

يظهر في القائمة تكرار لرؤوس الموضوعات بوسائل مختلفة يمكن حصرها في:

١ ــ تكرار الموضوع الواحد بصيغة أو صيغ مختلفة وهذا يعني وجود مرادفات.

٢ ــ تكرار التقسيمات الشكلية والوجهية والجغرافية والزمنية.

من خلال تتبع رؤوس الموضوعات في القائمة تم حصر أمثلة من تكرار رؤوس موضوعات.

أما الأسلوب المتبع في عرض هذه الأمثلة فهو جمع الصيغ المتعددة لنفس الموضوع لإظهار التكرار بينها، وفي بعض الحالات يتم التعليق على الأمثلة إذا كان القصد من الإشارة إليها غير واضح.

ــ الأزمنة الجيولوجية
العصور الجيولوجية
الدهور الجيولوجية
العهود الجيولوجية

ــ التليفزيون التعليمي
التعليم بالتليفزيون

ــ التوثيق العقاري
الشهر العقاري

ــ التعليم الجامعي
التعليم العالي

ــ النشل
جرائم النشل

ــ الجسور
الكباري

ــ القتل
جريمة القتل

ــ الجنايات
الجرائم

ــ التدريب المهني
التأهيل المهني
التعليم المهني

ــ حجاب المرأة
الحجاب والسفور

ــ التكتيك الحربي
الحرب التكتيكية

ــ الحلال والحرام
الحظر والإباحة

ــ أحياء المياه العذبة
حيوانات المياه العذبة

ــ الخداع
الخدع

ــ الخطابة الدينية
الخطب الدينية

ــ الدفع مقدماً
الدفع قبل التوريد
الفنية

ــ الزنادقة (فرقة إسلامية)
الزندقة انظر الإلحاد والملحدون
تناقض بين رأس الموضوع (الزنادقة) والإحالة.

ــ الساعات ــ تصليح
الساعات ــ صيانة

ــ الدوام انظر الحضور والانصراف
ساعات العمل

أليس الدوام هو ساعات العمل، وإذا كان لفظ الدوام غير مناسب واستبدل بالحضور والانصراف فلماذا نضع رأس موضوع آخر هو ساعات العمل.

ــ الشعر الشعبي السعودي
الشعر النبطي السعودي
ــ الصحافة السعودية
الصحف السعودية
ــ الصحافة العربية
الصحف العربية
ــ الصحافة المصرية
الصحف المصرية
ــ الحرف اليدوية
الصناعات اليدوية
ــ الطرق، سفلته
رصف الطرق
ــ الطائرات الحربية
الطيران الحربي
ــ الطائرات الشراعية
الطيران الشراعي
ــ الطائرات المدنية
الطيران المدني
ــ الطب ــ ممارسة
الطب (مهنة)
ــ العلاج بالقراءة
القراءة العلاجية
ــ العمال
العمل والعمال
من المعروف أنه إذا جمع موضوعان في رأس موضوع مثل «العمل والعمال» أن يحال من الموضوع الثاني إلى الصيغة المستخدمة مثل العمال انظر العمل والعمال ولذا يصبح الرأس الأول إحالة.
ــ فلاحة
زراعة
ــ الفيضانات ــ تحكم
الفيضانات ــ ضبط
ــ القتل، اعتبار حالته (فقه إسلامي)
القتل في الإسلام
الصيغة الثانية وافية بالغرض وتغطي كل جوانب الموضوع.
ــ القرآن ــ نزول
القرآن ــ أسباب النزول

ــ الإذاعـة
الإذاعة المسموعة انظر الراديو
هذا تناقض، فالإذاعة هي الإذاعة المسموعة، مادامت القائمة خصصت رأس موضوع للتلفزيون «الإذاعة المرئية»
ــ الكيمياء النباتية
الكيمياء الزراعية
ــ المدخلات
المخرجات
المدخلات والمخرجات
يلاحظ جمعهما في رأس موضوع بينما ظهر كل موضوع برأس موضوع خاص.
ــ المسرحيات ــ السعودية
المسرحيات العربية ــ السعودية
المسرحيات السعودية
هذا التكرار أحد نتائج عدم دقة المنهجية. فالتقسيم الجغرافي ظهر مرة بإضافة الصفة الدالة على البلد أو الجنس ومرة أخرى باستخدام الشرطة فظهر التكرار.
ــ الموازين والمقاييس
المواصفات القياسية
ــ النايلون
البلاستيك
ــ النساء في مصر
النساء المصريات
رغم ان الصيغة الأولى قد تشمل نساء غير مصريات فإن وجود صيغة أخرى تعني وجود تكرار لأن النسبة العظمى من النساء في مصر هن المصريات
ــ الملاهي الليلية
النوادي الليلية
ــ الصناعة
التصنيع

بالإضافة إلى التكرار بصيغ مختلفة نجد أيضاً تكرار التقسيمات الشكلية والوجهية والجغرافية. فالتفريعات الوجهية للأدب مثلاً متشابهة في كل اللغات من شعر وقصة ومقالة.. الخ وكذلك التقسيمات الشكلية مثل تاريخ ونقد. فإذا تم وضع مثال متكامل، وليكن الأدب العربي، معه كل التفريعات. فلا تذكر هذه التفريعات مع الآداب الأخرى مثل الأدب الفرنسي أو الأدب الانجليزي بل يزود رأس الموضوع

بحاشية توجه بأنه يقسم مثل الأدب العربي. وهذه الأسس معروفة في بناء قوائم رؤوس الموضوعات ولكن لم يلتزم بها في هذه القائمة. ولذا نجد موضوعات الأدب تشغل ثلاث عشرة صفحة (١٢٨ — ١٤٠) بسبب تكرار التقسيمات الوجهية والشكلية، منها على سبيل المثال:

الأدب الأمريكي — تاريخ
الأدب الأمريكي — مجموعات
الأدب الأمريكي — نقد

فهذه وغيرها من التقسيمات تكررت مع الآداب التالية.

الأدب الاسباني
الأدب الانجليزي
أدب الأطفال
الأدب الألماني
الأدب الايطالي
الأدب الديني
ادب الشباب
الأدب الشعبي
الأدب العربي

من الأمثلة الأخرى الواضحة على تكرار التقسيمات الوجهية رؤوس موضوعات الطب فنجد مع كل عضو من جسم الإنسان تقسيمات وجهية مثل:

الأذن — أمراض
الأذن — تشريح
الأذن — جراحة
الأذن — فسيولوجيا

ثم تكررت هذه التقسيمات وغيرها مع أعضاء جسم الإنسان الأخرى وهي:

الأنف
الرأس
الرئتان
العين
الجلد
القدمان
القلب
اليدين
الفم
المخ
المخيخ
الوجه
الشعر

التكرار ظاهر أيضاً بشكل جلي مع التقسيم الجغرافي، حيث نجد مع رأس الموضوع الواحد أكثر من اسم جغرافي، وهذا يتناقض مع الأسس الصحيحة لبناء قوائم رؤوس الموضوعات، حيث يقتصر على وضع مثال مع رأس الموضوع المراد تقسيمة جغرافياً، أما في هذه القائمة فنجد مع رأس الموضوع أكثر من اسم جغرافي، ويكفي للدلالة على ذلك الإشاره إلى صفحة ٢٥٨ حيث نجد عدة رؤوس موضوعات قسمت مع كل من السعودية ومصر.

١ — الإنتاج الزراعي — السعودية
الإنتاج الزراعي — مصر
٢ — الإنتاج السينمائي — السعودية
الإنتاج السينمائي — مصر
٣ — الإنتاج الصناعي — السعودية
الإنتاج الصناعي — مصر
٤ — الإنتاج المسرحي — السعودية
الإنتاج المسرحي — مصر

فما الفائدة من تكرار رأس الموضوع مع أكثر من بلد إلا زيادة عدد رؤوس الموضوعات في هذه القائمة. فلو حسبنا عدد المداخل في هذه الصفحة لوجدناها ١٦ مدخلاً نصفها مداخل للتقسيم الجغرافي. فإذا قبلنا وجود مثال مع كل رأس موضوع فإن ٤ مداخل على الأقل مكررة تمثل ٢٥٪ من محتويات الصفحة. ويقاس على ذلك حالات أخرى يمثل فيها التكرار قدراً كبيراً.

هـ — تفريع رؤوس الموضوعات

بالغت هذه القائمة في تفريع رؤوس الموضوعات حيث نجد أغلب رؤوس الموضوعات تفرع إما شكلياً أو وجهياً أو جغرافياً أو زمنياً، وفي حالات أخرى نجد للموضوع الواحد أكثر من تفريع، أو بمعنى أوضح يأخذ كل أنواع التقسيمات. ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من نتائج غير مروغوب فيها وهي:

١ — تكرار التفريعات يزيد من عدد رؤوس الموضوعات بدون حاجة ويؤدي إلى تضخم القائمة مع أن هذا لا يعكس شمول التغطية لأن تكرار التفريعات يعطي زيادة وهمية في عدد رؤوس الموضوعات، لأن القوائم السليمة تعطي فقط أمثلة قياسية.

٢ — ظهور تفريعات غير صحيحة. لأن بعض الموضوعات لا تأخذ كل أنواع التفريعات. ومع ذلك نجد في هذه القائمة منهجية مختلفة عن الأسس المعروفة، حيث نجد موضوعات

أخذت تفريعات جغرافية أو زمانية لا تناسبها.

التفريعات الجغرافية

قسمت بعض الموضوعات جغرافياً مع أن طبيعتها لا ترتبط بمكان أو تقتصر على نطاق جغرافي محدد. فليس من الممكن تفريع كل الموضوعات جغرافياً. فقد وجد في القائمة المثال التالي الذي تم تفريعه جغرافياً.

الإسلام. مبادىء عامة (بقسم جغرافيا)

الإسلام. مبادىء عامة ــ مصر.

فمبادىء الإسلام واحدة وثابتة في أي مكان ولا تتغير مع تغير المكان. ونظراً لأن القائمة درجت على التقسيم الجغرافي لكل رأس موضوع فقد نتج عن ذلك تركيبه من رؤوس الموضوع المتناقضة. فمثلاً رأسا موضوع

الأدب الشعبي

الأدب الشعبي العربي

جرى تفريعهما جغرافياً فظهرا بالصيغتين التاليتين:

الأدب الشعبي ــ السعودية

الأدب الشعبي العربي ــ السعودية

بهذا أوجد نوعاً من التكرار والتناقض. فهل هناك أدب شعبي غير عربي في السعودية.

كما يظهر التناقض واضحاً في الأساليب المستخدمة للتقسيم الجغرافي للقائمة، فقد جاء في صفحة ٢٣٠ وتحت رأس موضوع «الأقليات» أنه يقسم جغرافياً بإضافة التقسيم «السكان الأجانب» مثل السعودية ــ السكان الأجانب

وفي نفس الصفحة ظهر رأس موضوع «الأقليات» مع التقسيم الجغرافي بالصيغة التالية:

الأقليات ــ السعودية

فكيف يمكن تفسير هذا التناقض والتكرار.

ومع أن التقسيم الجغرافي لبعض الموضوعات يتم بإضافة الصفة الدالة على الجنس أو البلد فإن هذه الصيغة لا تناسب بعض الموضوعات، فرأس الموضوع «الأخلاق» ليس من المناسب تفريعه مع كل دولة إذا كانت تشترك مع غيرها في المبادىء والأسس الاخلاقية. وقد تفرع رأس الموضوع في القائمة بصيغة «الأخلاق السعودية» وهي غير مناسبة لأن السعوديين عرب مسلمون وأخلاقهم هي الأخلاق العربية والأخلاق الإسلامية. ويمكن التقسيم جغرافياً بالشكل التالي «الأخلاق العربية ــ السعودية». وقد لوحظ وجود تفريعات لموضوعات مع كل من مصر والسعودية. وما يناسب دولة قد لا يتفق مع الأوضاع في الدولة الأخرى.

التفريعات الزمنية

التفريع الزمني يستخدم للدلالة على معالجة موضوع في فترة زمنية، لذا فإنه لا يجوز ربط موضوع بفترة زمنية ليس له صلة بها. والملاحظ أن القائمة تفرع الموضوعات بشكل آلي، حيث يتم تقسيم الموضوعات زمنياً في فترات ليس للموضوع صلة بها حيث لم يوجد الموضوع في تلك الفترة. فالمملكة العربية السعودية على سبيل المثال دولة حديثة النشأة تأسست في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ومعنى هذا أن تقسيم الموضوعات زمنياً يقتصر على ما يتصل بالفترات منذ إنشائها حتى العصر الحديث. أما في هذه القائمة فإن تقسيمها للموضوعات المتعلقة بالسعودية يعود إلى العصر الجاهلي قبل الإسلام، وهذا يخالف الواقع ويُظهر في نفس الوقت عدم فهم حقيقة الوضع الجغرافي والتاريخي للسعودية، فالمملكة السعودية تشغل الجزء الأكبر من جزيرة العرب، ومعنى هذا أن أي موضوع يتصل بشبه جزيرة العرب في العصور التاريخية السابقة لنشأة الدولة السعودية ينسب إلى الدولة الإسلامية والتاريخ الإسلامي. فالأدب العربي لسكان هذه المنطقة هو الأدب العربي لأنها بلاد العرب. لذا فإن التقسيم الزمني لهذه الموضوعات في القائمة غير ملائم، كما في الأمثلة التالية:

الأدب العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر الجاهلي.

الأدب العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ عصر صدر الإسلام.

الأدب العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر الأموي.

الأدب العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر العباسي الأول.

الأدب العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر العباسي الثاني.

مثال آخر :

الشعر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر الجاهلي.

الشعر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ المخضرمون.

الشعر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ عصر صدر الإسلام.

الشعر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر الأموي.

الشعر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر العباسي الأول.

الشعر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر العباسي الثاني.

الشعر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر العباسي الثالث.

الشعر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر الأندلسي.

الشعر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر المملوكي.

مثال آخر :

النثر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر الجاهلي.

النثر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ المخضرمون.

النثر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ عصر صدر الإسلام.

النثر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر الأموي.
النثر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر العباسي الأول.
النثر العربي ــ السعودية ــ تاريخ ــ العصر العباسي الثاني.

ومن الموضوعات أو التسميات التي عرفت حديثاً عبارة «العالم العربي» لذا فإن التقسيم الزمني لهذا الموضوع يقتصر علي العصر الحديث ولا يجوز أن يتطرق إلى الفترات الموغلة في القدم منذ العصر الجاهلي وكل عصور التاريخ العربي والإسلامي لأن هذه المنطقة كانت تعرف بالدولة الإسلامية، ودراستها زمنياً تتم من خلال دراسة «التاريخ الإسلامي» بالإضافه إلى دراسة كل بلد أو منطقة على حدة مثل الشام أو العراق. ومع ذلك نجد هذه القائمة تقسم هذا الموضوع زمنياً بطريقة غير مقبوله كالتالي:

العالم العربي ــ تاريخ ــ العصر الجاهلي.
العالم العربي ــ تاريخ ــ عصر صدر الإسلام.
العالم العربي ــ تاريخ ــ العصر الأموي.
العالم العربي ــ تاريخ ــ العصر العباسي الأول.
العالم العربي ــ تاريخ ــ العصر العباسي الثاني.
العالم العربي ــ تاريخ ــ العصر العباسي الثالث.
العالم العربي ــ تاريخ ــ العصر العباسي الرابع.
العالم العربي ــ تاريخ ــ العصر الأيوبي.

و ــ التوازن بين الموضوعات

من الأسس الهامة في بناء قوائم رؤوس الموضوعات أن يراعى التوازن في تغطية كافة الموضوعات بنفس المستوى من التفصيل، فلا يجوز أن يطغى موضوع أو عدة موضوعات وفي نفس الوقت تهمل أو يقل الاهتمام بالموضوعات الأخرى، وهذا الوضع يمكن أن يعبر عنه بالانبعاج في تغطية الموضوعات. هذا الوضع يحصل في الحالات التي يكون للشخص أو الأشخاص القائمين بالعمل خبرة أو اهتمام أو ميل إلى موضوعات معينة، وفي نفس الوقت إغفال الموضوعات الأخرى.

وبالنسبة لهذه القائمة نجد عدم التوازن الكامل في تغطية الموضوعات حيث نجد إغراقاً أو تفضيلاً في تغطية موضوعات معينة وفي نفس الوقت عدم إعطاء موضوعات هامة أخرى العناية الكافية. فمثلاً لوحظ اهتمام بتفضيل موضوعات التصوف الإسلامي أكثر من أي موضوع ديني آخر، ولا يعرف الدافع لهذا الاتجاه. ومن المؤكد أن التصوف الإسلامي يمكن تغطيته موضوعياً من خلال رؤوس موضوعات رئيسية محددة تعد على أصابع اليدين. لكن هذه القائمة خصصت له ١٣٧ رأس موضوع. وهذا يعني ذكر جزئيات هذا الموضوع في قائمة رؤوس موضوعات عامة ليست متخصصة.

فلو قارنا موضوع التصوف الإسلامي بموضوعات هامة أخرى مثل السيرة النبوية فقد خصص لها فقط ثمانية رؤوس موضوعات وهذه ليست كافية مقارنة بالتفصيل للموضوع الآخر، ورغبة في تأكيد ما أشرت إليه أقدم هنا حصراً كاملاً برؤوس موضوعات التصوف كما وردت في القائمة:

الأبدال (تصوف إسلامي).
الاتحاد والحلول (تصوف إسلامي).
الاتصال (تصوف إسلامي).
الاجتماع الإلهي (تصوف إسلامي).
الأخسنية (طرق صوفية).
الأحمدية (طرق صوفية).
الإخلاص (تصوف إسلامي).
الأدب (تصوف إسلامي).
الإرادة (تصوف إسلامي).
الاستقامة (تصوف إسلامي).
إسقاط التدبير (تصوف إسلامي).
الإشراق (تصوف إسلامي).
الأفراد السبعة (تصوف إسلامي).
الأفضلية (طرق صوفية).
الإمامان (تصوف إسلامي).
الإنسان الكامل (تصوف إسلامي).
الأوتاد الخمسة الأركان (تصوف إسلامي).
الأويسية (طرق صوفية).
البجورية (طرق صوفية).
البكتاشية (طرق صوفية).
البكرية (طرق صوفية).
البوادة والهجوم (تصوف إسلامي).
البيوامية (طرق صوفية).
البيومية (طرق صوفية).
التأمل (تصوف إسلامي).
التجريد والتزيد (تصوف إسلامي).
ترك الشهوة (تصوف إسلامي).
التقوى (تصوف إسلامي).
التلوين والتكمين (تصوف إسلامي).
التواجد والوجد (تصوف إسلامي).
التواضع (تصوف إسلامي).

التوبة (توف إسلامي).
التوحيد (تصوف إسلامي).
الجود والسخاء (تصوف إسلامي).
الجوع (تصوف إسلامي).
الحال (تصوف إسلامي).
الحدادية (طرق صوفية).
الحرية (تصوف إسلامي).
الحزن (تصوف إسلامي).
الحسد (تصوف إسلامي).
الحمزوية (طرق صوفية).
الحياة (تصوف إسلامي).
الخانقاوات (تصوف إسلامي).
الخشوع (تصوف إسلامي).
الخضرية (طرق صوفية).
الخلق (تصوف إسلامي).
الخلوة العزلة (تصوف إسلامي).
الخواطر (تصوف إسلامي).
الخوف (تصوف إسلامي).
الدرقاوية (طرق إسلامية).
الدعاء (تصوف إسلامي).
الذكر (تصوف إسلامي).
الذوق والشرب (تصوف إسلامي).
الرجاء (تصوف إسلامي).
الرجبيون (تصوف إسلامي).
الرضا (تصوف إسلامي).
الرفاعية (طرق صوفية).
الزينبية (طرق صوفية).
الستر والتجلي (تصوف إسلامي).
السر (تصوف إسلامي).
السرهندية (طرق صوفية).
السماع (تصوف إسلامي).
الشاهد (تصوف إسلامي).
الشوق (تصوف إسلامي).
شيخ السجادة (تصوف إسلامي).
الصبر (تصوف إسلامي).
الصحبة (تصوف إسلامي).
الصحو والسكر (تصوف إسلامي).

الصوت (تصوف إسلامي).
الصفوية (تصوف إسلامي).
الصمت (تصوف إسلامي).
الطمأنينة (تصوف إسلامي).
العبودية (تصوف إسلامي).
العباسية (طرق صوفية).
العثمانية (طرق صوفية).
العشائية (طرق صوفية).
العصباء الخمسمائة (تصوف إسلامي).
العلائية (طرق صوفية).
علم اليقين (تصوف إسلامي).
العلوية (طرق صوفية).
العمرية (طرق صوفية).
العيدروسية (طرق صوفية).
العيسوية (طرق صوفية).
الغوث (تصوف إسلامي).
الغيبة والحضور (تصوف إسلامي).
الغيبية (طرق صوفية).
الغيرة (تصوف إسلامي).
الفتوة (تصوف إسلامي).
الفديكية (تصوف إسلامي).
الفقر (تصوف إسلامي).
القادرية (طرق صوفية).
القبض والبسط (تصوف إسلامي).
القرب والبعد (تصوف إسلامي).
القرنوية (طرق صوفية).
القلندرية (طرق صوفية).
القناعة (طرق إسلامية).
الكبر (تصوف إسلامي).
الكبروية (طرق صوفية).
الكتاب (طرق صوفية).
الكشف والمعرفة والإلهام (تصوف إسلامي).
المتبولية (طرق صوفية).
المجاهدات والمعاملات (تصوف إسلامي).
المجددية (تصوف إسلامي).
المحاضرة والمكاشفة (تصوف إسلامي).
المحبة (تصوف إسلامي).

المدنية (طرق صوفية).

المراقبة (تصوف إسلامي).

المغربية (طرق صوفية).

الملامنية (طرق صوفية).

المهدية (طرق صوفية).

النجباء السبعون (تصوف إسلامي).

النفس (تصوف إسلامي).

النقباء الثلاثماية (تصوف إسلامي).

النقشبندية (طرق صوفية).

النميمة (تصوف إسلامي).

الهاتف (تصوف إسلامي).

الهيبة والأنس (تصوف إسلامي).

الورع (تصوف إسلامي).

الوقت (تصوف إسلامي).

الولاية (تصوف إسلامي).

اليسوية (طرق صوفية).

ولم تكتف القائمة بهذه الموضوعات في التصوف الإسلامي وحصر الطرق الصوفية، بل نجد رأس الموضوع التصوف الإسلامي، يفرع شكلياً ووجهياً (ص ٤٠٢ ــ ٤٠٤) وشمل رؤوس الموضوعات التالية:

التصوف الإسلامي ــ تاريخ.

التصوف الإسلامي ــ مدارس.

التصوف الإسلامي ــ المدارس الأولى.

التصوف الإسلامي ــ مدرسة الاتحاد والحلول.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة الإشرافية السهرورية.

التصوف الإسلامي ــ مدرسة البصرة.

التصوف الإسلامي ــ مدرسة بغداد.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة الجنيدية.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة الحكيمية.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة الخرازية.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة الحنيفية.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة السلفية.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة السنية.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة السهلية.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة السيارية.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة الطيفورية.

التصوف الإسلامي ــ مدرسة الشام.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة القصارية.

التصوف الإسلامي ــ مدرسة الكوفة.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة المحاسبية.

التصوف الإسلامي ــ مدرسة المدينة.

التصوف الإسلامي ــ مدرسة مصر.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة الملاقية.

التصوف الإسلامي ــ المدرسة النورية.

التصوف الإسلامي ــ مدرسة نيسابور.

التصوف الإسلامي ــ مدرسة وحدة الوجود.

التصوف الإسلامي ــ مصادر.

التصوف الإسلامي ــ المقامات والأحوال والاصطلاحات.

التصوف الإسلامي ــ نظريات.

هناك موضوعات لم تدرج نهائياً إلا مع التصوف مثل «الحزن» «الدعاء» رغم أن هذه الصيغ عدلت في الموضوعات الأخرى مثل الدعاء انظر الأدعية والأوراد. لم يكتف بالموضوعات الصوفية بل قسم أيضاً الشعر الصوفي جغرافياً مثل الشعر الصوفي السعودي.

كما أن التوازن لا يقتصر فقط على رؤوس الموضوعات، بل يشمل أيضاً الإحالات (انظر ما يتعلق بإحالات انظر أيضاً في القسم الخاص بالإحالات في هذه الدراسة).

ز ــ الإحــــالات

استخدم في القائمة كل أنواع الإحالات.

إحالة انظر.

إحالة انظر أيضاً.

إحالة انظر من.

إحالة انظر أيضاً من.

الإحالات العامة.

لذا فإن هناك شبكة من الإحالات لها فوائد كبيرة لكل من المفهرس والباحث، وتمتاز هذه القائمة عن القوائم العربية الأخرى باستخدام إحالات انظر أيضاً من، ومع هذا يجب أن تستخدم الإحالات بحكمة وتعقل، لأن الإكثار من الإحالات له نتائج عكسية ضارة لكل من المفهرس والقارىء. وتؤكد المصادر أن الفهرس المكتمل الإحالات يصبح معقداً للغاية[1] لأنه يسبب صعوبات في الترتيب الهجائي والبحث في الفهارس. معنى هذا أنه يجب أن تستخدم الإحالات في حدود معقولة وعدم وضع إحالات كثيرة غير ضرورية. لكن إذا نظرنا إلى هذه القائمة نجد الإكثار من الإحالات

خاصة إحالات انظر بدون حاجة إلى الكثير منها. ويبدو أن الرغبة أو التطلع إلى زيادة عدد رؤوس الموضوعات والإحالات دفعا إلى هذا الاتجاه. ويمكن أن نلخص الملاحظات عن الإحالات في الجوانب التالية:

١ — حشد عدد كبير من إحالات انظر بدون حاجة لها لأن الموضوع المحال إليه معروف ولا يتطلب وجود إحالة كما في الأمثلة التالية:

إقليم مصر انظر مصر

اتحاد إمارات الخليج انظر الإمارات العربية المتحدة.

موسى — عيون انظر عيون موسى.

الشعبيات انظر الأدب الشعبي.

الدنيا انظر الأرض.

السهاد انظر الأرق.

الأدب، أسلوب انظر الأسلوب الأدبي.

٢ — وجدت إحالات خاطئة، منها الحالات التالية:

— الشعر الوطني انظر الشعر الحماسي.

فالشعر الوطني قد يكون في أي مجال وليس بالضرورة شعراً حماسياً.

— العنة انظر العقم.

الإحالة هنا خاطئة لأن العقم هو عدم الإنجاب لكن العنة هي عدم القدرة على المباشرة الجنسية فقد يكون الرجل عقيماً ولكنه ليس عنيناً.

— فارس انظر إيران.

الفارس هو ذلك الشخص الذي يمتطي الفرس أما إيران فهي بلاد فارس أو بلاد الفرس.

— فهرسة المواد غير المطبوعة انظر المواد غير المطبوعة — فهرسة.

— القشرة الأرضية انظر الغلاف الجوي.

فالقشرة شيء والغلاف الجوي شيء آخر مختلف.

وهذا الخطأ وقعت فيها قائمة الخازندار وأشرت إلى ذلك عند دراستي لتلك القائمة فجاءت هذه القائمة تكرر نفس الخطأ بسبب النقل من القوائم الأخرى بدون تمحيص. وليست هذه هي الإحالة الوحيدة المنقولة خطأ من الخازندار.

— مصادر التشريع الإسلامي — انظر الأدلة الشرعية.

مصادر التشريع الإسلامية أربعة هي القرآن والسنة والإجماع والقياس.

أما الأدلة الشرعية فهي ما تؤخذ من المصادر. ولا يصلح أن يكون موضوع المصادر إحالة بل هو موضوع قائم بذاته.

— الإصابات انظر الجروح.

فالإصابات لا تقتصر على الجروح بل تشمل الكسور والحروق.

— الآخرة انظر القيامة، يوم.

يوم القيامة بداية الحياة الآخرة وليس مرادفاً لها.

— الأمراض الخبيثة انظر الأمراض التناسلية.

فالأمراض الخبيثة ومنها الأورام الخبيثة (السرطانية) ليست كلها أمراضاً تناسلية. إنما قد تكون بعض الأمراض التناسلية خبيثة. فالإحالة هنا غير دقيقة.

— البطن انظر المعدة.

فالمعدة جزء من البطن ولا يمكن الإحالة من الكل إلى الجزء.

— التعريب انظر الترجمة العربية.

التعريب أفضل وقد اصطلح العرب على ذلك وأوجدوا مركزاً لتنسيق التعريب في المغرب. ولو فرضنا قبول لفظ الترجمة فإنها لا تكون (الترجمة العربية) وإنما «الترجمة إلى العربية» وصيغة أخرى «الترجمة من العربية».

— المضخات انظر الطلمبات.

الأولى أصح.

— الثمن انظر الأسعار.

— التربية انظر التعليم.

التربية رغم ارتباطها بالتعليم فإن التعليم لا يمسخها فالأب يربي ابنه ولكن ليس بالضرورة أنه يعلمه. أما المعلم فهو يجمع بين التربية والتعليم.

— الحرب السياسية انظر الحرب النفسية.

— الحرب الشعبية انظر حرب العصابات.

الحرب الشعبية ليس بالضرورة أن تكون حرب عصابات.

٣ — بعض إحالات انظر أيضاً ظهرت بشكل مبتور لا يحقق الهدف من وجودها فإما أن تحذف أو تقدم إحالات كاملة مثل الأمراض المهنية انظر أيضاً التسمم؛ الرئتان — أمراض. فالإحالة إلى الرئتين فقط من بين أجزاء الجسم يعتبر غير كاف، لأن الأمراض المهنية تصيب كافة أجزاء الجسم وليس الرئتين فقط، فتشمل العين والجلد والأنف والحنجرة واليدين والرجلين والرأس. وحيث إن من الصعب حصر كل هذه

الأمراض والإحالة إليها فإن المناسب عمل إحالة عامة مثل: انظر أيضاً أسماء أجزاء الجسم مع التقسيم أمراض مثل الرئتان — أمراض.

٤ — في بعض حالات ظهرت مبالغة في الإكثار من الموضوعات التي وجدت معهما إحالة انظر أيضاً فمثلاً رأس موضوع «التاريخ الإسلامي» ليس هناك مبرر للإحالة إلى عشرات الموضوعات التي شغلت أربع صفحات. فيكفي الإحالة إلى الموضوعات ذات الصلة القوية جداً. ويمكن اختصار ذلك باستخدام الإحالة العامة فيقال انظر أيضاً أسماء المعارك والفتوحات الإسلامية مثل فتح بيت المقدس.

جـ — جوانب أخرى عامة

١ — وقعت هذه القائمة في نفس الأخطاء التي وقع فيها الآخرون، عندما نقلت بعض رؤوس موضوعات وإحالات من قوائم رؤوس موضوعات أخرى بدون تمحيص وكان بعضها بصيغ غير مناسبة أو مكررة، وهذا يعني أنها نقلت أخطاء الآخرين. والأمثلة موجودة في القائمة تؤكد ذلك، منها من قائمة الخازندار، بالإضافة إلى أمثلة أخرى سبق الإشارة إليها في القسم الخاص بالتكرار والصياغة.

— الوطء انظر الزنا (إحالة خاطئة فليس كل وطء يعتبر زنا).
— الأزمنة الجيولوجية.
— العصور الجيولوجية.

٢ — في المقدمة جاء عرض لقوائم رؤوس الموضوعات ومنها قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس، ولقد لفت نظري القول بأن آخر طبعة كانت الثامنة في عام ١٩٧٥. وهذا يدل على عدم حداثة المعلومات بمتابعة الجديد في الفهرسة الموضوعية. فقد صدرت الطبعة التاسعة عام ١٩٨٠ فكيف يتم تجاهلها وقد صدرت قبل خمس سنوات من صدور هذه القائمة العربية.

٣ — الأخطاء المطبعة لايخلو منها أي عمل إلا نادراً وأذكر هنا بعض الأخطاء المطبعية التي صادفتها في قراءتي لهذه القائمة فقد تصحح عند إعادة طبعها.

— في ص ٩١٦ وردت كلمة «العواصف» مرتين والصحيح «العواطف» وتؤكد ذلك إحالة انظر أيضاً التي تحيل إلى موضوعات متصلة بالعواطف.
— تكررت عبارة «قوات المدرعات» مرتين في ص١٠٢٧.
— إحالة انظر أيضاً المرافقة لرأس الموضوع «الفن الزنجي» في ص ٩٦٧ كتبت بألفين «انظر أيضاً».
— تحت رأس الموضوع «الإعلان بالصحف» توجد إحالة انظر من (الصحب — إعلان) والصحيح (الصحف — إعلان).

وفي الختام أرجوا أن أكون قد وفقت في عرض هذه القائمة، وأسأل الله التوفيق للجميع.

الهوامش

(١) وزارة المعارف، قرارات وتوصيات وبحوث مؤتمر الإعداد البيليوجرافي للكتاب العربي (الرياض: الوزارة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص٣٦.
(٢) وزارة الثقافة والفنون العراقية، المؤتمر الثاني للإعداد البيليوجرافي للكتاب العربي (بغداد: وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨)، ص ٥٢.
(٣) اعتبر المؤلف القائمة الصادرة عام ١٩٧٧م هي الطبعة الثانية ولكن في واقع الأمر أنها الطبعة الأولى، لأن العمل المقدم كأحد البحوث في مرحلة الدراسة العليا عام ١٩٥٨م ليس قائمة مكتملة صالحة للاستخدام.
(٤) شعبان خليفة ومحمد العايدي، السعودية قائمة رؤوس موضوعات (الرياض: دار المريخ، ١٩٨١م). ص ١٧١.
(٥) «ملف خاص برؤوس الموضوعات» عالم الكتب، مج٢، ع١ (رجب ١٤٠١هـ مايو ١٩٨٠م)، ص ٢ — ٤٨.
(٦) Bohdan S. Wynar, Introduction to cataloging and classification (Littleton, Colo.: Libraries Unlimited, 1972), P. 272.
(٧) محمد فتحي عبدالهادي. الفهرسة الموضوعية (جدة: دار الشروق، ١٤٠١هـ)، ص ٦٦.
(٨) المصدر السابق ص ١١٩.

معجم مصنّفات القرآن لعلي شواخ

حسني عبد الرحمن الشيمي

أستاذ مساعد في قسم المكتبات والمعلومات
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

شواخ، علي/معجم مصنفات القرآن الكريم .ــ ط١ .ــ الرياض: دار الرفاعي؛ ١٤٠٣هـ ــ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣، ١٩٨٤م.ــ ٤جـ.

تستند المعالجة التي نقدمها لكتاب «معجم مصنفات القرآن الكريم» الذي أعده الدكتور على شواخ إسحاق[١] إلى وجهة نظر ببليوجرافية، بمعنى أنها تمثل إلى حد كبير تطبيق مقاييس ذلك النوع من الدراسة الذي يعنى بالأوعية (الكتب وغيرها من حوامل المعرفة والمعلومات) وهي دراسة يمكن اعتبارها من أهم القطاعات في دراسات المكتبات والمعلومات بصفة عامة. وتجيء طبيعة المعالجة ملابسة لطبيعة الكتاب الذي يعد أداة أو مرجعاً ببيليوجرافياً، كما سنتبين ذلك إن شاء الله.

وفي ضوء ذلك نتناول مكان الكتاب من الأنواع المرجعية من خلال مناقشة «التسمية» ثم نتعرض لسعة المرجع أو تغطيته، وبعد ذلك نتوقف عند التنظيم الذي اتخذه، ثم نتطرق لمصادر المعلومات عن المادة المرجعية والمادة المرجعية ذاتها بعد ذلك، وأخيراً نقدم ما يعتبر أسساً عامة للأعمال المرجعية والببليوجرافيه.

المسميات ودلالاتها:

يبدو أن استخدام كلمة «معجم» عندنا أهل العربية قد تجاوز الدلالة على القواميس اللغوية كما أثبتتها تلك القواميس[٢]، إلى أنواع أخرى من المراجع، فنجد الكلمة تطلق على المراجع التي تهتم بالتعريف بالمشاهير أو الأعلام، كما نجدها تطلق كذلك على المراجع الجغرافية التي تعطي معلومات عن البلدان والمدن وغيرها، ويجيء كتابنا الحالي لينضم إلى تلك المراجع التي تهتم بتجميع معلومات حول الكتب، وعلى ذلك فإنه يدخل في الببليوجرافيات، ودون الدخول في تفصيلات هذه الأخيرة، فمما لا شك فيه أنه ــ أي الكتاب الحالي ــ ينتمي إلى القوائم الببليوجرافية الموضوعية. حيث تحدد الهدف من الكتاب ونطاقه بموضوع رئيسي هو «القرآن الكريم».

والتساؤل الذي تطرحه هذه الملاحظة، والذي نقدمه لدارسي المراجع والمهتمين بقضايا الأوعية بصفة عامة هو: أليس من الأجدر والأجدى أن يكون هناك تحديد للدلالات الاصطلاحية للألفاظ المستخدمة في المجال من جانب، وحرص على التطابق بين تلك الدلالات ومحتوى المراجع التي تتخذ مسمياتها من جانب آخر؟

ومن وجهة نظر كاتب هذا المقال وخبرته المتواضعة فإن مُعدّ المرجع سواء كان ببليوجرافياً أو غيره من الأنواع المرجعية لا ينبغي أن يطلق لنفسه العنان في اختيار العناوين التي تروقه، فطبيعة المراجع ودورها تجعلها محكومة باعتبار أساسي هو تيسير الوصول إلى وحدات المعلومات المتضمنة فيها، ومما يحقق ذلك أو يسهم في تحقيقه أن تكون المسميات واضحة الدلالة على المحتوى. ومعدّو المراجع في هذا مطالبون بألا يسلكوا ذات الطريق الذي يسلكه بعض مؤلفي الكتب العامة حين يخضعون لاعتبارات الرقابة أو السوق أو تفضيل الرمزية... الخ في اختيار عناوين ما ينشر لهم من كتب.

مدى سعة المرجع أو شموليته:

كان طموح العمل الذي بين أيدينا واسعاً بدرجة يصعب ــ إن لم يستحل ــ على جهد (معظمه فردي)أن يحققه، وحسناً فعل مُعدّ المرجع حين تخفف نسبياً من الإطار الواسع الذي عمل على جمع مادته من خلاله قائلاً : «**جاء هذا المعجم للمصنفات القرآنية فهرساً شاملاً لأكثر ما كتب عن القرآن المبين منذ القرن الأول الهجري وحتى العام الهجري الثالث من القرن الخامس عشر..**»[٣] ثم يعود قائلاً «كل ماعثرنا عليه من المصنفات التي كتبت عن القرآن الكريم المطبوع منها والمخطوط في جميع بلاد العالم وفي كل اللغات»[٤]. وهذا ادعاء فضفاض لا نجد له سنداً في مادة الكتاب، فكان الأولى بالجامع أن يقلل من غلوائه حتى نصدقه في الأقل، ومع تقديرنا لما أعرب عنه صاحب العمل من إحساس بترامي أطراف مجال العمل وإشفاقه من ضخامة ما يتطلبه، فإننا نحسب ــ ونرجو أن نكون في ذلك على خطأ ــ أن المؤلف لم

يستثمر هذا الإحساس استثماراً كافياً، فلا يخفى على من يلج هذا المجال أن نضوج العمل الببليوجرافي يقاس بمدى التحديد الدقيق والملائم لتغطية العمل أو سعته، وأن الاتجاه نحو آفاق بعيدة في السعة دون أن تؤيدها إمكانات بشرية أو مؤسسية (أي جهد المؤسسات والهيئات) يمثل واحدة من الثغرات الجوهرية في كثير من الأعمال الببليوجرافية في اللغة العربية، ولسنا في حاجة إلى القول بأن الهوة بين سعة التغطية من جانب، والإمكانات القائمة على موضوع العمل أو المتوفرة له من جانب آخر، تؤدي إلى فقدان السيطرة على مجال العمل أو إحكامه سواء من حيث تقصي مفردات الأوعية أو استيفاء البيانات الخاصة بها(٥).

تنظيم المرجع :

تم ترتيب جسم المرجع أو محتواه الرئيسي على أساس موضوعي، تتتابع فيه الموضوعات حسب أسبقية حروف الهجاء التي تمثلها رؤوسها على النحو التالي:

آي القرآن، أحرف القرآن، أحكام القرآن، أسباب النزول، إعجاز القرآن وبلاغته، تجويد القرآن، ترجمة القرآن، تفسير القرآن، دراسات قرآنية(٦) ، رسم القرآن، غريب القرآن، فضائل القرآن، قراءات القرآن، المحكم والمتشابه، معاني القرآن، الناسخ والمنسوخ، لغات القرآن، الوجوه والنظائر.

ورتبت الكتب بعناوينها حسب الحروف الهجائية داخل هذه الموضوعات.

أدوات التنظيم المساعد أو الكشافات:

لا يمكن إنكار أن صاحب العمل قد عكف على توفير عدد كبير نسبياً من الكشافات شغلت حجماً كبيراً أيضاً من الجسم المادي لمجلداته الأربعة (إجمالي عدد صفحات الكتاب ١٥٨٨ ص منها ٤٦٢ ص كشافات، أي أن الأخيرة تقارب ٣٠٪ منه)، إلا أن هذا الجهد الكبير قد شابته عيوب، بعضها في الواقع عيوب جوهرية نتناولها حسب أهميتها وترابطها على النحو التالي:

أ ـ كشافات العناوين (أو ما سماه المؤلف كذلك) في الأجزاء الأربعة للكتاب لا تنتمي إلى الكشافات بصلة حقيقية، فقد جاءت أشبه بقائمة محتويات مفصلة، وعلة ذلك تكمن في أن العناوين وردت (في الكشاف) بنفس الترتيب الذي وردت به في سياق الكتاب، ومن ثم افتقد هذا (الكشاف) سبب وجوده، ذلك أن دور الكشاف يتركز في مساعدة المستفيد على الوصول إلى بغيته من خلال ترتيب هجائي موحد، ولا يغير قيام المؤلف بالترتيب الهجائي للعناوين تحت موضوعات الكتاب من هذه الحقيقة، إذ إن المزج الكامل للعناوين على أساس ترتيب هجائي موحد بغض النظر عن الموضوعات التابعة لها، هو الكفيل بجعل (الكشاف) كشافاً حقيقياً للعناوين.

(ب) وتنطبق الملاحظة السابقة على الكشافين الرابع والخامس (كشاف المطبوع وكشاف المخطوط)، إذا سار هذان الكشافان على ذات النمط من السرد المتتابع لعناوين الكتب بترتيبها الذي وردت به في الكتاب مع فارق غير ذى أهمية يتمثل في عزل المخطوط منها عن المطبوع، والحقيقة أننا نرى أن هذين الكشافين يمثلان تكراراً لا مبرر له، وإذا كان إبراز أن الكتاب مخطوط أو مطبوع له أهمية، فإن ذلك يمكن تحقيقه داخل كشاف العناوين بإضافة رمز مميز لأحد النوعين، كأن يضاف حرف الخاء إلى عناوين المخطوطات، ومن البدهي أن يدرك المستفيد أن بقية الكتب مطبوعات.

(جـ) لا أدري ما الذي حدا بالمؤلف لجعل كل جزء من الكتاب مستقلاً بكشافاته، مع أن مراجعة تاريخ النشر لكل جزء توضح أن أجزاءه جميعاً صدرت في سنة واحدة، باستثناء الجزء الأول الذي صدر في السنة السابقة على صدور الأجزاء الأخرى. والحقيقة أن تفريق الكشافات بهذا الأسلوب قد أفقد هذه الأداة قدراً كبيراً من خاصيتها الجوهرية في تيسير تحديد المعلومات وسرعة الوصول إليها، وتبيان ذلك أن المستفسر عما ألفه كاتب معين يحتاج إلى مراجعة الكشافات الأربعة للمؤلفين والموزعة على أجزاء الكتاب، وينسحب ذلك على حالة البحث عن عنوان ما، وبخاصة إذا لم يستطع المستفيد أن يحدد موضوع الكتاب، أو اختلف تقديره للموضوع الذي ينتمي إليه الكتاب عن تقدير صاحب الكتاب الذي بين أيدينا..

وربما لمس الدكتور علي شواخ بنفسه أن معظم ما اطلع عليه من كتب مرجعية (إن لم يكن كلها) تسير على اعتبار الكشافات بمختلف أنواعها أداة موحدة، بصرف النظر عن تعدد ما تكشف من أجزاء أو مجلدات العمل الواحد.

(د) لم يتخذ الكتاب قاعدة موحدة في طريقة كتابته لأسماء المؤلفين داخل كشافاتهم، فأحياناً يأتي بالاسم مقلوباً (تقديماً للمقطع الأشهر من الاسم) مثل: السبكي: علي عبد الكافي (رقم ٣٥١) وعلى عكس ذلك: زين الدين العراقي (رقم ٦٨) وفي حالات أخرى يكتفي في هذا الكشاف من اسم المؤلف باسم الشهرة فقط مثل: الرعيني (رقم ٤٩١) والرماني (رقم ٣٩٢) في حين يرد الاسم كاملاً في الحالات الأخرى مثل: زكريا بن محمد الأنصاري السبكي (رقم٣٢٣) وعبد القاهر بن طاهر البغدادي (رقم ٢٩).

وأقرب الظن أن ذلك جاء نتيجة اعتماد معدّ الكتاب على الصيغ في شكلها الذي أوردته المصادر التي اعتمد عليها، وبطبيعة الحال فإن هذا يمثل أحد عيوب العمل الببليوجرافي غير المباشر، أي

استقاء البيانات دون الاطلاع المباشر على الكتب التي تدور حولها تلك البيانات.

لكن يبقى أن الكشافات جانب أساسي في العمل، وأن إعدادها يقتضي بلا جدال توحيد الصيغ المستخدمة في تعاملنا مع الأسماء خصوصاً أن الكشافات هنا خالية من الإحالات التي تربط الصيغ الخاصة باسم واحد في حالة تعددها، وقد أسفت لافتقاد الدقة في الكشاف عندما وجدت أحد الأسماء يرد في الكشاف بصيغة تختلف عن الصيغة التي وردت داخل الكتاب، فقد ورد اسم مصاغ بـ (عائشة بنت الشاطىء) في الكشاف ليحدد للمستفيد رقم ٢٤١ فيجد كتاب: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق تأليف بنت الشاطىء، عائشة عبد الرحمن، وإني أستبعد بصدق ألا يكون مؤلف الكتاب على بينة من أن بنت الشاطىء هو اسم مستعار تضعه المؤلفة على كثير من كتبها بينما اسمها الحقيقي هو عائشة عبد الرحمن، ومن ثم فإن تركيب الاسم بالصيغة التي جاءت به في الكشاف لا يفيد الباحث ــ خاصة إذا كان من الجيل الجديد ــ إذا حاول البحث بأحد الاسمين، هذا فضلاً عن أن الصيغة المذكورة خليط من الاسم الحقيقي والاسم المستعار.

(هـ) الملاحظة التي نقدمها أخيراً فيما يتصل بالتنظيم ذات صلة وثيقة بسابقتها، ذلك أنه رغم تعدد الكشافات في الكتاب، فإني حاولت العثور على مكان فيها للمؤلفين المشاركين والمحققين وغيرهما من الذين يشتركون ــ فكراً ــ في العمل فلم أعثر على شيء، مما يعني أنه قد تم إغفال هذه الفئات، رغم أن النساخ حظوا بكشاف خاص بهم، ولسنا في حاجة إلى توضيح مسؤولية المؤلف المشارك أو المحقق أو المشرف أو غيرهم من الفئات التي تسهم في محتوى العمل وخروجه إلى النور..

وعلى أي حال فإن هذه الفئات إضافة إلى المؤلفين ينبغي أن يضمها كشاف واحد هو كشاف المؤلفين، وإذا آثرنا أن نبين طبيعة عمل كل منهم فإنه يمكن إضافة رمز ينص عليه لتحقيق ذلك الهدف.

مصادر المعلومات في المرجع:

المقصود بمصادر المعلومات هنا تلك المصادر التي استقى منها صاحب العمل معلوماته عن الكتب التي رصدها، وقد كان من الطبيعي أن تجيء مصادر المعلومات كثيرة التعدد والتنوع نظراً للإطار الشديد الاتساع ــ كما تبين لنا من قبل في مدى السعة ــ الذي استهدف الكتاب تغطيته، فتراوحت تلك المصادر بين الكتب ذاتها، وبين ما كتب عنها في كتب أخرى (الفهارس والأدوات الببليوجرافية) أو المؤسسات التي تعنى بالكتب كالمكتبات والمراكز العلمية. ولنستعرض هذه المصادر كما أوردها المؤلف موزعة على الكتب التي تم رصدها على النحو التالي:

«قسم (من الكتب) لم أقف عليه، ولم أعرف إن كان مطبوعاً أو مخطوطاً، وإنما أذكر المصادر التي ذكرته وهذا قليل.

وقسم يتناول المطبوع من علوم القرآن وبحوثه، وهذا كان حصره سهلاً ممتنعاً فقد اعتمدت معجم المطبوعات لسيركيس... ثم أكملت البحث عن المطبوع منذ ذلك التاريخ، وذلك عن طريق جمع النشرات السنوية التي تصدرها دور النشر، وتتبع المجلات المختصة بالتصنيف والفهرسة [؟] والمجلات الدورية والشهرية والصحف اليومية بجهد مضن ومستمر.

كذلك تم رصد أغلب مايوجد في المكتبات الكبيرة والصغيرة العامة والخاصة من مكتبات الجامعات إلى مكتبات الأفراد، مروراً بمكتبات المراكز الثقافية والمؤسسات العلمية .

أما المطبوعات الأجنبية، فقد تم إحصاء ما فيهاً من المصنفات في علوم القرآن وبحوثه عن طريق المراسلة والجهد الشخصي لمن نكلفهم»[٧].

والحقيقة أن هذه الفقرة التي نقلناها عن مقدمة الكتاب تضع أيدينا ــ مرة أخرى ــ على الداء العضال الذي يعتري معظم أعمالنا الببليوجرافيه، وأقصد بذلك اعتماد تلك الأعمال في إنجازها إلى حد كبير على المصادر الثانوية، أي أن كثيراً مما ترصده تقرأ عنه ولا تقرأ منه إن جاز التعبير، مما يؤثر بالسلب على محتوى العمل ودرجة الثقة في بياناته، فضلاً عن التفاوت في البيانات المعطاة كما سنتبين ــ إن شاء الله ــ في الفقرة التالية:

المادة المرجعيـــة :

يمكن للمطّلع على «المرجع» الذي بين أيدينا أن يلاحظ التفاوت الكبير فيما يرد من بيانات بين مادة مرجعية[٨] وأخرى، وإذا كان من حق صاحبه علينا أن نذكر له إقراره بأنه لم يستطع اتباع خطة ثابتة في عرض أسماء [عناوين] المخطوطات بالنظر إلى تفاوت المعلومات المتوفرة لديه أو بتعبيره هو «إنما هي البضاعة التي نحصل عليها، فما وصل إلينا من مادة علمية عرضناه...» فإن من الحق أيضاً أن نقرر أن هذا التفاوت لم يقتصر على المخطوطات فحسب، وإنما شمل الكتب المطبوعة كذلك، وهو أمر لا يمكن ــ موضوعياً ــ قبوله، حيث إن الوصول إلى هذه النوعية ميسر إلى حد كبير، والعجيب أن هذا التفاوت فيما يكتب عن الكتب المطبوعة لا يعود بالضرورة إلى نقص المعلومات أو البيانات، وإنما قد يرجع إلى وفرة في البيانات «الجاهزة» يتم إلحاقها ببعض الكتب، وتكون النتيجة بيانات محدودة أو مقتضبة (اسم المؤلف، وعنوان الكتاب فقط) في بعض الحالات، بينما تحظى حالات أخرى ببيانات إضافية عن محتوى الكتاب، وأن للمؤلف كتباً أخرى تسرد عناوينها... الخ.

كما أن ترتيب البيانات أو تتابعها عن كل كتاب لا يخضع لتوحيد، حيث نجد بعض البيانات جاءت متوافقة مع قواعد الوصف الببليوجرافي كما يعرفها دارسو المكتبات، بينما جاءت البيانات الخاصة بكتب أخرى خلواً (من ناحية ترتيبها) من الالتزام بقواعد محددة، وإذا كان من اليسير استنتاج السبب في ذلك على اعتبار أن هذا الوضع انعكاس لما جاءت به مصادر المؤلف والتي أثرنا مشكلة «اللامباشرة» في كثير منها، فإن إعادة الترتيب في نسق موحد هو مسؤولية جوهرية في عمليات الإعداد المرجعي.

وبعد،

فإن الملاحظات التي أوردناها في هذا المقام لا تنصب على معجم مصنفات القرآن الكريم الذي أعده الدكتور علي شواخ إسحاق فحسب، وإنما الحقيقة أن معجمنا هذا أثار بعض المشكلات الملحة التي يعاني منها كثير من الأعمال الببليوجرافية (والأعمال المرجعية عموماً) في اللغة العربية، حيث لا يتوفر الحرص الكافي على الالتزام بالقواعد والأصول التي تعتبر ضرورية لكفاءة — إن لم يكن لوجود — هذه الأعمال. وفي هذا الصدد فإننا نجد لزاماً علينا الإشارة إلى رؤوس أقلام لمبادىء أو أسس الأعمال المرجعية والببليوجرافية كالتالي:

— يعتمد نجاح الأعمال المرجعية على جهد «الفريق» وليس جهد «الفرد» فذلك أمر يحتمه كم ونوع المعلومات المطلوبة، ويحتمه توزعها في أماكن متعددة، ويحتمه أيضاً القيام بالمتابعة والتحديث إلى ماشاء الله.

ضرورة إشراك نفر من المتخصصين في المكتبات والمعلومات، والمسألة ليست من قبيل الاختيار، كما أنها ليست من قبيل التحيز لتخصص أو إقحامه في جهود الإنتاج الفكرى، وإنما واقع الأمر أن كثيراً من فنيات الإعداد والتنظيم تمثل مسؤولية علمية وعملية لأصحاب ذلك التخصص، كما أنهم أقدر من غيرهم على تطبيق المعايير المعترف بها.

— التحديد الواضح لدائرة تغطية المرجع في ضوء الإمكانات البشرية والمادية المتاحة ومواجهة إغراء «الضخامة» أو طموح الإنجاز حتى يمكن إحكام العمل من جوانبه المختلفة.

— بالنسبة للببليوجرافيات فإن كاتب هذه السطور يلح على مطلب يعتبره أساسياً، ويتمثل ذلك في أن تكون القاعدة في إعداد هذه الببليوجرافيات هي المصادر المباشرة قدر الإمكان، أي أن نستقي بياناتنا ومعلوماتنا عن الكتب من الكتب ذاتها، وأن تكون الاستعانه بمصادر وسيطة أو ثانوية هي الاستثناء، وليعذرني القارىء في هذا الاستطراد حيث لجأ كثير من معدّي الببليوجرافيات إلى درجة كبيرة من «الاستسهال» والتهاون في الأخذ عما في أيديهم دون تحقيق أو تدقيق مما يستتبعه وجود أخطاء فادحة فيما يعدّون من أعمال.

إن خطورة هذا العمل، وضخامة الموضوع الذي يدور حوله، ثم التهيؤ الواضح للدكتور شواخ لتلقي الملاحظات والتعليقات كانت الدافع وراء كتابة هذه الصفحات، عسى أن تجد صدى لدى كل من يتصدى للأعمال المرجعية أو الببليوجرافية.

والله من وراء القصد.

الهـــوامش

(١) علي شواخ إسحاق الشعيبي، ولد في مدينة الرقة السورية سنة ١٩٤٧م أتم تعليمه الجامعي [في الآداب؟] ونال درجة الماجستير عن (ربيعة الرقي شاعر الرقة في العصر العباسي) والدكتوراه عن الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام. راجع ج ٣ ص ٢٥٤ من الكتاب.

(٢) المعجم: ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم. راجع: المعجم الوسيط. ط٢. القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ص ٥٨٦.

(٣) إن عبارة «أكثر ما كتب» في دلالتها المنطقية تؤكد أن التجميع جزئي وليس كلياً. راجع ج ١ ص ١٥.

(٤) كذلك عبارة كل ماعثرنا عليه تؤكد الحقيقة السابقة رغم استخدام كلمة «كل»! راجع ج ١ ص ١٦.

(٥) يلاحظ أن العدد الكلي للعناوين التي اشتملها الكتاب في مجلداته الأربعة هي ٣٢٨١ عنواناً.

(٦) الحقيقة أن المؤلف قد أورد تحت هذا الرأس كتباً متنوعة يصعب أن يتوقع القارىء ورودها تحته مثل: الببليوكرافيا [؟] الموضوعية العربية (علوم الدين الإسلامي — علوم القرآن) رقم ١٩٤٠، وحواء المظلومة (من قصص القرآن) رقم ٢١٣، ودعاء ختم القرآن رقم ٢٠٣٦، وغيرها كثير..

(٧) لنا هنا ملاحظة عارضة حيث أشار صاحب الكتاب إلى تكليفه طالب علم نشيط بجمع ما في مكتبات تركيا لبضع سنين دون أن يذكر اسمه أو شيئاً عن مؤهله أو وظيفته إن كان له عمل، بينما بعد سطور معدودة في سياق شكره لمكتبة برمنجهام وأمينتها يذكر تلك الأمينة بالاسم لأنها قامت بتصوير بطاقات الفهرس المتعلقة بموضوع الكتاب. إن هذة المسألة لا تتعلق بالتفاوت في تقدير من عاونوا أو أسهموا فحسب وإنما تعد ذات أهمية في تحديد المعاونين في العمل ومدى كفاءتهم في تأديته، مما يمثل جانباً في قياس «موثوقية» العمل إن صح التعبير. راجع ج ١ ص ١٧.

(٨) يقصد هنا بالمادة المرجعية المعلومات والبيانات الواردة حول الكتاب المدرج ضمن «المعجم» وهي ما تمثل عناصر الوصف الببليوجرافي (اسم المؤلف/العنوان/الطبعة/مكان النشر/الناشر/تاريخ النشر.. الخ).

الرسائل الجامعية

أبو إسحق الإلبيري
حياته وشعره
لعبدالرحمن الهليل

الهليل، عبدالرحمن بن عثمان /أبو إسحق الإلبيري، حياته وشعره: دراسة وتحليل ــ رسالة ماجستير ــ إشراف عبدالله عبدالرحيم عسيلان ــ الرياض: قسم الأدب بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ٢٩٥ص.

حظي الأدب الأندلسي ــ في الآونة الأخيرة ــ بالكثير من الدراسات والبحوث التي استطاعت أن تبرز أهم خصائصه وملامحه العامة.

وقد توجّه اهتمام الباحث إلى موضوع يُعنى بجانب مهم من جوانب الأدب الأندلسي، هو الزهد والمواعظ، الذي لم يحظ من الباحثين والدارسين بالعناية الكافية، فوقع اختياره على شاعر له قدم راسخة في هذا الاتجاه، وله ديوان شعر سيطر موضوع الزهد والموعظة فيه على كل قصيدة من قصائده وهو الشاعر أبو إسحق الإلبيري. كما يرى للموضوع أهمية بالغة في إعطاء صورة أكثر إشراقاً ونصوعاً لظاهرة الزهد في الشعر الأندلسي إبّان فترة تعدّ من أزهى فترات التوثب والنضج الأدبي في رحاب الأندلس، خلال القرن الخامس الهجري أو بالتحديد في عهد ملوك الطوائف.

وقد قسم الباحث رسالته إلى ثلاثة أبواب :

درس في الباب الأول فترة حاسمة من فترات تاريخ الأندلس الإسلامي، فتحدث فيه عن الحياة السياسية والعلمية والأدبية والاجتماعية، ثم تحدث عن تفاصيل حياة الإلبيري.

وفي الباب الثاني تحدث عن ديوانه، وأورد مانسب إليه من شعر لايحتويه الديوان، كما أشار إلى مانسب إلى غيره من شعره الثابت له في الديوان. أما أغراضه الشعرية فكانت في موضوعات خاصة تمثلت في الزهد والموعظة التي كثر نظم الشاعر فيها وأبرزها الموت والفناء ــ الابتهال والمناجاة ــ الشيب ــ الحكمة. وموضوعات عامة تناولت الرثاء والنقد السياسي والمدح والفخر والهجاء.

وفي الباب الثالث تحدث عن خصائص شعر أبي إسحق الفنية، وكان على فصلين :

الفصل الأول في المضمون :

وفيه تحدث عن الخصائص الفنية المتعلقة بالمضمون، فأشار إلى معاني الشاعر وأفكاره، التي تناولها في شعره، متطرقاً إلى الحديث عن أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في شعره، وذلك من خلال معاني القرآن والحديث التي أشار إليها الشاعر، أوضمّنها بعض أشعاره. وكان الشاعر كثيراً مايورد المعاني المتقابلة، فتحدث عن صحة المقابلات في شعره. وشعر أبي إسحق الإلبيري شعر نابع من أعماق قلبه، ممتزج بأحاسيسه ومشاعره، صادر عن عاطفة متّقدة متأججة، فحاول الباحث دراسة هذه العاطفة وتقويمها.

الفصل الثاني : الشكل :

وفي هذا الفصل تحدث عن الشكل، فتكلم عن هيكل القصيدة ومدى موافقته لما جاء في الشعر العربي، وتحدث عن لغة الشاعر، ووصفها بالسهولة والوضوح، ثم تحدث عن ألوان البديع في شعر الشاعر، ومنه انتقل إلى الحديث عن أوزانه وقوافيه، فوجد الشاعر قد نظم على أكثر البحور المستعملة، واختار قوافيه من القوافي الذّلل متوسّماً في ذلك خطى من سبقه، ثم عقب على ذلك بالحديث عن الموسيقى الشعرية ومنبعها، ومصدرها في شعره، وختم هذا الفصل بالحديث عن الخيال، واعتماد الشاعر كثيراً على التشخيص والتصوير في إبراز معانيه وأفكاره.. وختم البحث بخاتمة بين فيها أهم النتائج التي توصل إليها من خلال هذه الدراسة، أعقبها فهرس المصادر والمراجع، تلاه فهرس الموضوعات.

ومن خلال دراسة هذه الموضوعات وبحثها توصل الباحث إلى نتائج منها :

أولاً : نزاهة الشاعر أبي إسحق الإلبيري، وحسن سيرته، وصحة مقصده، على خلاف ما صوّره لنا بعض المستشرقين كـ «دوزي» و«غومس».

ثانياً : يمتاز الشاعر بالنَفَس الطويل، والنظرة المستقصية في كثير من قصائد الديوان مع المحافظة على الموضوعية، وهذا ردٌّ على من يقول: إن الشاعر الإسلامي الملتزم ضيّق الأفق، قد أوصد الالتزامُ أمامهَ أبوابَ الارتقاء، والسمو الفنّي.

ثالثاً : من خلال هذه الدراسة يبرز لنا ــ بوضوح ــ القول الذي ينحو منحى التعميم والمغالاة، دون استثناء في وصف الشعر الأندلسي بأنه شعر المجون، والخلاعة، والتغزل بالغلمان، ومثل هذا التعميم لايقبل على إطلاقه، إذ من المعروف أن ساحة الشعر الأندلسي لم تخل من شعراء جالوا بشعرهم في أغراض هادفة.

رابعاً : أن ديوان أبي إسحق الإلبيري الموجود بين أيدينا لايضم بين دفتيه كل ماقاله من شعر، ويمكن الاعتقاد بأن ما وصل إلينا من شعره إنما يمثل ما قاله في المرحلة الأخيرة من عمره.

خامساً : يمثل هذا الديوان ظاهرة لم تكن مألوفة لدى الشعراء الأندلسيين، وهي تجلّي ظاهرة الزهد والموعظة وطغيانها وسيطرتها على أحاسيس الشاعر، واستحواذها على مشاعره، بحيث تضع بصماتها على كل بيت يفوه به ويسطّره، خلاف ماكان عليه الشعراء إذ نظموا في موضوعات مختلفة، وإذا وُجِد الزهد في شعرهم فإنه لايعدو بعض المقطوعات والقصائد المتناثرة في ثنايا دواوينهم.

الأدفوي مفسرًا

وتحقيق سورة الفاتحة من تفسيره

لعبدالله كحيلان

كحيلان، عبدالله عبدالغني /الأدفوي مفسراً وتحقيق سورة الفاتحة من تفسيره ـ رسالة ماجستير ـ إشراف أحمد حسن فرحات ـ الرياض: قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ٧٩٤ص.

أبو بكر محمد بن علي الأدفوي إمام نحوي مفسر ثقة، برع في علوم القرآن، وانفرد بالإمامة في دهره في قراءة نافع رواية ورش، ولد سنة ٣٠٤هـ وتوفي بمصر سنة ٣٨٨هـ.

وتفسيره (الاستغناء في علوم القرآن) صنفه في اثنتي عشرة سنة، وعرض في مقدمته، أهم النقاط التي تناولها في هذا التفسير وهو يعد مرجعاً قيماً في بابه.

قسم الباحث رسالته إلى قسمين: الدراسة، ثم التحقيق.

وكانت الدراسة في أربعة أبواب، مهّد لها بدراسة عن الحالة السياسية والدينية والعلمية في مصر، في عصر الأدفوي (القرن الرابع الهجري).

تناول في الباب الأول حياة الأدفوي وآثاره وذلك في فصلين :

الفصل الأول، ذكر فيه اسمه ونسبه وألقابه، ولادته ونشأته، شيوخه، تلاميذه، عقيدته ومذهبه الكلامي، مذهبه الفقهي، صفاته وأخلاقه، مكانته العلمية، وفاته.

أما الفصل الثاني فقد عدد فيه آثاره وهي :

ـ كتاب الاستغناء في علوم القرآن (وهو تفسيره).
ـ كتاب أدب القارىء والمقرىء والعالم والمتعلم.
ـ كتاب رواية ورش.
ـ كتاب القراءات.
ـ كتاب في النحو.
ـ الإمالة (أو الإبانة).

ثم بين الباحث عدم صحة نسبة كتاب (الإقناع في أحكام السماع) إليه.

وكان الباب الثاني عن مصادر الأدفوي في تفسيره، وهي كتب النحاس والطبري والزجاج والفراء وابن مجاهد والمبرّد وابن قتيبة والأخفش وأبي عبيد القاسم ابن سلام، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، وكتاب سيبويه، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري، والمدونة الكبرى، والموطأ، وكتاب خلق الإنسان للأصمعي، والإيضاح في علل النحو للزجاجي، كما نقل من ابن السكيت وابن كيسان وأبي العباس ثعلب وأبي غانم المظفر بن أحمد.. ونقل من أبي زيد، مع التمثيل لكل ذلك. ولم يشر الأدفوي في مقدمة تفسيره إلى المصادر التي أخذ عنها، كما أنه من النادر ما كان يذكر في ثنايا كتابه اسم كتاب أو مرجع، ولكن تعرّف عليها الباحث من خلال دراسته لما بين يديه من كتاب (الاستغناء) وقد بين الباحث كيفية استفادة الأدفوي من كل واحد منها وطريقته في النقل (النقل الحرفي، النقل بالمعنى) وتعامله مع النصوص التي ينقلها (بالاستحسان، أو السكوت، أو الرد والتعقيب). ثم ذكر أنه لم يكن حاطب ليل ينقل كيفما اتفق، وإنما كان ينقل نقل الناقد البصير...

أما الباب الثالث، الذي شغل مايقرب من مائتي صفحة، فقد تحدث فيه عن منهج الأدفوي في تفسيره، وأورد قول المؤلف في مقدمة تفسيره التي تناولت أهم النقاط التي تناولها فيه بقوله :

(هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من علوم القرآن، من بين كلام غريب، ومعنى مستغلق، وإعراب مشكل، وتفسير مرويّ، وقراءة مأثورة، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه. وأذكر فيه ـ إن شاء الله ـ مابلغني من اختلاف الناس في القراءات، وعدد الآي، والوقف والتمام. وأبين تصريف الكلمة واشتقاقها ـ إن علمت ذلك ـ وما فيه حذف لاختصار أو إطالة لإفهام، ومافيه تقديم وتأخير. وإذا مرّ العامل من عوامل النحو ذكرته مع نظائره في باب أفرد له. وأذكر أين نزلت السورة بمكة أو بالمدينة، على قدر الطاقة ومبلغ الرواية، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسير شيء هو فيه مستغنياً، وبالله التوفيق والحول والقوة ...).

قال الباحث :

وقد اتّبع أبو بكر في تفصيل القول في الآية ـ أو مجموعة الآيات ـ التي يفسرها ترتيباً واحداً ـ في الجملة ـ من أول كتاب «الاستغناء» إلى آخره ضمن النقاط الثابتة التالية: الإعراب، القراءة، المعنى والتفسير، الوقف والابتداء. وإذا كان للآية ـ أو الآيات ـ سبب نزول خاص بها، أو تَعَلَّق بها حكم فقهي، أو نسخ، ذكر ذلك أثناء كلامه على المعنى والتفسير.

وأما أبواب النحو فكان يعقدها أثناء إعراب الآية ـ أو مجموعة الآيات ـ التي هو بصددها.

وكان يذكر أحياناً ـ وفي مطلع كلامه على المعنى والتفسير ـ النظائرَ والنقائض، وتصريفَ بعض الكلمات واشتقاقها، وربما ذكر التصريف والاشتقاق أثناء الإعراب.

كما أنه كثيراً ماكان يعرض، وبشكل موجز، لما تضمنته الآية ـ أو مجموعة الآيات ـ التي يفسرها، من معان وفوائد. وكان يذكر هذا عقب الانتهاء من الكلام على المعنى والتفسير، وقبل الكلام على الوقف والابتداء.

وكان أبو بكر ـ رحمه الله ـ يفتتح الكلام على السورة ببيان كونها مكية أو مدنية، ويختتمه بذكر اختلاف القراء في ياءات الإضافة في السورة كلها، واختلافهم في عدد آياتها. ويبقى الترتيب الذي ذكر سابقاً مطّرداً من أول الكتاب إلى آخره.

ثم ذكر الباحث في الفصل الأول من هذا الباب عناية الأدفوي بالأثر، من تفسيره القرآن بالقرآن، ثم تفسيره بالحديث، وبأقوال الصحابة والتابعين، وعنايته بأسباب النزول، وعرض موقفه من الإسرائيليات.

وفي الفصل الثاني بيّن اعتداده بالعربية، من إعراب، ونحو، وتصريف واشتقاق، ومعاني الكلمات وتفسير الغريب، والحذف والزيادة، والتقديم والتأخير. والإملاء والخط.

ثم ذكر في الفصل الثالث اهتمامه بالقراءات، من حيث توجيهها ومعانيها.

وفي الفصل الرابع بين مراعاته للنظر في التعليل اللغوي، والترجيح، و تأويل المشكل، والاستنباط، وآيات العقيدة.

أما الفصل الخامس فكان عن اهتمامه بعلوم القرآن الأخرى وإلمامه بها وتضمينها في ثنايا تفسيره، من المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، ورسم المصحف، والمكي والمدني، والوقف والابتداء، وعدد الآي، وإعجاز القرآن.

وفي الباب الرابع والأخير من قسم الدراسة، ذكر الباحث في فصلين مكانة الأدفوي العامة وتقويم تفسيره، ثم أثره في المفسرين من بعده.

وبيّن ميزات هذا التفسير :

١ ــ أنه جمع خلاصة ما كتبه الأئمة الذين سبقوه في معاني القرآن وإعرابه وغريبه وقراءاته وسائر علومه ــ كما تبين من دراسة مصادره ــ فحق للأدفوي بجدارة أن يسميه (الاستغناء في علوم القرآن) ليكون ــ كما قال مؤلفه : (بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسير شيء هو فيه مستغنياً).

٢ ــ فهو ــ لهذا، ولما أضافه إلى الجمع من حسن تنسيق وموازنة واختيار، ولاستيفائه القول في كل آية يفسرها ــ يعتبر من أجمع ماكتب في تفسير كتاب الله تبارك وتعالى.

٣ ــ يعد مصدراً هاماً لآراء ابن كيسان وغيره من الأئمة الذين أتت على كتبهم عوادي الزمان.

٤ ــ كما أنه يمتاز بسهولة الأسلوب، وسلاسة العبارة ــ مع الدقة ــ والبعد عن التعقيد والتكلف والسجع، وغير ذلك من ضروب الكلام الممجوج.

٥ ــ ولكل ما سبق كان المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه من أتى بعده من المفسرين، سواء بالنسبة لمن أخذ عنه مباشرة كمكي بن أبي طالب، وأبي الحسن الحوفي، أو بالنسبة لمن أخذ عمن أخذ عنه كابن عطية، وأبي حيان ــ وهذا نقل عنه مباشرة أيضاً ــ والقرطبي. وهذا يُسْلِمُنا للحديث عن أثره في المفسرين من بعده.

ثم ذكر تأثيره في المفسرين من بعده، مثل: مكي بن أبي طالب، والحوفي وأبي حيان، وأبي شامة، معضداً ذلك بالشواهد.

أما القسم الثاني من رسالة الباحث، فكان تحقيقاً لسورة الفاتحة من تفسير الأدفوي، وقد شغل مائتي صفحة!

وذكر منهجه في التحقيق على الشكل التالي :

١ ــ مقابلة النسخ: فقابلت القدر المشترك بين نسخة كاملة (من تركيا) وثلث تفسير الفاتحة من نسخة أخرى بتونس، وقابلت الباقي على المصادر التي نقل عنها الأدفوي، والكتب التي نقلت عنه، وأثبتُّ ماغلب على ظني أنه الصواب في الصّلب، وأشرت إلى ذلك في الحاشية.

٢ ــ عزو الآيات، وقد ذكرت بعد اسم السورة رقمها؛ ثم رقم الآية.

٣ ــ تخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة المعتمدة، ومالم أجده فيها تتبعته في مظانه من كتب التفسير وعلوم القرآن وغيرها.

٤ ــ رجع المسائل إلى مظانها في المراجع المعتمدة، يستوي في ذلك ماعزاه الأدفوي وما لم يعزه.

٥ ــ تخريج الأشعار من دواوين أصحابها، ومن كتب اللغة.

٦ ــ إيضاح مايحتاج إلى إيضاح أو تعليق.

٧ ــ التعريف ــ بشكل موجز ــ بالأعلام والفرق والطوائف الواردة في السنن.

٨ ــ وضعتُ على يسار الصفحة رقم صفحة المخطوط وإلى جانبه خطاً مائلاً مقابل السطر الذي تبتدىء عنده الصفحة، كما وضعت خطاً مائلاً بين أول كلمة من الصفحة الجديدة وآخر كلمة من الصفحة التي قبلها.

وقد ذيل الباحث رسالته بفهارس تفصيلية للآيات، والأحاديث والآثار، والشعر، والأعلام، والأماكن، والفرق والطوائف والقبائل وما إليها، إضافة إلى فهرسي المراجع والموضوعات.

البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة

لفوزية محمد نوح

نوح، فوزية محمد /البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة (١٨٤ ــ ٢٩٦) هـ.ــ رسالة ماجستير .ــ إشراف أحمد السيد درّاج .ــ مكة المكرمة: قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، ١٤٠٤ ــ ١٤٠٥هـ.

كان لبحرية الأغالبة دور كبير في فتح جزر الحوضين الأوسط والغربي للبحر الأبيض المتوسط وجنوب إيطاليا، وماتبع ذلك من بسط السيادة الإسلامية على هذه الجهات ونشر الإسلام بها، بل إن بحرية الأغالبة بعد نجاحها في غزو هذه المناطق وفتحها مالبثت أن ورثت البحرية البيزنطية في السيطرة على الحوض الأوسط للبحر الأبيض المتوسط.

وقد درست الباحثة تاريخ هذه البحرية ودورها والنتائج التي توصلت إليها في أربعة فصول، وخاتمة فيها النتائج.

تحدثت في **الفصل الأول** عن تاريخ البحرية في المغرب قبل ظهور دولة الأغالبة، وتناولت فيه الأسباب التي أدت بالقائد العظيم حسان بن النعمان إلى بناء دار الصناعة في تونس، مع بيان تفاصيل إنشاء هذه الدار منذ أن كانت فكرة حتى أصبحت أول دار لصناعة السفن بافريقية، والتي بينت فيها أول قوة بحرية إسلامية في افريقية يدافع بها المسلمون عن شواطئهم ضد غارات الروم دون الحاجة إلى البحرية الإسلامية في شرق البحر الأبيض المتوسط. ثم انتقلت للحديث عن فترة دفاع المسلمين عن شواطىء افريقيه منذ ولاية موسى بن نصير إلى ولاية آخر والٍ من ولاة افريقية من قبل الخلافة الأموية والعباسية.

أما الفصل الثاني: فقد بينت فيه مدى اهتمام ولاة الأغالبة بالبحرية. وبدأت حديثها في هذا الفصل عن مدى توفر المواد اللازمة لإنشاء دور الصناعة، مع إعطاء أمثلة لبعض المدن التي تتوفر فيها هذه المواد.

ثم تحدثت عن دور الصناعة في دولة الأغالبة، فقد أضاف الأغالبة إلى دار صناعة مدينة تونس ثلاث دور للصناعة، وهي دار صناعة مدينة سوسة، ودار

صناعة مدينة طرابلس، ودار صناعة مدينة مسينا في صقلية، بالإضافة إلى دار صناعة جزيرة مالطة، وأخيراً دار صناعة جزيرة قوصرة.

وبعد ذلك انتقلت إلى الحديث عن التحصينات البحرية الدفاعية التي قام بها الأغالبة للساحل الافريقي، والتي تتمثل في المحارس والأربطة وتحصينات أسوار المدن البحرية الهامة التي قام بها ولاة افريقية ثم أمراء الأغالبة.

وأما الفصل الثالث : فقد بينت فيه الدور الذي قامت به البحرية في عهد الأغالبة.

وفي البداية ذكرت فتح الأغالبة **لجزيرة قوصرة** وهي أقرب جزيرة للساحل التونسي.

ثم انتقلت بحديثها إلى أهم حدث في تاريخ البحرية الإسلامية في ذلك الوقت وهو **فتح جزيرة صقلية** التي تعتبر من أهم جزر البحر الأبيض المتوسط، وقد استمر فتحها قرابة القرن من الزمان.

وفي الفقرة الثالثة من هذا الفصل تحدثت عن **فتح الأغالبة لجنوب إيطاليا** ووصول غاراتهم إلى روما ــ قلب إيطاليا ومركز البابوية الرئيسي ــ عدة مرات وتهديدها.

وذكرت أيضاً ما أنشأه المسلمون في جنوب إيطاليا من ولايات مستقلة والتي رغم قصر مدة بقائها إلا أنها تدل على قوة مسلمي افريقية ومدى ماوصلت إليه بحريتهم من قوة في ذلك الوقت.

أما الفقرة الرابعة من هذا الفصل فقد تحدثت فيها عن **فتح الأغالبة لبقية جزر البحر الأبيض المتوسط** التي وقعت تحت سيطرتهم كجزيرة مالطة وغيرها من الجزر الصغيرة التي وقعت تحت سيطرتهم كجزيرة مالطة وغيرها من الجزر الصغيرة التي تقع في وسط البحر الأبيض المتوسط، إلى جانب المحاولات التي قاموا بها للاستيلاء على جزيرة سردانية.

هذا وقد خصصت **الفصل الرابع والأخير**: للحديث عن **النشاط التجاري لبحرية الأغالبة. وفي** هذا الفصل بينت أهمية هذا النشاط الذي أعطى للمسلمين دوراً كبيراً في تجارة البحر الأبيض المتوسط بين المشرق والمغرب، بالمقارنة بما كانت عليه هذه التجارة عندما كانت السيادة البحرية لهذا البحر في يد بيزنطة، وعندما كانت تفرض رقابتها على طرق التجارة به.

ومن النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذا البحث :

١ ــ معرفة الأسباب التي دفعت المغاربة المسلمين لإنشاء دار الصناعة في تونس، سواء كانت أسباباً مباشرة أو غير مباشرة، وكيف أنشأوا هذه الدار، لتكون أول قوة بحرية مغربية إسلامية في إفريقية.

٢ ــ اتضح مدى نشاط هذه الدار البحرية في عصر الولاة للدفاع عن شواطىء إفريقية من أية غارة بيزنطية إلى جانب قيام المسلمين بالجهاد في جزر البحر الأبيض المتوسط في حوضيه الأوسط والغربي. ولكن لم يستمر هذا النشاط بسبب الفتن والثورات التي اشتعلت في إفريقية بين البربر الخوارج الصفرية والأباضيه، مما شغل الولاة عن الخروج للجهاد، واقتصار دور البحرية في الدفاع عن شواطىء افريقية، إلى جانب الأربطة التي وجدت في هذه الفترة من تاريخ إفريقية.

٣ ــ اتضح مدى اهتمام الأغالبة بالبحرية، وأن تعدد دور الصناعة كان لتوفر مواد الصناعة، سواء في إفريقية أو في جزيرة صقلية أو في بقية الجزر التابعة للأغالبة، وأن سبب اهتمامهم ببناء دور الصناعة في أملاكهم وجلب المواد اللازمة لها كان لإحساسهم بالخطر البيزنطي بعد نقض الهدنتين اللتين كانتا بين أمراء الأغالبة وبين القادة الروم في صقلية.

٤ ــ كما تبين مدى اهتمام الأغالبه بالبحرية بإقامتهم التحصينات على طول الشواطىء الافريقية للدفاع عنها وتأمين شواطىء بلادهم، وقد كان أمراء الأغالبه مولعين بحب البناء والتشييد. وقد ساعد الأغالبة على تكوين هذه القوة البحرية القوية كثرة القواعد البحرية والمراسي على طول شواطئهم، مما جعلها قوة يخشاها أعداؤها ويحسبون لها ألف حساب.

٥ ــ كما تبينت قوة البحرية الأغلبية وعدد قطع أسطولها المشترك في كل معركة، وذلك حسب النصوص التاريخية المتوفرة. هذا إلى جانب المعلومات الوافية عن هذه القطع من حيث أسماؤها، والنصوص التي تثبت وجودها في الأسطول الأغلبي، ومن حيث وضعها ومعرفة وظيفتها والفائدة منها داخل الأسطول الأغلبي.

٦ ــ جهاد المسلمين الأغالبة في البحر الأبيض المتوسط كان ملحمة رائعة، فقد فتحوا بعض الجزر كجزيرة قوصرة، ذلك الفتح الذي اتضح أنه كان في عهد الأغالبة حسب نص ابن خلدون ورواية ارشيالد لويس، في حين أن كثيراً من المصادر والكتب التاريخية لاتذكر أي فتح لها في عهد الأغالبة، فهم يقتصرون في ذكر فتحها على الفتح الأول ــ الذي اعتبروه نهائياً ــ في عهد الوالي إفريقيه عبدالرحمن بن حبيب الفهري سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م. في حين أنها فتحت ثانية في عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب سنة ٢٢١هـ/٨٣٥م.

٧ ــ اتضح كيف تم لمسلمي الأغالبة فتح جزيرة صقلية التي تعتبر أهم الأحداث التاريخية في تاريخ البحر الأبيض المتوسط عامة، وتاريخ دولة الأغالبة خاصة في هذه الفترة من تاريخ العصور الوسطى، وقد استمر فتحها قرابة القرن. كما اتضح كيف فتحت كل من جزيرة مالطه وجزيرة لبندوشة وجزيرة نموشة، هذا إلى جانب إيضاح محاولات بحرية الأغالبة لفتح جزيرة سردانية.

٨ ــ بلغ نشاط بحرية الأغالبه أن وصلت فتوحاتهم إلى جنوب إيطاليا، وتهديدهم مدينة روما نفسها عدة مرات والتي تعتبر قلب إيطاليا، ومقر البابوية، ومعقل الكنيسة والمسيحية. فقد قاموا بحصارها وتخريب أرباضها ونهب كنائسها، وهذا في حد ذاته يعتبر نصراً كبيراً للمسلمين الأغالبة حتى ولو لم يستطيعوا الاستيلاء عليها. فهو يدل على ما وصلت إليه البحرية الأغلبية من قوة وبطش. هذا إلى جانب ما اتضح من إنشاء دويلات عربية في جنوب إيطاليا بقيت مدة من الزمن تهدد جنوب إيطاليا عامة ومدينة روما، خاصة ولاية لابدوزا، وبرنديزي، وباري، ومونت جاريليانو.

٩ ــ على الرغم من أن البحرية البيزنطيه هي التي كانت سائدة على البحر الأبيض المتوسط، وأنها كانت كذلك مسيطرة على تجارته البحرية، إلا أنه جاء الوقت الذي ضعفت فيه في حين قويت البحرية الأغلبية إلى جانب بحرية مسلمي كريت وبحرية مسلمي الأندلس، فأصبح للمسلمين الغلبة على البحر الأبيض المتوسط، وأصبح للبحرية الأغلبية بصفة خاصة، والبحرية الإسلامية بصفة عامة، دورها الفعال في التجارة بين المشرق والمغرب، وبذلك اعتبرت البحرية الإسلامية بحق وريثة السيادة البيزنطية البحرية والتجارية في هذا البحر. وقد أسهم هذا الدور التجاري للبحرية الأغلبية في الازدهار الاقتصادي لدولة الأغالبة.

التلفزيون وتربية الطفل في البيئة السعودية

دراسة لعالية محمد الخياط

الخياط، عالية محمد /التلفزيون وتربية الطفل في البيئة السعودية: بحث مكمل لنيل درجة الماجستير .ـ إشراف محمد عيسى فهيم .ـ مكة المكرمة: قسم التربية بكلية التربية بجامعة أم القرى، ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦هـ.

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى توافق برامج الأطفال المقدمة في التلفزيون السعودي مع مبادىء التربية الإسلامية من خلال استعراض لبعض برامج الأطفال بشكل عام ولبرنامج (افتح ياسمسم) بشكل خاص.

لذلك فقد احتوت هذه الدراسة على خمسة فصول :

الفصل الأول: (مقدمة عن البحث، وأهميته، مشكلة البحث، وتساؤلاته، منهج البحث، الدراسات السابقة).

أما الفصل الثاني : فيتكون من جزئين :

الأول : ويتناول أهم معايير البرنامج التلفزيوني الجيد من خلال ماتسمح به شريعتنا الإسلامية السمحاء.

الثاني : ويشتمل على استعراض وتحليل لبعض برامج الأطفال من منظور التربية الإسلامية.

أما الفصل الثالث: فقد تناول أهداف البرنامج العربي (افتح ياسمسم) وعلاقتها بأهداف التربية الإسلامية، إذ اتضح أن أهداف البرنامج العربي في مجملها، متفق مع أهداف التربية الإسلامية، حيث اهتم البرنامج بالتربية العقلية والجسمية والاجتماعية والانفعالية للطفل، ولكن كان تناوله لها بمنظور غير إسلامي في معظم الأحيان، مما جعل ارتباط أهدافه بأهداف التربية الإسلامية ارتباطاً ضعيفاً.

وقد تناول **الفصل الرابع:** محتوى برنامج (افتح ياسمسم)، ومدى تحقيقه لمفهوم التربية الإسلامية، من حيث شكله العام، مضمون الأداء.

وقد استخدمت الباحثة المنهج المسحي الوصفي عن طريق الملاحظة لمحتويات البرنامج خلال (٤٨) حلقة، اشتملت كل حلقة على مناقشة ثلاثة جوانب (الجانب الأخلاقي التعليمي ـ الديني). وقد احتوى هذا الفصل على نتائج تحليل المحتوى، في ضوء تساؤلات البحث الخاصة بهذا الجزء وهي :

ما مدى مساهمة برنامج افتح ياسمسم في بناء شخصية الطفل وسلوكه الإسلامي؟ وكانت النتائج كالتالي :

الناحية العقلية : أخفق البرنامج في ربط هذه الناحية بالتربية الإسلامية، ويستثنى من ذلك محاولات بعض الحلقات القليلة.

الناحية الاجتماعية : حقق البرنامج إنجازاً طيباً في مجال القيم والأخلاق، لولا ظهور بعض القيم الغربية، ومعالجة بعضها الآخر بطريقة غير إسلامية أو تربوية.

الناحية الجسمية والانفعالية : حقق البرنامج في هاتين الناحيتين إنجازاً طيباً، إلا أنه افتقر في كثير من الأحيان إلى التوافق مع ماتدعو إليه التربية الإسلامية.

الناحية الدينية : نظراً للنسبة الضئيلة التي أفردها البرنامج بهذه الناحية فإن حجمها الفعلي في البرنامج كان ضئيلاً ومحدوداً.

ومن هنا فإننا نجد أن البرنامج في شكله الحالي، يساهم بقدر ضئيل في تربية الطفل تربية إسلامية.

واشتمل الفصل الخامس : على نتائج الدراسة بصفة عامة، وعلى المقترحات والخاتمة.

ومن النتائج العامة للبحث مايلي:

١ ـ للتلفزيون آثاره الإيجابية النافعة، وآثاره السلبية الضارة على الأطفال وتتوقف هذه الإيجابية أو السلبية على نوعية البرامج المقدمة وعلى شخصية المشاهد، وعلى مدى توافقه الأسري، واستقراره العائلي.

٢ ـ تعتبر الأم من أكبر مصادر حماية الطفل من التلوث التلفزيوني، ولهذا يجب أن تعطي الأم طفلها الكثير من الرعاية والعناية والإشراف.

٣ ـ تنمي بعض برامج التلفزيون مدارك الطفل، كما تعمل على إثراء حصيلته اللغوية، بتقديمها برامج شيقة تتحدث العربية الفصحى بأسلوب سهل ممتع.

وقد أوصت الباحثة في نهاية هذه الدراسة ببعض التوصيات جاء منها مايلي:

١ ـ لابد لبرامج التلفزيون أن تكون على مستوى من الأهمية والمسؤولية بحيث تقدم لمشاهديها على اختلاف فئاتهم ومشاربهم فترة جيدة من المواد المسلية والمفيدة، والتي تناسب أذواقهم وتتمشى مع تعاليم ديننا الحنيف.

٢ ـ تدريب وإعداد العاملين في التلفزيون على اختلاف تخصصاتهم بشكل يراعي توجيههم وتعريفهم بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم.

٣ ـ تشكيل هيئة عليا متخصصة، تراقب وتتابع وتقوم كل مايبثه التلفزيون من برامج وبعد العرض. كما تشرف هذه الهيئة على برامج الأطفال، بحيث تنطلق جميع البرامج من منطلق الإسلام.

٤ ـ التخفيف من مظاهر العنف والعدوان، ومواقف الحب والغرام، التي تكتنف معظم برامج التلفزيون، وخاصة برامج الأطفال، واستبدالها ببرامج واقعية جذابة ومفيدة.

٥ ـ تحقيق التكامل والتناسق، وإيجاد الصلة بين التلفزيون والمؤسسات الثقافية والاجتماعية الأخرى، ومن أهمها (الأسرة والمدرسة).

الوقف والابتداء عند النحاة والقراء

لخديجة مفتي

مفتي، خديجة أحمد /الوقف والابتداء عند النحاة والقراء .ـ رسالة دكتوراه .ـ إشراف عبدالفتاح إسماعيل شلبي .ـ مكة المكرمة: قسم اللغة والنحو والصرف بجامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ، ٤٤٢ ص.

يتكون البحث من ثلاثة أبواب، يسبقها مدخل، وتتلوها خاتمة.

في المدخل تحدثت الباحثة عن معنى الوقف عند القراء لغة واصطلاحاً، ولمست مدى دقة القراء في تسميتهم له حسب حال القارىء في تلاوته، من وقف، وسكت، وقطع، ثم بيّنت معناه عند النحاة، وأن بعضهم استخدمه بمعنى السكون المقابل للإعراب، كل هذا في عرض زمني مسلسل، يبدأ من القرن الثاني الهجري، وينتهي في القرن الحادي عشر. وعقبت بذكر أهمية الوقف، تلك الأهمية التي جعلت هذا الموضوع محل اهتمام القراء والنحويين على سواء.

ثم انتقلت الباحثة إلى ما يؤكد الأهمية ويجليها للقارىء، وهو ما أوردته كتب القراءات من وقوف للنبي ﷺ ووقوف لجبريل عليه السلام، والتي حصلت عليها من مخطوط بدار الكتب المصرية.

وختمت هذا المدخل بإبراز جهود القراء والنحاة في خدمة باب الوقف والابتداء تأليفاً ودراسة، سواء في ذلك الكتب التي أفردته بالبحث، أو التي أوردته باباً من أبوابها، كما هو الحال في كتب القراءات العامة التي جعلته أصلاً من أصولها، وكتب النحو التي عالجته باباً من الأبواب التي ختمت بها.

ثم انتقلت الباحثة إلى الباب الأول فقسَّمته إلى فصلين

في **الفصل الأول** بينت مدى ارتباط الوقف بالعقيدة، إذ إن هناك بعض الأوقاف التي تبيّن مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة، ثم ارتباط الوقف بالفقه وكيف يكون الوقف مبنياً على الحكم الفقهي في الآية، كما في قوله تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم**﴾ فمن قال من الفقهاء لا تقبل شهادة القاذف وإن تاب وقف على (أبداً) وقفاً تاماً، ومن قال إنها تقبل يقف على آخر الآية، فالتمام في الآية يعرف من جهة الفقه.

ثم انتقلتْ إلى بيان ارتباط الوقف بالقراءات، وأن الوقف يختلف باختلاف القراءة في الآية، كذلك وضحت ارتباط الوقف بالتفسير، وهو أحد الأصول التي ينبى عليها الوقف، فالأساس الأول في الوقف تدبر المعنى.

وتطرقت لبيان علاقة الوقف باللهجات، وكان سبيلها فيه أن بيّنت أولاً طرق العرب المختلفة في الوقف، ثم عقبت بذكر ما ورد من القراءات موافقاً اللهجة.

وختمت هذا الفصل بدراسة علاقة الوقف برسم المصحف، هذه العلاقة التي تميِّز القراء عن النحاة، فالقراء في وقفهم محكومون بمراعاة رسم المصحف العثماني، لأن ماوافق رسم المصاحف من القراءات يقبل، وما خالفه يرد، ورسم المصحف روعي فيه الابتداء بالكلمة والوقوف عليها.

ثم ذكرت أقسام الوقف على مرسوم الخط وهي الإبدال، الإثبات، الحذف، الوصل، القطع، والتي استقت مادتها من كتب القراءات إلى جانب كتب النحو، وختمتها بعرض مذاهب القراء في الوقف على مرسوم الخط.

ثم انتقلت إلى **الفصل الثاني**. والذي ضمَّنته مباحث ثلاثة.

البحث الأول: أقسام الوقف، والتي سماها عبدالله بن مسعود رضي الله عنه منازل القرآن. بينت هذه الأقسام من حيث عددها، وأقوال علماء القراءات فيها مرتبة الحديث ترتيباً زمنياً، وعقبت بذكر رموز هذه الأقسام المستخدمة في المصاحف، وقد اعتمدت فيها على مصاحف طبعت في سنوات متباينة وأقاليم مختلفة، وانتهت إلى أن أولى الرموز بالبقاء رمزا اللازم والممتنع.

أما المبحث الثالث فآثرت الباحثة أن تبيّن مواضع الوقف في آيات، طالما أكدت السنة المطهرة على بيان فضلها فلهجت بها الألسن وحفظتها الصدور، منها آية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، وكان سبيلها في معالجة الوقف فيها تدبر معانيها وتأمل ما يؤديه الوقف من هدءات روحية لقارئها.

ثم انتقلت إلى الباب الثاني، والذي خصصته لمعالجة الجانب الصوتي في الوقف، وافتتحته ببيان صوت الحرف عند الوقف عليه تبعاً لصفات الحرف الصوتية، وأتبعته بدراسة الجانب الصوتي في طرق الوقف المختلفة من زيادة، وتضعيف، وإبدال، ونقل. وتواردت بعد ذلك مباحث هذا الباب على النسق الآتي:

المبحث الأول: الوقف والإمالة، وكانت مادته من كتب القراء والنحاة. فهو عند القراء قسمان: الوقف على الممال، إمالة الكسائي ماقبل تاء التأنيث حين الوقف. أما النحاة فأدرجوه ضمن باب الإمالة. وبينت فيه نقاط اختلاف القراء والنحاة في هذا الوقف.

المبحث الثاني: التقاء الساكنين في الوقف. وفكرته قائمة على أن الساكنين يغتفر التقاؤهما في الوقف مطلقاً، لأن الوقف عارض، والعارض لا يعتدّ به، واستشهدت على ذلك بما ورد منه في القراءات القرآنية فضلاً عما جاء منه في سعة الكلام.

أما المبحث الثالث: فكان في الوقف على الهمز. وفيه تحدثت عن طبيعة صوت الهمزة، وأنه أنسب مايكون لها في الوقف تخفيفها. لأن الوقف مقام استراحة وطلب للخفة، وبينت أقوال القراء والنحاة في الوقف عليها، وختمته بما اختص به القراء وهو تخفيف الهمز باعتبار خط المصحف.

والمبحث الرابع: كان عن الوقف بالروم والإشمام عند القراء والنحاة، والروم والإشمام من طرق الوقف التي عالجها النحاة والقراء، حتى إن القراء قصروا عليها باب الوقف على أواخر الكلم. وقد اتفق النحاة والقراء على تعريف الروم، واختلفوا في مظانه، فالقراء منعوه في المفتوح والمنصوب، على حين أجازه النحاة فيهما.

أما الإشمام فلا خلاف بين النحاة والقراء في أنه يكون في المرفوع والمضموم. ثم بينت المواضع التي يمتنع فيها الوقف بالروم والإشمام، وكانت موضع اتفاق بين القراء والنحاة.

وأنهت المبحث بالرد على الدكتور إبراهيم أنيس الذي عدَّ الروم والإشمام من الوسائل التي اخترعها القراء فيما بعد لهدي الناشئين إلى حركات الإعراب في أواخر الآيات.

وفي المبحث الخامس تناولت الباحثة أحكام الوقف على الراءات واللامات من حيث الترقيق والتفخيم عندما يكونان طرفاً في الكلمة، وهو جانب صوتي محض.

وعقدت الباب الثالث لبيان علاقة الوقف بالتركيب، أي الإعراب، والإعراب كما هو معروف فرع المعنى، وضمنته ستة مباحث:

الأول: اختلاف الوقف باختلاف الإعراب، وكان منهجها فيه دراسة الوقوف في بعض آيات من القرآن الكريم وبيان اختلاف مواضعها تبعاً لاختلاف إعراب الكلمات، وهذا المبحث يمثل المنهج الذي قامت عليه الكتب التي خصها مؤلفوها بدراسة الوقف مثل كتاب (إيضاح الوقف والابتداء) لأبي بكر بن الأنباري، وكتاب (القطع والائتناف) لأبي جعفر النحاس.

وأعقبته بأربعة مباحث تعنى بدراسة الوقف على (كلا) والابتداء بها، والوقف على (بلى) والابتداء بها، والوقف على (نعم) والابتداء بها، والوقف على (إلاّ) والابتداء بها. وهذا مما يحكمه المعنى والإعراب.

وختمت الباب بمبحث أولته كتب النحو اهتمامها، وهو «إجراءالوصل مجرى الوقف» وقد وجِّهت به بعض القراءات القرآنية.

وألحقت بالباب الثالث فصلاً تحدثت فيه عن الابتداء بين النحاة والقراء والذي عالجه القراء من ناحية معنوية، فبيَّنوا لنا من أين نبتدىء، ثم من ناحية بنائية صرفية بيَّنوا لنا بها كيف نبتدىء، وهذا الجانب الأخير أولاه النحاة اهتمامهم، حيث أفردوا له باباً فيه عن كيفية الابتداء بألف الوصل، أو درجها؛ لأن هذه الناحية تتعلق بطبيعة النطق، والكل في هذا سواء.

وفي نهاية الدراسة ردت على الدكتور إبراهيم أنيس الذي أعتبر باب الوقف مفتاح السر في إنكاره الإعراب، على الرغم من أن كل جزئية في باب الوقف تؤكد أنه السر في إثبات الإعراب وأصالته.

وأخيراً عقدت موازنة بين أحكام الوقف عند النحاة وأحكامه عند القراء بناء على ما ورد في الرسالة.

رسالة الجزائر الثقافية

محمد عيسى موسى

الأعمـال العامـة

التلفزيون الجزائري: واقع وآفاق /عبدالحميد حيفري .ــ الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 - 236 ص؛ 24 سم.

يقدم الكاتب دراسة سوسيولوجية تحليلية لبرامج التلفزيون من سنة 1976 إلى 1978. اعتمد المؤلف على جمع البيانات وتصنيفها ثم تحليلها، كما وضع استبياناً درس فيه اتجاهات السكان من خلال عينة ممثلة لكل فئات المجتمع الجزائري، اختارها من مدينة وهدان حيث يقيم الباحث. وتقع الدراسة في أربعة أبواب هي :

الباب الأول : لمحات تاريخيـة.
الباب الثاني : المنجزات الكبرى للتلفزيون في الجزائر المستقلة.
الباب الثالث : واقع الإنتاج التلفزيوني.
الباب الرابع : معوقات تطور التلفزيون الجزائري وآفاق مستقبله.

الخط العربي وآفاق تطوره /خالد فطيش.ــ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986 - 347 ص؛ 22 سم.

حاول باحثون كثيرون اقتراح طرق جديدة لكتابة الخط العربي. وفي هذا الكتاب آخر تلك المحاولات، قدم فيها صاحبه خطة جديدة، اعتمدت على أشكال استوحاها من آثار الكتابات العربية القديمة من أجل مرونة أكثر، ولتستجيب حسب رأيه لشروط الطباعة الجديدة التي تلجأ إلى استعمال الإعلام الآلي. ويقع الكتاب في خمسة فصول: في الأول لمحة تاريخية، وفي الثاني خصائص الخط العربي، ودرس في الفصل الثالث تطور الحروف العربية واشتقاق الحروف المطبعية، وتناول الفصلان الأخيران بعض الجوانب العملية لتلك الخطة.

علم الإعلام والسياسات الإعلامية في العالم الثالث /الزبير سيف الإسلام.ــ ط 2 .ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.ــ 127 ص؛ 24 سم.

شارك المؤلف في عدة مؤتمرات وملتقيات عربية ودولية خاصة بالإعلام والسياسات الإعلامية فجمع مساهماته في تلك الملتقيات في كتاب يحمل عنواناً مشتركاً للموضوعات التالية :

علم الإعلام في المنطقة العربية.
التكوين العلمي للإنسان شرط أساسي لكل تنمية.
خريطة أجهزة الإعلام في الوطن العربي.
المناهج المقررة.
تأملات في السياسة الإعلامية في العالم الثالث.
التعاون العربي الإفريقي في مجال التدريب المهني الإعلامي.
مشروع تمهيدي لبعض المشاريع القابلة للتنفيذ.

فن الكتابة الصحفية عند العرب في القرن التاسع عشر /الزبير سيف الاسلام .ــ ط. 2 .ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.ــ 71 ص؛ 24 سم.

لا يعبر العنوان عن مضمون الكتاب، هو في الأصل مقالات عديدة نشرها كاتبان في جريدة «المبشر» سنة 1852 وصفا فيها رحلتهما إلى فرنسا حين دعيا للمشاركة في حفل اعتلاء نابليون عرش فرنسا سنة 1852. ويهدف جامع المقالات من وراء نشرها إلى تقديم نموذج للكتابة الصحفية في بداية عهدها بالجزائر في القرن التاسع عشر.

منهجية البحث العلمي عند المسلمين /غازي عناية.ــ قسنطينة: دار البعث: 1985 - 252 ص؛ 22 سم.

أراد المؤلف توضيح الرابطة المتينة الموجودة بين العلم والدين، واستعرض الأدلة الدينية التي تدعو إلى العلم وتدعمه، وتناول في الباب الأول والثاني الأفكار الأساسية المتعلقة بالمنهجية في البحث العلمي عند المسلمين، وبين عدم تعارضها مع الشريعة الإسلامية، وكون الدين الإسلامي يحث على العلم والتعلم. أما الباب الثالث فقد خصصه المؤلف للحديث عن المكتبة ودورها في الإسلام كالتالي:

الباب الثالث : المكتبـة في الإسـلام

الفصل الأول : نشأة المكتبة في الإسلام
الفصل الثاني : أقسام المكتبة في الإسلام.
الفصل الثالث : نظام المكتبة في الإسلام
الفصل الرابع : أشهر المكتبات في الإسلام :
المبحث الأول : المكتبات الإسلامية القديمة.
المبحث الثاني : المكتبات الإسلامية الحديثة في البلدان العربيـة.
المبحث الثالث : المكتبات الإسلامية الحديثة في البلدان الإسلامية.
المبحث الرابع : المكتبات التي تضم مخطوطات إسلامية في البلدان غير

الإسلامية.

الفصل الخامس : الأهداف والفوائد العامة للمكتبة الإسلامية :
المبحث الأول : الأهداف التربوية.
المبحث الثاني : الأهداف الاجتماعية.
المبحث الثالث : الأهداف العلمية.
المبحث الرابع : الأهداف الحضارية.

أما الباب الرابع ففيه تعريف ببعض المصادر وهي أنواع ثلاثة:

الفصل الأول : مراجع التفسير
الفصل الثاني : مراجع الحديث.
الفصل الثالث : مراجع الفقه.

الدين وعلم النفس

الاجتهاد الديني المعاصر: قضايا وآفاق /أبو المجد أحمد.ـــ قسنطينة: دار البعث، 1985 - 185 ص؛ 22 سم.

يعد الكتاب في مجمله دعوة جادة للمسلمين إلى الاجتهاد. طرح المؤلف عدة مسائل معاصرة، من ذلك ماعرضه الملتقى السابع عشر للفكر الاسلامي المنعقد في مدينة قسنطينة في شوال 1403 حين درس العلماء فيه الاجتهاد الديني وأهميته وشروطه ومنهجيته ومجالاته ووسائل تحقيقه. وصدرت عن الملتقى توصيات عددها المؤلف وناقشها. أما المسائل التي اختارها محوراً لدراسته فهي

- ــ الفوائد المترتبة عن الربا
- ــ عقود التأمين وأنواعه.
- ــ تأجير الأرض الزراعية
- ــ تنظيم النسل.
- ــ الحكم والشورى
- ــ أوائل الشهور القمرية بين الرؤية المجردة والحساب الفلكي.
- ــ منى وذبائح الهدي.

محاضرات في علم النفس الاجتماعي /محيي الدين مختار .ـــ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، [1985] .ـــ 328 ص؛ 22 سم.

الكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات للمؤلف في علم النفس الاجتماعي عرفه في المقدمة: «هو الدراسة العلمية لمظاهر سلوك الفرد وخبرته من ناحية تشكلها بصورة مباشرة أو غير مباشرة خلال المواقف الاجتماعية، ونظراً لوقوف هذا العلم في موضعه على الحدود بين علم النفس من ناحية وبين علم الاجتماع من ناحية أخرى، ولأنه من جهة النظر الاجتماعية قام ونما نتيجة لجهود علماء النفس وعلماء الاجتماع معاً، فقد ظل التأليف فيه إلى وقت قريب يكشف عن تيارين: أحدهما تسيطر عليه النزعة الأساسية لعلوم الاجتماع، والآخر تسيطر عليه النظرة الأساسية لعلم النفس. لكن مع تقدم البحوث التجريبية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية أخذت شخصية العلم المستقلة تفرض نفسها من خلال المفاهيم التي يستخدمها بوجه خاص. ويقع الكتاب في عشرة فصول هي:

الفصل الأول : مدخل عام
الفصل الثاني : الجماعة.
الفصل الثالث : التنشئة الاجتماعية
الفصل الرابع : القيادة.
الفصل الخامس : مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي
الفصل السادس : العلاقات البشرية والتفاعل الاجتماعي.
الفصل السابع : التغير الاجتماعي
الفصل الثامن : الحرب النفسية.
الفصل التاسع : بعض مجالات علم النفس الاجتماعي
الفصل العاشر : الأمراض الاجتماعية.

العلوم الاجتماعية

إجراءات الحبس الاحتياطي والإفراج المؤقت /عبدالعزيز سعد .ـــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 - 228 ص؛ 24 سم.

استخرج المؤلف من قانون الإجراءات الجزائية المواد 109 إلى 137 التي تحدد إجراءات الحبس الاحتياطي والإفراج المؤقت وتناولها بالدرس والتحليل. فتحدث في البداية عن القواعد الأساسية التي تضمنتها مواد قانون الإجراءات الجزائية الجزائري، ثم عالج مسألة حبس الشخص المتهم حبساً احتياطياً، وكذلك الإفراج عنه مؤقتاً، تلقائياً أو بناء على طلبه. وينقسم البحث إلى قسمين متميزين. خصص الأول للحديث عن قواعد وشرط الأمر بالحبس الاحتياطي، ويضم عشرة فصول: تناول فيها بالخصوص الجهات التي لها سلطة إصدار الأمر بالحبس الاحتياطي والحالات التي لايجوز فيها الأمر به أو يتوقف على شرط، كما تناول أيضاً قواعد تمديد الأمر بالحبس وإجراءات الطعن فيه. وخصص المؤلف الجزء الثاني للحديث عن القواعد والشروط المتعلقة بالإفراج المؤقت وهو يضم ثمانية فصول: تناول فيها بصفة خاصة طلب الإفراج من حيث تقديمه وشروط قبوله ومن حيث الجهات القضائية التي لها سلطة الفصل فيه، ومن حيث آجال الفصل فيه وآثار ذلك، كما تناول فيها حالات الإفراج عن المتهم المحبوس بقوة القانون والإفراج عن المتهم الأجنبي مقابل كفالة مالية، وأخيراً عن الإفراج المؤقت في قواعد القضاء المتخصص والقضاء الخاص والقوانين الخاصة.

الأحكام القضائية وصياغتها الفنية: إعدادها، تسبيبها، عيوبها والترجيح بين الأدلة /يحيى بكوش.ـــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984 .- 129 ص؛ 24 سم.

يهدف الكاتب إلى توضيح الجوانب الخفية التي تطعن في أحكام القضاة في الشكل أو في الموضوع من أجل تجنبها، مستلهماً في ذلك أسلوب إصدار القضاة المسلمين لأحكامهم وطرق الترجيح عندهم بين الأدلة المتعارضة، ويقع الكتاب في ستة فصول هي :

١ ــ إعداد الحكم
٢ ــ تسبيب الحكم.

٣ ــ بين الواقع والقانون أو دور القاضي وسلطة المجلس الأعلى
٤ ــ نظرية البطلان.
٥ ــ الصياغة الفنية للحكم
٦ ــ الترجيح بين البينات.

تقرير المصير السياسي للشعوب في القانون الدولي العام المعاصر /عمر إسماعيل سعدالله.ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.ــ435 ص، 24سم.

المؤلف هو أستاذ القانون في معهد العلوم القانونية والإدارية ــ جامعة الجزائر. تقع دراسته في فصل تمهيدي وبابين وخاتمة. خصص الفصل التمهيدي لبيان كيفية ظهور تقرير المصير وتطوره التاريخي، وأبرز فيه بصورة خاصة فكرة تقرير المصير في ظل الثورتين الأمريكية والفرنسية، وبعد ذلك خلال القرن التاسع عشر وفي الحرب العالمية الأولى ثم في ميثاق الأطلسي.

أما الباب الأول فهو خاص بماهية تقرير المصير السياسي، وفيه بيَّن المؤلف كيفية دمج تقرير المصير ضمن ميثاق الأمم المتحدة، وأوضح مفهومه ومضمون المادتين الأولى والخامسة والخمسين من الميثاق، والتناقض الحاصل في نصوص الميثاق بشأن تقرير المصير، وتناول الأساس القانوني لقدرة الأمم المتحدة على تعميق وتطوير مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، فحصره في ثلاثة أمور :
الأساس الاتفاقي (ميثاق الأمم المتحدة واتفاقيتا حقوق الإنسان). وأساس الهيئات (قرارات منظمة الأمم المتحدة). وأساس القضاء.

أما الباب الثاني فتناول دراسة ممارسة تقرير المصير السياسي، وقد تكلم فيه عن العقبات القانونية والبنيوية المتعلقة بممارسة تقرير المصير والتي برزت خاصة إبان عرض القضية الجزائرية أمام الأمم المتحدة أثناء حرب التحرير.

الجريمة التأديبية للموظف العام في الجزائر /أحمد بو ضياف.ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.ــ 126 ص؛ 24 سم.

يقع موضوع الكتاب في جزأين، تناول في الأول أركان المسؤولية التأديبية، وبحث الثاني في السلطة التأديبية. وتفرع الجزء الأول إلى ثلاثة أبواب. في الأول ركن الخطأ، وفي الثاني الموظف العام، وفي الأخير علاقة السببية.
أما الجزء الثاني ففيه خمسة أبواب هي:

الباب الأول : السلطة المختصة بتأديب العاملين في فرنسا
الباب الثاني : الاتحاد السوفييتي.
الباب الثالث : الجمهورية العربية المصرية
الباب الرابع : ليبيا والمغرب.
الباب الخامس : الجــزائر.

النزعة الجماعية في الفقه الإسلامي وأثرها في حق الملكية /محمد وحيد الدين سوار .ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.ــ 174 ص 24 سم.

تتناول الدراسة موقف الفقه الإسلامي بين الفرد والجماعة في مواجهة حق الملكية. بدأها المؤلف ببيان مظاهر حماية الفقه الإسلامي للفرد وحمايته للجماعة، ثم تحدث عن القيود الواردة على حق الملكية وهي نوعان: قيود ترد على حرية التملك وقيود ترد على سلطات المالك.

وتظهر القيود الأخيرة في صور ثلاث :
ــ قيود على سلطة المالك في استعمال ملكه.
ــ وقيود ترد على سلطة المالك في استغلال ملكه.
ــ وقيود ترد على سلطة المالك في التصرف في ملكه.

وتناول القيود الأولى التي ترد على سلطة المالك في استعمال ملكه، فبحث في نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي بين أنصارها وخصومها. ثم عالج القيود التي ترد على سلطة المالك في التصرف في ملكه، وهي تظهر في صورتين:
ــ قيود ترد على سلطة المالك في التصرف القانوني في ملكه.
ــ وقيود ترد على سلطة المالك في التصرف المادي في ملكه.

أما القيود الواردة في سلطة المالك في التصرف القانوني فتقسم في دورها إلى نوعين:
ــ قيود سلبية تمنع المالك من التصرف من ملكه.
ــ وقيود إيجابية تلزم المالك بالتصرف في ملكه.

الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين: 1919 ــ 1939 /عبدالحميد زوزو .ــ ط.2.ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.ــ 270ص؛ 24 سم.

عنوان الكتاب في طبعته الأولى هو :«دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين» تناول المؤلف فيه بالدراسة والتحليل واقع الحركة الوطنية الجزائرية خارج حدودها في خمسة فصول وملاحق، وكان الفصل الأول مدخلاً بين فيه تاريخ الهجرة الجزائرية، وخصص الفصل الثاني للحديث عن الأطوار التي مرت بها الحركة الوطنية الجزائرية في فرنسا، أما الفصل الثالث فكان خاصاً بالتنظيم الإداري للحركة الوطنية، واستعرض المؤلف في الفصل الرابع نشاط الحركة وعلاقتها بالحركات السياسية الأخرى، وتناول بالتحليل في الفصل الأخير المناورات والعراقيل الإدارية التي كان يلجأ إليها الاستعمار بغية عزل الحركة.

الوجيز في نظرية القانون في القانون الوضعي الجزائري /محمد حسنين.ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 .ــ 198ص؛ 24 سم.

تشمل هذه الدراسة نظرية القانون التي تعني التعريف بالقانون وبأقسامه وأنواع القواعد القانونية ومصادر القانون والمذاهب المختلفة في ماهيته أو طبيعته. وقد اعتمد المؤلف في دراسته على أسلوب المقارنة بين القانون الوضعي الجزائري والقانون المصري والفرنسي، وكذلك الفقه الإسلامي باعتباره مصدراً رسمياً وتاريخياً للقوانين الوضعية. وتقع الدراسة في أربعة فصول ومقدمة :
المقدمة : تعريف القانون وصلته بالحق.
الفصل الأول : أقسام القواعد القانونية وفروع القانون المختلفة من حيث موضوعها ومن حيث قوتها.
الفصل الثاني : مصادر القانون وماهيته.
الفصل الثالث : تفسير القانون.
الفصل الرابع : نطاق سريان التشريع في المكان والزمان.

وإتماماً للفائدة أرفق المؤلف قائمة بالمصطلحات القانونية بالعربية والفرنسية (ص 123 - 187) وهي مطابقة لما أورده المشرع الجزائري وشاملة لمصطلحات نظريات القانون

موضوع الكتاب.

الآداب

تطور النثر الجزائري الحديث : 1830 - 1974 / عبدالله ركيبي.ـــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983 , 269 ص؛ 24 سم.

عرض الكاتب الأشكال الأدبية التقليدية في النثر الجزائري وبين تطورها بعد أن طرأت عوامل جديدة أثرت في الأدب وفي الحياة بوجه عام، وتحدث عن اللغة وعلاقتها بذلك التطور، ثم استعرض الأشكال النثرية الجديدة، وكان للصحافة دور كبير في ظهورها وانتشارها، وساعدت مؤثرات أخرى على تطورها تناولها بالتفصيل. ويقع الكتاب في بابين وفصول عديدة هي كالتالي:

الباب الأول : أشكال نثرية تقليدية وهو أربعة فصول :

الفصل الأول : الخطب والرسائل

الفصل الثاني : أدب الرحلات.

الفصل الثالث : المقامات والمناظرات

الفصل الرابع : القصة الشعبية.

الباب الثاني : أشكال نثرية جديدة وهو خمسة فصول :

الفصل الأول : المقال الأدبي

الفصل الثاني : القصة القصيرة.

الفصل الثالث : الرواية العربية

الفصل الرابع : المسرحيـــة.

الفصل الخامس : النقد الأدبي.

الثورة الجزائرية في الشعر العراقي /عثمان سعدي.ـــ ط.2 .ـــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 .ـــ 2 ج (966 ص)، 24 سم.

كان المؤلف سفيراً للجزائر في العراق من سنة 1971 إلى 1974 فعمل في هذه الفترة على وضع ديوان جمع فيه الشعر العراقي في الثورة الجزائرية، فاستطاع أن يحصل على مائتين وخمس وخمسين قصيدة لأكثر من مائة شاعر موزعين على القطر العراقي كله، منهم شعراء معروفون مثل الجواهري والسياب والبياتي ونازك الملائكة، ومنهم من لم يكن معروفاً ولم تنشر له قصيدة واحدة.

اعتنى المؤلف بإنتاج كل الشعراء، وجه استبياناً لكل واحد منهم، استعان بالمعلومات التي تحصل عليها لوضع ترجمة موجزة عن الشاعر قبل ذكر أشعاره، وخلت أسماء قليلة من التعريف لعدم توفر المعلومات عنهم لدى المؤلف. وقد رتب الديوان هجائياً بأسماء الشعراء بدأه بقصيدة للشاعرة آمال الزهاوي، وانتهى الديوان بشعر للدكتور يوسف عز الدين. مهد المؤلف لديوان الشعر العراقي في الثورة الجزائرية بمقدمة درس فيها موضوعات الشعر العراقي في الثورة الجزائرية من ذلك:

١ ـــ قوة الثورة وصلابة عودها

٢ ـــ وصف بطولات الثوار

٣ ـــ أمجاد جيش التحرير ومعاركه

٤ ـــ ثورة الجزائر أمل العروبة ومثل الإنسانية.

٥ ـــ جميلة ونضال الثورة الجزائرية

٦ ـــ فرنسا وحلفاؤها كما صورها الشعراء العراقيون.

٧ ـــ فرحة إعلان الجمهورية وتحقيق الاستقلال

٨ ـــ الرمزية في شعر ماقبل ثورة تموز العراقية.

حركة الشعر الحر في الجزائر /شلتاغ عبود شراد .ـــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 .ـــ 187 ص، 24 سم.

اهتم المؤلف في دراسته بالفترة الممتدة بين 1954 و 1974 وهي المدة التي شهدت نمو ذلك النوع من الشعر في الجزائر، ويقع البحث في خمسة فصول. جعل من الأول والثاني مدخلاً له، تناول في البداية الحياة العامة في الجزائر قبل ظهور الشعر الحر، ثم تعرض في الفصل الثاني لحركة الشعر الحر في الأدب العربي عموماً. أما الفصول الثلاثة الأخرى فخاصة بموضوع الكتاب، درس في البداية أوليات حركة الشعر الحر في الجزائر والظروف التي شهدت ظهوره والأسباب التي جعلته يتخلف عن الركب، ودرس الفصل الرابع المضمون، أما الفصل الأخير فاهتم بالقضايا الفنية في مجالات اللغة والموسيقى والصورة والرمز.

الشخصية في الرواية الجزائرية: 1970 - 1983 /بشير بويجره محمد.ـــ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986 .- 213 ص؛ 22 سم.

يستخلص المؤلف النتيجة من دراسته المطولة للشخصية ومعالمها في أدب الرواية الجزائرية بقوله: «شهدت الساحة الجزائرية تحولات خطيرة بعد الاستقلال، تبعتها بالضرورة إبداعات أدبية في بناء الظواهر الفكرية قصد اكتمال اللوحة الفنية. ومن أهم وأخطر هذه الإبداعات الفنية الرواية التي كان لها الفضل الأكبر في توضيح العلاقة القوية بين الفنان وواقعه من جهة، وبينهما وبين الظواهر الفكرية المستجدة من جهة أخرى. كما أن للرواية الفضل في إغناء خريطتنا الأدبية بنماذج روائية كانت في أغلب الأوقات نسخة طبق الأصل للإنسان العربي في الجزائر والذي عانى من ويلات الاستعمار وجبروته، في نفس الوقت الذي مازال يبحث عن أقرب منفذ يوصله إلى العوالم الحضارية المختلفة، ولهذا السبب خلدت الرواية الجزائرية شخصيات متنوعة ومختلفة الأهواء والاتجاهات، تماماً كما حدث مع هذا الإنسان وموقفه من التيارات الفكرية والحضارية المختلفة التي بدأت تجتاح كيانه بعد الاستقلال، وبالذات بعد أن شهدت الساحة الوطنية تغيرات جذرية في كل المجالات. لذلك كانت هناك رواية موغلة في الحداثة، وأخرى غارقة في التقليد والمحافظة، وثالثة معتدلة، ورابعة ممتلئة بالسلوك السلبي. لكن ذلك لم يمنع الروائي من أن يرسم بدقة المنحنيات والالتواءات النفسية التي كان يعيشها الفرد الجزائري ممثلة في نماذج رواياته».

مدخل إلى الشعر الاسباني المعاصر: دراسات /عبدالله حمادي.ـــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.ـــ 331 ص؛ 24 سم.

جمع المؤلف بين الدراسة التحليلية والعمل التوثيقي للشعر الاسباني المعاصر. خصص دراسته في الفصل الأول للشاعر الاسباني انطونيو ماتشادو (1875 - 1939) استعرض في البداية مراحل حياته ثم اتبعها بدراسة فنية لشعره، وأتى في الأخير بنماذج من أشعاره مترجمة إلى العربية، واتبع المنهجية نفسها مع الشعراء الآخرين في بقية الفصول، فاهتم بالشاعر غارسيا لوركا وتوقف عنده طويلاً، وكان نصيبه ثلاثة فصول من فصول الكتاب الثمانية، وألقى بعض الضوء على قاتله بعد ظهور معلومات حديثة كشفها كتاب جديد صدر سنة 1975 عنوانه: «اغتيل غارسيا لوركا: كل الحقيقة» ودرس بعد ذلك حياة وآثار شاعرين كبيرين هما دوفائيل ألبرتي وبيثني الكسندري، وأنهى الكتاب بجولة في الشعر الأندلسي اختار لها 13 شاعراً ترجم لحياتهم، وجاء بنماذج من أشعارهم مترجمة إلى العربية والشعراء هم :

١ ـــ انطونيو ارنندث

٢ ــ آنخيل غارسيا لويث.

٣ ــ فرنندو كينيونيس

٤ ــ فيسوس مونطور أوبريرو.

٥ ــ خوليو بيليث

٦ ــ خوزي هيريديا مايا.

٧ ــ روفائيل مونتيسينوس

٨ ــ الفونسو كافاليس.

٩ ــ خوزي رامون ريبول

١٠ ــ مانويل ريوس رويث.

١١ــ بابلو غارسيا بايينا

١٢ــ آنخيل بيرينقير كاستلياري.

١٣ــ خوزي مانويل كابلييرو بونالد.

نوفمبر: الصوت والصدى/محمد الأخضر عبدالقادر السائحي.ــ الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، 1985 .- 181 ص؛ 20 سم.

في هذا الكتاب صورة خاطفة عن الثورة الجزائرية كما سجلها الشعر العربي، أراد المؤلف بها إبراز الثورة الجزائرية في الشعر وتحليل وجهة نظر الشعراء العرب من خلال أشعارهم حسب المحاور التالية :

١ ــ الانطلاقة

٢ ــ التعذيب والموقف.

٣ ــ في السجن

٤ ــ مع اللاجئين.

٥ ــ في ميدان الشرف

٦ ــ من بين الروائع.

٧ ــ فرقة الاستقلال ومعطيات الحرية.

التاريخ والتراجم

ابن خلدون: ٧٣٢ ــ ٨٠٨هـ /البخاري حمانة.ــ الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٥ ــ ١٤٦ص؛ ٢٢سم .ــ (الموسوعة التاريخية للشباب؛ أعلام الثقافة والعلوم)

هذا كتاب جديد آخر عن ابن خلدون، ولكنه لم يتناوله من جانب معين وإنما أراد لكتابة أن يكون شاملاً. أو هو جوله سريعة في حياة ابن خلدون الطويلة. تحدث في البداية عن أسرته ومولده ونشأته وتابع تقلبه في البلاد بعد ذلك، في المغرب والأندلس أولاً، ثم في المشرق ثانياً، وخاصة في مصر حيث استقر طويلاً إلى أن مات فيها سنة ٨٠٨هـ. خصص المؤلف الجزء الأكبر من الكتاب للحديث عن آثار ابن خلدون خاصة منها المقدمة، واستعرض آراءه في علم العمران كما يسميه، وفسر المفهوم الخلدوني للبداوة وللحضارة ولدورهما في الاجتماع البشري، وتوقف طويلاً عند رأي ابن خلدون في العرب والحضارة، وفي قضايا أخرى من مقدمة ابن خلدون، وانتهى ببيان مكانته في الفكر الإنساني.

الاحتلال الروماني لبلاد المغرب: سياسة الرومنة ١٤٦ ق م ــ ٤٠م /محمد البشير .ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥.ــ ١٧٣ ص، ٢٤سم.

يحتوي الكتاب على خمسة فصول، تناول في الفصل الأول بعض المشاكل السياسية للممالك المغربية القديمة التي لها علاقة بالصراع الروماني ــ القرطاجي، وهي المشاكل التي سجلت مظهراً لبداية النفوذ الروماني في بلاد المغرب، كما أبرزت وجهاً من أوجه التأثير الخارجي الذي حال دون تحقيق الوفاق السياسي بين المغاربة. أما الفصل الثاني ففيه وصف للاحتلال الروماني لبلاد المغرب وما اتصفت به سياسة الاحتلال من بطء وتدرج. ويحتوي الفصل الثالث على تحليل السياسة الإدارية الرومانية في بلاد المغرب مع وصف لوضعية المغاربة الاجتماعية ضمن القوانين الرومانية، وتناول الفصل الرابع الناحية الاقتصادية من سياسة الرومنة مركزاً على الفلاحة ووضعية الأرض وأساليب الإنتاج قبل الاحتلال الروماني، ثم الإجراءات الأولية التي اتخذها الرومان بعد الاحتلال من أجل السيطرة على الأرض واستغلالها لصالح الاقتصاد الروماني. أما الجانب البشري والاجتماعي لسياسة الرومنة فقد أفرد له المؤلف الفصل الخامس وهو الأخير، وركز فيه على سياسة الاستيطان الروماني في بلاد المغرب متتبعاً مراحلها وآثارها الاجتماعية والاقتصادية.

الاستعمار الفرنسي/محمد حسنين .ــ ط. 4 .ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 .ــ 567 ص، 24 سم.

نشرت الطبعات الثلاث الأولى على التوالي في مصر في السنوات: 1960, 1961, 1962 وظهرت الطبعة الأولى بعنوان: الاتحاد الفرنسي والجماعة الفرنسية وفرنسا فيما وراء البحار. وعنوان الطبعة الثانية هو: الاستعمار الفرنسي من القرن السادس عشر حتى عهد ديغول والجمهورية الخامسة. أما موضوع الكتاب فتحدده العناصر الأساسية التالية المتكونة من سبعة أبواب :

الباب الأول : السياسة الاستعمارية الفرنسية.

الباب الثاني : أقطار ماوراء البحار.

الباب الثالث : أجهزة الاتحاد السابق والجماعة الحالية.

الباب الرابع : أنظمة الحكم في أقطار ما وراء البحار.

الباب الخامس : الشخصية القانونية لأقطار ما وراء البحار.

الباب السادس : المركز القانوني للسكان في أقطار ما وراء البحار.

الباب السابع : التكييف القانوني للاتحاد الفرنسي السابق والجماعة الحالية.

ثورة الأوراس سنة 1979 /عبدالحميد زوزو .ــ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 .ــ 567 ص، 22سم.

يمكن أن تعد ثورة الأوراس هذه التي وقعت في القرن التاسع عشر إنذاراً للفرنسيين بثورة الأوراس الثانية في القرن العشرين التي اندلعت بعد 75 سنة من سابقتها. وفي هذا الكتاب تحليل علمي مرفق بمجموعة كبيرة من الوثائق ألحقها المؤلف بالكتاب وردت الاعتبار لثورة دامت شهراً تزعمها محمد بن عبدالرحمن كان سببها اعتراض الاستعمار الفرنسي على الزعامة الدينية التي كان يتمتع بها، وقد دفعته تربيته الدينية ــ وليس التعصب الديني حسب ادعاء المؤرخين الفرنسيين ــ إلى دعم صفوف المسلمين وجمع كلمتهم.

وقد اهتدى المؤلف من خلال قراءته للوثائق التي جمعها إلى استجلاء الحقيقة التي كانت وراء ثورة الأوراس وهي في رأيه دوافع دينية، فالعنصر الديني هو المحرك الأساسي الذي اعتمده لجمع الصفوف.

وانتهى إلى القول: أن ثورة سنة 1879 كانت تعبيراً عن ضيق الناس بالسيطرة الاستعمارية وتسلطها على جميع مناحي حياتهم في وقت كانت الظروف الاقتصادية قد ساعدت على خلق استعداد لها. وما أن امتدت يد السلطة للمساس بحريتهم الدينية حتى وجدوا أنفسهم تلقائياً في جو الثورة تحت لواء الطريقة الرحمانية التي تجدد نشاطها الكفاحي في شخص مقدمها محمد بن عبدالرحمن بهدف وضع حد لتلك السيطرة مهما كانت النتائج.

ثورة المقراني في حديث مع الأولاد /الزبير سيف الإسلام .ـ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 .ـ 87ص؛ 24 سم.

يدرس الكتاب إحدى الثورات المهمة التي وقعت في الجزائر في القرن التاسع عشر ضد الوجود الفرنسي في الجزائر، وهي الثورة التي قادها الشيخ محمد المقراني الذي أعلن الجهاد المقدس في شهر مارس 1871 في كامل الشرق الجزائري، وسارت جموع الثائرين من المناطق الممتدة من بجاية على ساحل البحر شمالاً إلى برج بوعريريج جنوباً ثم إلى ضواحي مدينة الجزائر غرباً، ودامت الثورة ستة أشهر، ولم يستطع الفرنسيون مواجهتها إلا بعد تعزيز صفوفهم بالجيش الذي انسحب من المانيا بعد هزيمته هناك في السنة نفسها. وفي معركة «البويرة» الكبيرة استشهد المقراني وانهزم جيشه بعد ثبات عجيب واستمرت المقاومة بعد ذلك في الجبال زمناً طويلاً.

الجزائر وأوروبا: 1500 - 1830 /جون بابتست وولف؛ ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله .ـ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 .ـ 508 ص؛ 24 سم.

نشر الكتاب في الولايات المتحدة لأول مرة سنة 1979 **عنوانه: «ساحل شمال افريقية: الجزائر تحت الأتراك** 1500 - 1830. نقله إلى العربية الدكتور سعد الله الذي وصف الكتاب بقوله: «وجدت في هذا الكتاب أموراً تثير الغرابة وأخرى تصدم النفس وأخرى تزعزع الرأي السائد ولكن التاريخ الحقيقي هو ذلك كله، والكتاب الذي لا يجعلك تعيد النظر في معارفك ولا يحرك شعر رأسك ولا يتحدى عقلك أو عاطفتك فسلة المهملات به أولى، وقد وجدت كتاب وولف عن الجزائر في العهد العثماني يتحدى الجزائريين في أكثر من موضع، وهو لذلك جدير في نظري بالقراءة والتمعن، ومن أجل ذلك أيضاً عزمت على ترجمته إلى العربية لينتفع به القراء الراغبون في معرفة دور الجزائر في التاريخ سواء كانوا هم طلبة الجامعات أو القراء العرب على العموم.

يقع الكتاب في ستة عشر فصلاً هي :

الفصل الأول: استيلاء الأتراك على الجزائر ـ الفصل الثاني: خير الدين ضد شارل الخامس ـ الفصل الثالث: الحرب بين الدولتين العثمانية والاسبانية ـ الفصل الرابع: حكومة إيالة الجزائر: حكم البايلار بايات في القرن السادس عشر ـ الفصل الخامس: حكومة الإيالة: تجربة القرن السابع عشر ـ الفصل السادس: الجزائر: الوضع العام والسكان والمجتمع ـ الفصل السابع: رياس البحر ـ الفصل الثامن: الأرقاء ـ الفصل التاسع: الإيالة الجزائرية وأوروبا: المرحلة الأولى 1600 - 1630- الفصل الحادي عشر: الايالة الجزائرية وأوروبا: 1688 - 1660 ـ الفصل الثاني عشر: الحروب العظمى: 1688 - 1714 الفصل الثالث عشر: القرن الثامن عشر، حكومة الداي ـ الفصل الرابع عشر: القرن الثامن عشر، الجزائر واسبانيا ـ الفصل الخامس عشر: القرن الثامن عشر، بقية أوروبا المسيحية والجزائر ـ الفصل السادس عشر: نهاية الإيالة.

حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي /محمد الطيب عقاب .ـ الجزائر وزارة الثقافة، ١٩٨٥ .ـ ٨٥ ص؛ ٢٢ سم .ـ (الموسوعة التاريخية للشباب: أعلام الثقافة والعلوم).

اسمه حمدان بن عثمان خوجة، ولد في الجزائر من أب تركي وأم جزائرية في حدود سنة ١١٨٩هـ /١٧٧٥م شغل والده مناصب سامية في الدولة الجزائرية، وكان عالماً من علماء الشريعة الإسلامية، وفي كنفه نشأ ابنه حمدان وحفظ على يديه القرآن الكريم ومبادىء العلوم، ثم أرسله إلى الآستانة وعمره خمسة عشر سنة، وعاد منها وقد تجاوز الثلاثين بعد أن اكتمل علمه. وزادت ثقافته تمكناً بعد ذلك بالرحلات المتعددة التي قام بها إلى البلاد العربية الإسلامية وإلى بلدان أجنبية كاسبانيا وإيطاليا وفرنسا وانجلترا دفعه إلى ذلك حرصه على اكتساب التجارب من الأمم المختلفة. وقد حولته تلك الرحلات من أستاذ في الشريعة الإسلامية إلى تاجر كبير، وساعده على ذلك مركزه الحكومي واتصاله ببلدان أوروبية مختلفة.

يستعرض الكاتب جانباً من نشاط حمدان خوجة الثقافي والسياسي خاصة بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر، وقد شهد تلك الأحداث وكان من ضحايا الغزو، فقاوم الاستعمار بقلمه وترك مذكرات ووثائق تشهد على دوره في تلك الأحداث ألحقها المؤلف بالكتاب وهي مجموع ١٥ وثيقة.

حمود رمضان /صالح خرفي.ـ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥ .ـ ١٣٨ص؛ ٢٠ سم .ـ (سلسلة الأدب الجزائري الحديث؛ ٣).

من هو حمود رمضان؟ يجيب المؤلف «اسمه رمضان أبوه سليمان ولقبه حمود. ولد في جنوب الجزائر في العقد الأول من القرن العشرين ومات وعمره ثلاث وعشرون سنة (١٩٠٦ ـ ١٩٢٩) شاعر لم يحمل أكثر من الشهادة الابتدائية ولم يزد عمره الإنتاجي على ثلاث سنوات، ترك بين أيدينا مايقرب من ثلاثين قصيدة وكتاباً سماه «بذور الحياة» وسلسلة مقالات نقدية نشرها في مجلة الشهاب. وقصة عنوانها «الفتى» نشرها عام ١٩٢٩م السنة التى توفي فيها.

شاعر ثار على القديم ونادى بالتحرر من الوزن والقافية من خمسين عاماً ورأى فيها أغلالاً حديدية لانطلاقة الشعر، انتقد شوقي فقال: إنه لم يأت بجديد، شوقي في الطبقة الأولى من الفحول البائدة، شوقي أقال عثرة الشعر ولكنه لم يضف إليه جديداً. إن الشرق وهو يئن تحت نير الاستعمار في حاجة إلى شعراء يرشدونه إلى الحرية لا في حاجة إلى واصفي البالات ومجالس اللهو.

شاعر تبرأ من السياسة ولكنه كان سياسياً وطنياً ثائراً في كل كلمة تلفظ بها وبيت شعر أنشده، تلقفه السجن بعد إتمام دراسته مباشرة، وتآمرت عليه فرنسا لاغتياله فأخطأته أيدي المغتالين ولكن يد القدر لم تخطئه، فاختاره الله لجواره وهو أوفر مايكون حيوية وأشد مايكون إقبالاً على الحياة وخوض غمارها.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام متميزة، وضع المؤلف في القسم الأول تحليلاً مفصلاً درس فيه مواقف الشاعر من خلال الإنتاج الفكري شعراً ونثراً، وفي القسم الثاني نماذج من شعره، ثم نماذج من نثره في القسم الثالث.

شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة ١٨٣٠ /مولود قاسم نايت بلقاسم .ـ قسنطينة: دار البعث، ١٩٨٥ .ـ ٢ج.، ٢٤ سم.

إن مايثير الإعجاب حقاً بهذا الكتاب المتكون من مجلدين وجود مجموعة ضخمة من وثائق أصلية مرافقة ومدعمة للنص توصل إليها المؤلف بعد بحث كلفه جهداً ووقتاً طويلاً من أجل إظهار حقيقة واحدة شغلته وأقضت مضجعه

ليثبت وجود الدولة الجزائرية قبل دخول فرنسا إليها، وفي الوقت ذاته حاول إبطال المزاعم التي ترددت عند جميع المؤرخين والسياسيين الغربيين المنكرين لوجود الأمة الجزائرية. يقول إدغارفور رئيس الحكومة الفرنسية سنة ١٩٥٥م عن الجزائر: إنها لم تكن أبداً أمة ولا دولة في التاريخ. وقال عنها شارل ديغول: لم تكن هناك أبداً في أي ظرف من التاريخ وبأي شكل كان دولة جزائرية. وقال عنها جسكار ديستان: إنها ولدت أخيراً. وقال صحفي فرنسي معروف: انها تسعى حثيثاً لاسترجاع وثائقها من فرنسا لعلها تجد فيها ذكراً لوجودها في الماضي كأمة، ولكنها لن تجده لأنها لم تكن أبداً أمة طوال التاريخ. وتأثر بهذه الآراء المؤرخون العرب فرددوا تلك الأفكار دون تمحيص وكأنها مسلمات، وظهرت عند بعض الجزائريين المتأثرين بالمؤرخين في الغرب. ولكن المؤلف جمع عدته وأتى بوثائق تثبت للدولة الجزائرية وجودها وتعاملها مع كثير من دول العالم، وخاصة المعاهدات والاتفاقيات والمراسلات التي كانت تقع مع رؤساء تلك الدول، مثل جورج واشنطن وملوك فرنسا من لويس الثالث عشر إلى الثامن عشر ونابليون وامبراطور المانيا وملوك بريطانيا وأسبانيا وغيرهم، فظهرت الجزائر في جميع الوثائق التي أثبتها في الكتاب دولة مستقلة ذات سيادة قبل سنة ١٨٣٠.

شهيد الكلمة رضا حوحو: ١٩١١ ـــ ١٩٥٦ /محمد الصالح رمضان. ـــ الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٥ ـــ ٨٧ص، ٢٢ سم. ـــ (الموسوعة التاريخية للشباب: أعلام الثقافة والعلوم).

اسمه الكامل أحمد رضا حُوحُو (بضم الحاء الأولى والثانية) ولد بقرية سيدي عقبة مثوى الفاتح العربي عقبة بن نافع الفهري سنة ١٩١١م. وفي سنة ١٩٣٤م اضطر والده إلى مغادرة الوطن والهجرة إلى الحجاز، فانتقل مع عائلته وأقام بالمدينة المنورة، وهناك التحق بمعهد العلوم الشرعية وتخرج منه بامتياز سنة ١٩٣٨م وعين مدرساً في المعهد نفسه، واستمرت إقامته في الحجاز عشر سنوات، أمضى الشطر الثاني منها في مكة المكرمة عاملاً في إدارة البريد، وهو المنصب الذي كان يشغله في الجزائر قبل الهجرة. وكان للأديب نشاط أدبي واسع في الحجاز تعزز أكثر حين عاد إلى وطنه بعد أن فقد والديه في الحجاز، فانضم في الجزائر إلى جمعية العلماء المسلمين وعمل مع الشيخ الإمام عبدالحميد بن باديس وشغل منصب الكاتب العام للمعهد منذ سنة ١٩٤٧م إلى أن وافته المنية حين سقط شهيداً برصاص الاستعمار الفرنسي سنة ١٩٥٦م ويقع الكتاب في ثلاثة أقسام رئيسية :

١ ـــ نشأة حوحو وحياته ٢ ـــ إنتاجه وآثاره ٣ ـــ نماذج من إنتاجه.

صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبدالحميد بن باديس /أحمد حماني ـــ قسنطينة: دار البعث، ١٩٨٤ ـــ ٢ج، ٦٦٧ص؛ ٢٤سم.

الشيخ أحمد حماني رئيس المجلس الإسلامي في الجزائر من طلاب ابن باديس وعلاقته به قوية، استعرض في هذا الكتاب الذي يقع في جزأين الصراع الذي كان بين ابن باديس وخصومه وسلط الأضواء على محاولتهم اغتياله، واهتم المؤلف بردود الفعل في الأوساط الجزائرية وفي الخارج وجمع أخباراً كثيرة كانت غير معروفة من قبل، وفي الكتاب معلومات قيمة عن حركة الإصلاح في الجزائر وعن رجالها قبل حرب التحرير.

عقبة بن نافع الفهري /لقبال موسى ـــ الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٥ ـــ ١٢٧ص؛ ٢٢سم ـــ (الموسوعة التاريخية للشباب: أعلام السياسة والحرب).

هو عقبة بن نافع بن عبدالقيس الفهري القرشي. ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بسنة واحدة، ويعد من أجل ذلك صحابياً بالمولد فقط لا بالمصاحبة والمجالسة، وكان يمت بصلة القرابة إلى قائد فتح مصر عمرو بن العاص فهو ابن خالته، لذلك فقد أشرف على توجيهه وتدريبه.

يستعرض الكتاب سيرة البطل الفاتح عقبة بن نافع الذي استشهد في الجزائر، وتحمل المدينة التي يوجد فيها ضريحه اسم «سيدي عقبة» وليس للمدينة اسم غير هذا الاسم تكريماً واعتزازاً بالفاتح العربي الكبير. وتتبع الكاتب كل مراحل حياة القائد وأعماله في فتح مصر مع عمرو بن العاص، ثم مع غيره من القواد والولاة الذين تعاقبوا على مصر والمغرب، ثم وصف المؤلف أعمال عقبة في فتح شمال افريقيا واستشهاده، فأعمال أولاده من بعده.

فرانز فانون: بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته /عبدالحميد حيفري. ـــ الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٥ ـــ ١٩٩ص؛ ٢٤سم ـــ (الموسوعة التاريخية للشباب: أعلام الثقافة والعلوم).

ولد فرانز فانون في «جزر الأنتي» بالمارتنيك الفرنسية. درس الطب في جامعة ليون بفرنسا وتخرج سنة ١٩٥١ وجاء إلى الجزائر سنة ١٩٥٣ وعين مديراً للعلاج العقلي في مستشفى البليدة قرب العاصمة إلى الجنوب في نفس العام، قبل سنة واحدة من اندلاع الثورة الجزائرية.

واكب فرانز فانون الثورة الجزائية وعمل في صفوفها وكتب عنها، وحاول المؤلف في هذا الكتاب تسليط الضوء على كتاباته عن الجزائر وثورتها، وأثبت فيه جزءاً كبيراً من كتابه «سوسيولوجية ثورة» مترجماً إلى العربية (ص ٦٧ ـــ ١٩٦).

درس المؤلف في الفصل الأول: حياة «فانون» وتكوينه النظري والايديولوجي. وفي الفصل الثاني: الدلالات العامة للشخصية الجزائرية في كتابات «فانون» وانعكاساتها في الثورة الجزائرية.

مراسلات الأمير عبدالقادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية /ترجمة وتقديم وتعليق يحيى بو عزيز، وميكيل دو ايبالزا ـــ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٦ ـــ ١٤٠ص؛ ٢٢سم.

الكتاب في الأصل ملف لمجموعة وثائق تنشر لأول مرة نقلها إلى العربية الدكتور يحيى بوعزيز من جامعة وهران، يعود تاريخها إلى سنة ١٨٤٧ واشتمل الملف على ثلاث وعشرين رسالة: بعضها للأمير عبدالقادر موجهة إلى ملكة أسبانيا ايزابيل الثانية وحاكم مليلية بينيطو، أما الرسائل الأخرى فهي لوزير الحرب الاسباني الجنرال مانويل دوما زاريدو ووزير الخارجية الاسباني جواكين فرانسسكو باشيكو وحاكم مليلية بينيطو. أما مضمون المراسلات فقد ترددت فيها كثيراً رغبة الأمير في وساطة اسبانيا بينه وبين فرنسا حتى يتمكن من العودة إلى الجزائر، وفي مقابل ذلك عرض الأمير خدماته على أسبانيا وقد ألح الأمير كثيراً على هذه الوساطة، بالإضافة إلى مطالبه بالحصول على السلاح والتموين بالمواد الغذائية خاصة القمح والشعير، كما تعرضت بعض الرسائل إلى علاقة الأمير بالاسبان حين أحرجتهم الاتصالات مع الأمير نظراً لعلاقتهم الجيدة بحليفتهم فرنسا.

أخبـــار ثقافيـــة

الأسبوع الوطني للكتاب ١٢ ـــ ١٨ نوفمبر ١٩٨٦

نظمت المؤسسة الوطنية للكتاب التظاهرة الخاصة بالكتاب برعاية وزارة الثقافة والسياحة من ١٢ ــ ١٨ نوفمبر سنة ١٩٨٦م وقد تغيرت التسمية هذه السنة لتصبح «الأسبوع الوطني للكتاب» بدلاً من معرض الجزائر الدولي.

الجديد في المعرض هذا العام عودة الكتاب المصري بعد غياب دام عدة سنوات، وحدوث تعديل في طريقة التنظيم بتوزيع التظاهرة على كل ولايات القطر الثمانية والأربعين في وقت واحد. وتولت التحضير لأسبوع الكتاب لجنة وطنية اشتركت فيها هيئات ووزارات عديدة لها صلة بالكتاب، وأعطت اللجنة الأولوية للكتاب المدرسي والمكمل له وكذلك الكتاب العلمي.

كان عدد الناشرين الذين شاركوا في أسبوع الكتاب سبعاً وتسعين ناشراً يمثلون ١٢ بلداً هي: الأردن، أمريكا انجلترا، تونس روسيا، المملكة العربية السعودية، سوريا، فرنسا، قبرص، الكويت، لبنان، مصر. وجاء من لبنان وحدها ٣٤ ناشراً ومن مصر ١٨ ناشراً.

أما الموضوعات التي احتواها الكتاب العربي فهي :

١ ــ الإسلاميات والتراث ٢ ــ أدب الأطفال

٣ ــ الثقافة العامة ٤ ــ الدراسات العلمية.

وكان مجموع العناوين العربية التي وفرتها الشركة في المعرض ٣٥٣١ عنواناً توزعت حسب الموضوعات والكميات التالية:

أدب الأطفال	٢٠٥١ عنواناً	بنسبة ٥٨٫٠٤٪.
دراسات علمية	٦٧٦ عنواناً	بنسبة ١٩٫٢١٪.
ثقافة عامة	٦١٦ عنواناً	بنسبة ١٧٫٤٣٪.
إسلاميات وتراث	١٨٨ عنواناً	بنسبة ٥٫٣٢٪.

ويتضح من الجدول أن أكثر من نصف العناوين في المعرض كانت مخصصة للأطفال، تليها الكتب العلمية والثقافة العامة، فالإسلام والتراث.

الدورة الوطنية الخاصة باستعمال
التقنيات الحديثة في مجال المعلومات
الجزائر ١١ ــ ٢٣ أكتوبر ١٩٨٦

نظم مركز التوثيق والمعلومات التابع للأمانة العامة لجامعة الدول العربية ومقره تونس بالاشتراك مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة واليونسكو دورة تدريبية وطنية في الجزائر دعي لها المكتبيون والموثقون من مختلف الوزارات والمكتبات في الجزائر العاصمة، وبالخصوص الذين يباشرون فعلاً العمل الفني في المجال المهني. وتضمن برنامج الدورة العناصر التالية :

- أولاً : التعريف بمركز التوثيق والمعلومات من طرف السيدة مديرة المركز نفسها فارعة الزهاوي.
- ثانياً : تنمية المجموعات: السياسة والاختيار والشراء والتبادل والإهداء والإيداع وتقييم المجموعات. من طرف الأستاذ خالد بن بو زيد.
- ثالثاً : الفهرسة: الكتب والمواد المطبوعة ثم المواد غير الكتب فالمداخل. من طرف الأستاذ محسن الرديسي.
- رابعاً : مكنز الجامعة من طرف الأستاذة السيدة بسمة.
- خامساً : تكشيف أنواع المواد: الكتاب والدورية والمقالات وفصول الكتب من طرف الأستاذ محمد النوري.
- سادساً : القصاصات الصحفية: الاختيار والتكشيف والحفظ من طرف الأستاذ محمد عبدالكريم الخطيب.
- سابعاً : نظرة عامة عن نظام الحاسوب من طرف الأستاذ جعفر جفال.
- ثامناً : تكامل خدمات المعالجة الفنية من طرف الأستاذ محمود أحمد اتيم.
- تاسعاً : التصنيف العشري العالمي من طرف الأستاذ بوفادن علي.

أشرف على تسيير الدورة خبير اليونسكو الأستاذ أحمد محمود اتيم الذي تابع برنامج الدورة كلها وبذل مجهوداً كبيراً، وقد استفاد المشاركون من خبرته وتجربته الميدانية. وتكمن أهمية الدورة في كونها تلخص التجربة العملية لمركز التوثيق والمعلومات التابع لجامعة الدول العربية خلال السنوات الخمس الماضية عرضها على المشاركين ــ حسب البرنامج المشار إليه ــ عمال المركز أنفسهم وجرى، معهم حوار جاد داخل المحاضرات وخارجها عن مختلف القضايا التي تعترض المهنة.

(ردّ على الدكتور أحمد خان)

علي حسين البواب
أستاذ مشارك في قسم النحو
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد نشر الدكتور أحمد خان مقالاً في مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود — م١٣ ع٢ — ص ٨٢١ — ٨٢٩ بعنوان: «ليس هذا كتاب نقعة الصديان، بل هو كتاب فعلان»، ولإيماني بأن النقد الهادف من وسائل ارتقاء البحث العلمي، ومن أساليب تقويم الأعمال العلمية، أردت أن أبيّن ما في المقال المذكور من تجاوزات، فاتّصلت بالمجلة، ورحبوا بالرّد على المقال المذكور، ولكنهم أخبروني أن نشر الرد سيتأخر لوجود بحوث سابقة في المجلة، ومن ثم رأيت أن أنشره في مجلة «عالم الكتب».

ومقال الدكتور خان نقد لعنوان كتاب للصاغاني، حققته ونشرته بعنوان «نقعة الصديان فيما جاء على الفعلان».

وقبل أن أتحدث عن المقال وأناقش كاتبه أبيّن للقراء أن الدكتور خان يتباكى على الصاغاني في كلّ مناسبة تسنح، ويتحدّث عمّا أصابه من إهمال الباحثين وعدم اكتراثهم بتحرّي أسماء كتبه والتدقيق فيما يكتبون، وهو متوهّم — لأنّه عمل بحثاً عن الصاغاني، وحقّق بعض رسائله — كما يزعم — أنّه وارث علمه، وأعلم النّاس بتراثه، وأحقّهم بنشر هذا التراث، لذا تراه يشتاط غضباً، وتأخذه العزة بالإثم إذا نُشر كتاب للصاغاني — وكأنّ في ذلك اغتصاباً لحقوقه، يقول في مقاله المذكور: «وليس من الافتخار القول إني مشغوف بالصغاني منذ عشرين سنة، كتبت عنه عدّة مقالات، وحققت بعض كتبه ورسائله، كما أني حصلت على درجة الدكتوراه بكتابة مقال عن لغويته وأعماله فيها»[1] (هكذا ؟).

وقد سبق للدكتور أن تعرّض لبعض من انتهكوا محارمه، ومن ذلك مقال كتبه في نقد الأستاذ هلال ناجي والدكتور سامي مكي العاني محققي كتاب مختصر شرح القلادة السمطية «للصاغاني»[2]، وقد تصدّى له الدكتور العاني، وجرّحه، وردّ عليه مزاعمه، وكان مما قال الدكتور العاني: «إن كاتب هذا النقد يجهل اللغة العربية، لغة وإملاء ونحواً.. ومع ذلك يصرّ على تعالمه، ويدّعي الوصاية على تحقيق تراث العالم اللغوي الكبير الصاغاني»[3].

وكان الدكتور خان قد خطّأ المحققَين لتسمية كتاب الصاغاني «فعَلان» : «نقعة الصديان فيما جاء على وزن فَعَلان»، ولم ينسني في نقده، فكتب في الحاشية: «نشر الكتاب تحت عنوان غلط في سنة ١٩٨٣م في مكتبة المعارف بالرياض بتحقيق الدكتور علي حسين البواب، ولم أظفر به حتى الآن رغم شدّة طلبي إياه من محقّقه»[4].

ودهشت ممّا كتب — لا لأنه قال «عنوان غلط»، فقد كنت مدركاً ذلك قبل أن يستيقظ وصيُّ الصاغاني ولكن لزعمه أنّه طلب الكتاب مني ولم أجبه لطلبه، وقد كتبت إليه مبيّناً عدم صحة دعواه وأرسلت له نسخة من الكتاب، كما كتبت إلى المورد مبرّئاً نفسي ممّا رماني به، ومع ذلك لم يكتب إليّ بوصول النسخة، بل زعم في نقده لي أن النسخة وصلته من شخص بالمدينة المنورة. وكان يمكن أن أحمّل البريد — معتذراً له — عدم وصول رسائله لنا، أو النسخة له، لولا أن عرفت سوابقه في ذلك، فقد ذكر الدكتور العاني أن الدكتور خان تسلّم نسخة مصححة من كتاب، «مختصر شرح القلادة السمطية من الأستاذ ناجي، ولما كَتب نقده عمد إلى نسخة غير مصححة ينتقد المحققَين فيها»[5].

وأعود للكتاب الذي صدر عن مكتبة المعارف سنة ١٤٠٢هـ، بعد أن مكث فترة في الطباعة، وفترة أخرى قبل أن يتسلّمه الناشر، ومجموع الفترتين أربع سنوات، فأقول: إنني وقفت على نسخة مصوَّرة عن شهيد علي باشا بتركيا — لكتاب للصاغاني، كتب عليه «نقعة الصديان» وتحته سماع للعلماء ورد فيه اسم الكتاب، وعلى ظهر ورقة العنوان بداية الكتاب، وبعد هذه الورقة — ولم تنته المقدمة بعد —

حدث سقط في المخطوطة، ومن الورقة التالية مادّة كتاب «فَعَلان» للصاغاني ينقص جزءاً صغيراً جداً، ولا يملك أي باحث خبر المخطوطات، وأيقن مايصيبها من سقط وتغيير وتلفيق ــ إلا أن يفعل ما فعلت، ويقول ما قلته وقاله كثير قبلي وبعدي ــ أنّه قد سقط ورقة أو أكثر بعد الورقة الأولى، وأن يربط بين ما كُتب على الغلاف وبين مادّة الكتاب. وقد يؤيد هذا مانجده من ذكر العلماء في كتب الصاغاني «نقعة الصديان» و«فعلان»، كما أن ماقبل السقط وبعده متفقان في الخط وعدد الأسطر، وتحمل الأوراق أرقاماً مسلسلة، هنا وهناك نسخة منقولة عن هذه النسخة في دار الكتب المصرية فيها السقط نفسه.

ولم يخطر بالبال أن السقط بين المخطوطتين كبير، وأن الغلاف والمقدمة لكتاب آخر للمؤلف نفسه، ولم يكن هناك ما يثير الشكّ في ذلك إلا عبارة المؤلف: (هذا كتاب يفتقر إليه طالب الحديث والخبر، ولا يستغنى عنه متتبع السنّة والأثر) وقد تحمل هذه العبارات على أنها مبالغة في ذكر أهمية الكتاب.

وكنت أشرت في مقدمة التحقيق إلى ماحدث في المخطوطتين، وإلى أنني سميت الكتاب «نقعة الصديان فيما جاء على الفعلان» ترجيحاً[٦]، وكان هذا العنوان قد اختاره عدد من الباحثين قبلي وبعدي[٧]، بل كان الدكتور خان الذي يتبرأ اليوم منه قد ذكره أكثر من مرّة ــ وهو الذي عايش الصاغاني عشرين سنة ــ قال: «وكنت أنا منهم حتى السنة الماضية»[٨].

وإذا كان الدكتور قد اكتشف في السنة الماضية كتاب «نقعة الصديان» للصاغاني، فعرف الخطأ الذي وقع فيه هو نفسه مراراً، فكان الأجدر به أن يصحّح مابدر منه، لا أن يتفاخر ويرمي الناس بالخطأ، ولكن ليعلم وريث الصاغاني أنني قد وقفت على نسخة من كتاب كتب عليه «نقعة الصديان» وعليه أيضاً «في بيان ما يتعلّق في الصحابة» (انظر المصورة) فأدركت منذ تلك اللحظة ماحدث. وربما سمع الناقد أن عدداً من الكتب سبق نشرها بعنوانات أو نسبة لمؤلف غير صحيحة ثم صُحّحت عند إعادة طبعها. وقد كنت أنتهز فرصة لتصحيح الخطأ: فسعيت للحصول على نسخ «فَعَلان» ــ التي لايعرفها أخصائي الصاغاني ــ لأصوّب المقدّمة وأنشر النقص، ثم إنني في وصف النسخة المصوّرة عن دار الكتب المصرية في جامعة الإمام ذكرت اسم الكتاب في الفهرست: «ماجاء على فعلان» وأشرت إلى ماسبق أن فعلته من نشر الكتاب تحت عنوان غير صحيح[٩]، وبهذا يتبيّن أن الدكتور لم يأت بجديد، فلم أفد منه شيئاً ــ ولا أعتقد أن أحداً يفيد منه ــ فما هو إلا ساع في التجريح وإظهار علمه ومعرفته، فإذا هو يكشف لنا أن من عايش الصاغاني عمره، وحصل على شهادته فيه، يضطرب في أسماء كتبه، ولا يعرف أماكن وجود مخطوطاته، ومع ذلك يريد أن يدقق الباحثون، ويثور إذا أخطأوا، ويفور إذا اجتهدوا فلم يصيبوا. وليتنا نقف على ماكتب الأخصائي عن الصاغاني ــ لانتعلم ــ معاذ الله ــ ولكن!.

وقد قيل: «فاقد الشيء لايعطيه»، فقد ذكرنا أن الدكتور كان يسمي الكتاب كما نسميه، ونزيد هنا أنّه ذكر اسم كتاب للصاغاني «العادة في أسماء الغادة»، وحقّقه الأستاذ هلال باسمه الصحيح «الغادة في أسماء العادة» وأشار إلى الخطأ الذي وقع فيه خان[١٠]، ويبدو أن لافرق بين العين والغين عنده.

والناقد مسلّم بمقولة أننا لا نقرأ، وأنَّ كلّ ما يُكتب يمرّ، فما هو إلا حبرٌ على ورق، لذا يدّعي في نقده لي أن نسخة شهيد علي باشا لم يرد عليها اسم الكتاب، ولم يرد اسم الكتاب في السماع، يقول: «لم يرد اسم الكتاب في السماع الذي ذكره الدكتور، ولا السماع نفسه»[١١]. ومصوّرة الكتاب مع البحث تكفي للرد عليه.

وأعجب من هذا أنّه متمسّك بأن بروكلمان هو السبب في مشكلة تسمية الكتاب «نقعة الصديان فيما جاء على فعلان»، ويذكر هذا في كلّ مناسبة، ويدّعي أن بروكلمان لم يكن يعرف عندما كتب كتابه سوى نسخة شهيد علي باشا، ومن ثَم وهم بروكلمان بما حدث للكتاب فتابعناه[١٢]. ولا أدري أين سمع الدكتور خان بهذا العالم الكبير، بروكلمان ــ سادتي ــ لم يذكر نسخة شهيد علي باشا ولم يعرفها[١٣]، ولولا أن يكون في الأمر إثقال على القرّاء لصوّرت ماذكر بروكلمان لأبيّن للقرّاء افتراءات الدكتور، ولكن قد يكون بين يديه نسخة من الكتاب المذكور لانعرفها!.

وليعلم الدكتور خان ــ الذي عايش الصاغاني عشرين سنة أن لكتاب فَعَلان «ثلاث نسخ خطية غير التي حققت عنهما الكتاب، والغريب أنّ هذه النسخ قد ذكرها محققو كتب الصاغاني التي ظهرت مؤخراً واطّلع عليها الدكتور خان[١٤]، ولا أعلم كيف لم ير هذه المعلومات، وهو الذي يشير في مقدمة نقده لي إلى كتاب «الشوارد» الذي حققه الأستاذ عدنان الدوري، ومع كلّ هذا يقول الدكتور خان: «فمن الممكن أن يكون الصاغاني قد ذكر عنوان الكتاب (أي فعلان) كدأبه في مقدمة الكتاب، ولو وجدناه لما بقي هذا الجدل والبحث حول العنوان، ولكن للأسف ضاع فيما ضاع من التراث، وربما نجده يوماً ما». ويقول: «وعندما تخرج إن شاء الله أية نسخة من هذا الكتاب يوماً ما فسيؤيدنا ذلك»[١٥]. ومتى سيكون

ذلك، وإلام تنتظر وأمامك ثلاث نسخ.

وأشير هنا إلى أن الدكتور ذكر عَرَضاً أَوْ حُبّاً في إظهار العلم والتعريض بالآخرين، أنّه ليس للصاغاني كتاب بعنوان «خلق الإنسان»، ولم أكن أنا قد ذكرت هذا في كتب الصاغاني، ولكنه راغب في القول إن بروكلمان أخطأ، وتابعه الباحثون، ويبدو أن الدكتور نسي أنّه سبق له أن ذكر أن للصاغاني كتاباً بعنوان «خلق الإنسان»[١٦]، ولكنه تراجع عن ذلك دون دليل، اللهم إلاّ أنّه لم يقف على من نسب له ذلك من القدماء، وما كذلك يكون الإثبات والنفي، فأي باحث يريد أن ينكر كون الكتاب للصاغاني عليه أن يطّلع على الكتاب، ومن مادّة الكتاب يكون الفصل، فكيف بحافظ سرّ الصاغاني يغفل عن هذا، ويكتفي بحذف مايشاء وإثبات مايشاء لهذا العالم الذي ظُلم حقّاً إذ كان نصيبه أن يقع بين يدي الدكتور خان.

وقد أيقنت الآن أن الصاغاني يحتاج إلى من يكتب دراسة لغوية عنه، ولو رغب أحد تلامذتي بدراسة شخصية لغوية لعرضت عليه الصاغاني، ولجعلت في مقدمة أسباب حاجة الصاغاني إلى دراسة أن من قدّم له دراسة كان أبعد الناس عن الصاغاني، وإن كنّا لم نطّلع على عمله، ولكن «بخارها نارها»، و«أَنْجَدَ من رأى حَضَناً»، و«تخبر عن مجهوله مرآته».

والحمد لله رب العالمين، وصلواته وتسليماته على أشرف خلق الله أجمعين.

كتاب نقعة الصديان

العنوان والسماع في النسخة التي حققت عنها الكتاب.

(خطبة نقعة الصديان و يظهر السقط ثم كتاب فعلان)

الورقة الأولى (أ) من (نقعة الصديان)

آخر (نقعة الصديان)

حواشي البحث

(١) مجلة كلية الآداب ــ جامعة الملك سعود ــ م١٣ ع٢ سنة ١٩٨٦م، ص ٨٢٢ ــ وسأعبر عنه في الحواشي بـ (المقال).

(٢) مجلة المورد ــ م١٤ ــ ع١ سنة ١٤٠٥ ــ ص ١٩٧ ــ ٢٠٩.

(٣) مجلة المورد ــ م١٥ ــ ع٢ سنة ١٤٠٦ ص ٢٢٩ ــ ٢٤٨. وسأشير إليهما في الحواشي برقم المجلد والصفحة.

(٤) المورد ١٤ /٢٠٠.

(٥) المورد ١٥ /٢٢٩.

(٦) ينظر مقدّمة الكتاب ٧ ــ ٨، ١٥ ــ ١٨.

(٧) من ذلك مافعله بروكلمان (ينظر حاشية ١٣) والدكتور العاني وهلال ناجي في مختصر شرح القلادة، والأستاذ ناجي في «تعزيز بيتي الحريري» ٢١، والأستاذ عدنان الدوري في «الشوارد» ٥٩.

(٨) المورد ١٤ /٢٠٠، ١٥ /٢٣٢.

(٩) فهرست المخطوطات المصورة بجامعة الإمام ــ النحو والصرف واللغة والعروض ــ من إعدادي ــ رقم ١١٣٢.

(١٠) مقدّمة الغادة في أسماء العادة ١.

(١١) المقال ٨٢٨.

(١٢) المقال ٨٢٣، والمورد ١٤ /٢٠٠.

(١٣) بروكلمان ــ ملحق الأصل الألماني ١ /٦١٥، والترجمة العربية ٦ /٢١٨.

(١٤) وهي في داماد زاده بتركيا ١٧٨٩ /٨.

وداماد باشا إبراهيم ٣٩٤. وقد ذكرهما الأستاذ الدوري في الشوارد ص ٥٩، وهما في بروكلمان.

والسليمانية ــ ذكرها الأستاذ هلال ناجي في تعزيز بيتي الحريري ص ٢١.

(١٥) المقال ٨٢٨.

(١٦) المورد ١٥ /٢٣٢.